ملتقى
الإبداع
العربي
والثقافة الإنسانية

الندوة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

سبتمبر ١٩٧٨م رمضان ١٣٩٨هـ

قطر مسيرة التقدم في ٧ سنوات

كمال سعد

ملاحظات حول الأدب العربي والعالمية

جبرا إبراهيم جبرا

أبواب الليل - أبواب النهار

عبد الرحمن الربيعي



ظاهرة الندوات في حياتنا الأدبية

نعمان عاشور

الخليج عالم جديد..
وطيران الخليج هو جزء منه.





في غضون عشر سنوات أصبحت الدول المحاذية للساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية عالماً جديداً. إنها دول غنيّة بحدّ ذاتها، وغنيّة بما تقدّمه من فرص .. كذلك أصبحت بسرعة مراكز عالمية للتجارة والمال ومهداً لصناعات جديدة.

وما طيران الخليج إلاّ جزء من هذا العالم الجديد. شركة طيران عالمية تستخدم أحدث المعدات والطائرات، منها طائرات لوكهيد ترايستار وطائرات بوينغ ٧٣٧-٢٠٠ المتقدمة. شركة طيران اقليمية تقصد مراكز في طول منطقة الخليج وعرضها اكثر مما تقصده أي شركة طيران أخرى. شركة طيران تنفرد وتعتزّ بخدمات الصقر الذهبي.

الخليج هو عالم جديد .. وعندما تسافر بطيران الخليج، تكون أنت جزءاً من ذلك العالم.

طيران الخليج
GULF AIR
Part of a new world.

أبو ظبي، عمان، امستردام، البحرين، بيروت، بومباي، القاهرة، الظهران، الدوحة، دبي، كراتشي، الكويت، لارنكا، لندن، مسقط، باريس، راس الخيمة، صلالة،



ملتقى
الإبداع
العربي
والثقافة الإنسانية

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

السنة الثالثة العدد ٣٣

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

الدوحة

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن
وزارة الاعلام بدولة قطر

مُديرُ التحريرْ
عبد القادر حميدة
سكرتيرالتحريرْ
وَالمديرالفنّى
محمد ابوطالب
الإشراف الفنّى
أحمد عبد الله
نائلة محمد فتحى

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة قطر
جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان البرقى : المجلة ـ الدوحة
تلكس : 4521 MAGDO DH

تليفونات : رئيس التحرير ٢١٢٢١
التحرير والادارة ٢١١٢١
القسم التجارى ٣٢١٨٥٧

ثمن العدد

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلسا ، سوريا ٢٠٠ قرشا ، لبنان ٢٠٠ قرشا ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقى دول العالم ما يعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات ٧٢ ريالا قطريا ـ للافراد ٣٦ ريالا قطريا او ما يعادلها ـ للخارج تضاف اجرة البريد الجوى .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات .

جميع ما ينشر فى المجلة يكتب خصيصا لها ولا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة أو المجلة

طبعت بمطابع على بن على
Ali Bin Ali Printing Press - Doha



شئون عامة

١٠ مستقبل التعاون الافريقى العربى
د. سيد نوفل

١٤ قمة الخرطوم الافريقية
محمد المكى ابراهيم



صفحات الرأى

١٩ نقطة حبر : وللحقيقة الف وجه
على سيار

٢٥ زاوية الراى : عتاب مغرب الوطن
محمد جابر الانصارى

١٠٥ اضغاث احلام : مع البطل معروف الخضرى
درويش مصطفى الفار

١٤٦ الورقة الاخيرة : خطاب حب لا ينسى
د. يوسف ادريس



أبحاث ودراسات

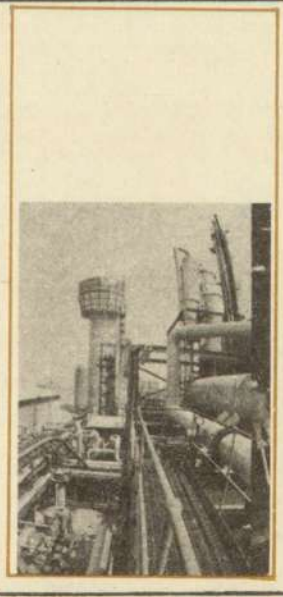
اسلاميات :

٢٦ ديننا : حياتنا وقوميتنا
د. عون الشريف

٤٨ ماذا بعد البنوك الاسلامية
سعد محمد جبر التميمى

تاريخ :

٧٨ اين دك الجبل وخر موسى صعقا ؟
درويش مصطفى الفار



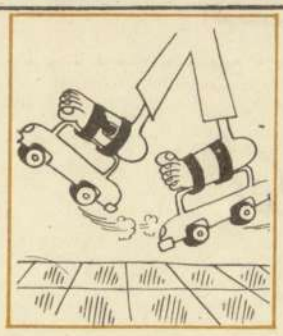
أبواب ثابتة واستطلاعات

٣٢ وقفات ساخرة : مذكرات دجاجة
ابراهيم ابو ناب

٥١ ام سعيد مدينة الفولاذ والثروة البديلة
كمال سعد

٦٢ دراسات فى ادب الخليج : مع ثلاث اطروحات تعالج ادبنا الحديث
محمد جابر الانصارى

٦٦ ادباء ومواقف : اعراس محمود درويش
رجاء النقاش



قصص. شعر. كاريكاتير

٥٩ مصابك يا سودان « شعر »
طلعت الرفاعى

٧٣ كاريكاتير ناجى

٧٤ وينبت الصبار « قصة قصيرة »
ام اكثم

٨٤ ابواب الليل . ابواب النهار « قصة طويلة »
عبد الرحمن مجيد الربيعى

١١٠ كاريكاتير جمعة

• أدب وأدباء



٢٠ ملاحظات حول الادب العربى والعالمية
جبرا ابراهيم جبرا

٣٦ ظاهرة الندوات فى حياتنا الادبية
نعمان عاشور

٤٢ سمات الكاتب المعاصر
سليمان موسى

٤٤ تاثير الحركة الرومانسية فى الفولكلور
فوزى العنتيل

١٠٠ ذكرياتى مع التيجانى يوسف بشير
يحيى محمد عبد القادر

١٠٦ الجريمة فى الحى اللاتينى لسهيل ادريس
عبد المنعم الجداوى

• علوم



٩٦ انهم يلوثون الهواء
د. عبد اللطيف ابو السعود

• فنون



١١٨ اين مكاننا على خريطة السينما العالمية
رءوف توفيق

١٢٤ نعمان عاشور يستعيد لياقته الفنية
فؤاد دوارة

١٢٧ فنان الشعب سيد درويش
توفيق حنا

١٣٠ الانبهار غير الحقيقى فى المسرح
حافظ احمد امين

• مراجعات



١٣٣ مسيرة الرجل والدولة
نبيل خالد الافغا

١٣٦ خطة موحدة للاعلام العربى

١٣٨ وجوب الهجرة على العباد
على المك

١٤٠ مهرجان عمر المختار

• أبواب القراء



٦ رسائل الى المحرر

١١٦ رايت • سمعت • قرات

١٤١ من تجاربى الشخصية

١٤٢ دوحة القراء

١٤٤ المسابقة

هذا العدد



يصدر هذا العدد ، بينما المسلمون فى كل بقاع العالم الاسلامى يودعون شهر رمضان الكريم • وفى هذه المناسبة الجليلة نتوجه « الدوحة » باحر مشاعر التهنئة الى العالم العربى والاسلامى بحلول عيد الفطر المبارك •

ويصدر هذا العدد ، بينما الشعب القطرى يحتفل بالذكرى السابعة لاستقلال دولة قطر • وفى هذه المناسبة يطالع القراء تحقيقا صحفيا ملونا عن مدينة « ام سعيد » ، مدينة الفولاذ والثروة البديلة للبترول • وهى مناسبة طيبة كذلك لان نتوجه بصادق التهنئة الى دولة قطر ، التى تخطو نحو مستقبلها باصرار العصابات الدقيقة ، وبالعمل الجاد المتواصل •

ويصدر هذا العدد ، بينما العالم الافريقى المناضل ، يحيا ويحلل نتائج مؤتمر القمة الافريقى الخامس عشر الذى انعقد بمدينة الخرطوم خلال شهر يوليو الماضى • وفى هذا الموضوع يتضمن العدد تحليلين لوقائع ونتائج المؤتمر ، اولهما بقلم الدكتور سيد نوفل الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية ، والثانى بقلم الديبلوماسى والشاعر السودانى المعروف محمد المكى ابراهيم •

ويصدر هذا العدد فى اعقاب الجولة التى قام بها الدكتور الشوش فى عدد من عواصم الدول العربية ، حيث التقى بعدد كبير من صفوة الكتاب والمفكرين والشعراء والروائيين العرب ، الذين تم الاتفاق معهم لكى يشاركوا فى تحرير مجلة « الدوحة » • وفى هذا العدد يصافح القراء بعض آثار هذه الجولة فيما يقرءونه للكاتب الفلسطينى جبرا ابراهيم جبرا ، والروائى العراقى عبد الرحمن مجيد الربيعى ، والكاتب الاردنى الدكتور عيسى الناعورى ، والشاعر المصرى فوزى العنتيل ، والكاتب المصرى توفيق حنا •• والبقية تاتى فى الاعداد القادمة •

ايها القارىء العربى فى كل مكان : ان « الدوحة » وهى تبذل الجهد المتصل ، من اجل ان تستقطب الى صفحاتها خلاصة الكتاب والمفكرين والادباء العرب ، انما تريد بذلك ان ترفع من فوق منبرها انقى ما فى الصوت العربى من اصالة ، وجدة ، وموضوعية • وآن تستشرف الضمير العربى المفكر فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخها ••

أين كتاب القصة الشباب في العالم العربي .. وأين قصصهم؟!

تعليقات

● أحمد حمدى عبد العزيز
طنطا ـ مصر

لقد استمتعت بالمناقشة التي اجراها الاستاذ نعمان عاشور مع الادباء الشباب في عدد يونيو من مجلة الدوحة ·

ولقد ذكر الاستاذ نعمان عاشور اننا لا نهتم بكتابات الجيل السابق امثال الدكتور طه حسين ، والاستاذ عباس محمود العقاد ، وتوفيق الحكيم ·

وانه لشد ما يحزننا ان كتابات هؤلاء لم تعد تصدر منها طبعات جديدة حتى يتيسر لجيلنا مطالعتها بحسبان انها صدرت ونحن في مراحل لا تسمح لنا ظروفنا وسننا باقتنائها وفهمها ·

فهل ترى سيتحقق هذا الحلم ؟

● صبري أحمد نصر
دمنهور ـ مصر

ارجو ان اوضح بان لحن « الدانوب الازرق » من مؤلفات الموسيقي « يوهان شتراوس » وليس غيره كما ورد في مسابقة الدوحة لشهر يونيو الفائت ·



● عبد المنعم محمد جاسم
ذى قار ـ الشطرة ـ العراق

اشارة لما أشاره الكاتب رجاء النقاش عن شخصية نجل الشاعر العربي احمد شوقي وعن عدم نشر شعر الاطفال الذى كتبه الشاعر اورد ان الاستاذ محمد سعيد العريان قد قام بجمع هذا الشعر في الجزء الرابع من الشوقيات تحت عنوان يا بني : أول جزء فيها اسماه « الخصوصيات » ويحتوى على ١٥٦ بيت في عشرين قطعة ـ والثاني « ديوان الاطفال » ويحتوى على ١٢٣ بيت في عشر قطع ـ ولقد طبع هذا الجزء من الشوقيات طبعته الاولى عام ١٩٤٣ ـ بعد وفاة الشاعر بعشر سنوات تقريبا ·

والشعر الذى نظمه شوقي ولم يرد في الشوقيات فهو شعره المسرحى ·

● دفع الله أبو القاسم
طرابلس ـ ليبيا

اين كتاب القصة الشباب في العالم العربي ؟
أليس لهم متسع على صفحات مجلة الدوحة التي تدخل كل بيت ؟

ان وجود مساحة للقصة الشابة الجديدة في المجلة يفتح الباب لكثيرين يواصلون هذا التراث الضخم الذى وقف عند نجيب محفوظ والطيب صالح ·

افتحوا لنا الباب من فضلكم ·

الدوحة : الباب مفتوح لكل نتاج جيد وناضج

● احمد فضل شبلول
الاسكندرية ـ مصر

اتابع باهتمام سلسلة المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب التي تصدر في الكويت ـ واعجبني ـ د· احسان عباس في « اتجاهات الشعر العربي المعاصر » و د· فؤاد زكريا « التفكير العلمي » ·

واسال لماذا لا تصدر الدوحة شهريات مماثلة ؟! تحت عنوان « كتاب الدوحة » لمزيد من الخدمة الثقافية ولا شك ان دولة قطر العربية الشقيقة تولت جانبا هاما وفعالا في نشر الثقافة العربية والاهتمام بها ·

● الحاج عيسى أحمد
الابيض ـ السودان

اتابع جهدكم المبذول في تطوير الدوحة لتظل نافذة للفكر والادب العربيين · غير اني اود ان اذكر بانها لا تمنح الشباب من الكتاب فرصة نشر نتاجهم ـ وجل كتابها من الذين طالعناهم منذ منتصف الخمسينات ـ « ·· نعمان عاشور يوسف ادريس ·· الخ » ·· والاضافة الوحيدة ربما « كمال عمار ورجاء النقاش » ··

وآخذ على الاخير عدم ابتداع منهج نقدى حتى الآن ··

ارجو ان تفتحوا الباب للكتابات الجديدة والقدرات التي تبدع في الفكر والفن والادب وتتركوا لكبار الكتاب رعايتهم وتوجيه كتاباتهم ليقودوا مسيرة الفكر العربي في الزمن الآتي·



● السر محمد علي بشير
عطبرة ـ السودان

اقترح على مجلة الدوحة ان تبدأ كتابة التاريخ القديم للامارات العربية اضافة لما تقدمه من جهد مشكور في مجال الفكر والاداب ·

● عبد الرحمن يوسف عثمان
الابيض ـ السودان ·

ارجو حين تنشرون شعرا ان تكتبوا لنا نبذة تتعرف بها على كاتبه وبلده وحياته مما يساعدنا في فهم القصيدة او الشعر

● احمد سالم
القاهرة ـ مصر

لماذا لا تقيمون مسابقات سنوية في القصة والشعر تشجيعا لناشئة الكتاب والادباء ـ ولا يشترط ان تكون جوائزها مادية ـ فيكفي نشر الاعمال المبشرة باديب او شاعر ·

أدب وثقافة

● محمد احمد الحفناوي
القاهرة ـ مصر

قرات باهتمام ما كتبه الدكتور هدارة عن ازمة القصة في ادب احسان عبد القدوس وارى ان الدكتور هدارة تناول احسان بالنقد من خلال تصنيفه ضمن كتاب المذهب الطبيعي الذى ينتمي اليه « اميل زولا » « ومكسيم جوركي » ـ وفي رايي ان احسان لا ينتمي لهذا المذهب باي حال ·

وعلينا الا ننسى بان مفهوم القصة واسلوبها يختلف من كاتب لآخر حسب مفهوم الكاتب لهذا المذهب او ذاك ·

● المحرر : ـ « زولا » و « جوركي » من كتاب الواقعية وليس كما ذكرت ·

● من عبد الرحمن كامل ـ كلية التجارة ـ بلبيس ـ مصر

طرح الاستاذ محمد جابر الانصارى فى مقاله « الادب الجيد والادب الردىء » بعدد يوليو من مجلة الدوحة قضية هامة على مستوى الفكر العربى المعاصر · ارجو أن تجد المتابعة من المفكرين والكتاب العرب · فنحن قد ابتلينا بقوى تحاول ان تخلق فى الوطن العربى مناخا مشوشا ومنهارا وعاجزا برغم تراثه الاسلامى الحضارى العظيم ، وقد كان نتاج ذلك ان انتشر الادب الردىء والفكر الضعيف الشىء الذى يهدد الكيان العربى كله ·

أرجو أن تطرح القضية على بساط البحث من جديد ·

اقرأ فى أعداد قادمة :

على هامش سيرة إقبال
جمال محمد أحمد

الإنسان الوسيلة والإنسان الغاية
د. حافظ الجمالى

بين النقد الأدبى
والجمالية والبلطجة الفكرية
د. عيسى الناعورى

تساؤلات لخدش كبرياء الإبداع
فرانسوا باسيلى

هل نقرأ بحثاً عن تاريخ الصحافة العربية بمداريها واتجاهاتها المختلفة؟

● من احسان عبد الكريم فارس ـ شركة الهندسة العصرية ـ الكويت

لا يكفي أن تكون مجلة الدوحة جسرا لنقل الثقافة العربية ، بل نريد منها أن تكون جسرا ناقلا للادب والمعرفة والثقافات الاخرى ـ وفي ملاحظة أن المجلة لا تهتم كثيرا بالتراجم والاشارة الى ما يحدث في أوربا وأمريكا من الجديد في الادب والفلسفة والمعارف بالرغم مما نقراه للدكتور الشوش من تحليلات في بعض الاعداد .

● من وليد خضر الزبيدي ـ ٦٧ شارع وائل الاول ـ ركن الدين ـ دمشق ـ سوريا

نجد في مجلة الدوحة الكثير من الاهتمام بالادب العربي ـ فارجو أن تخصص المجلة ملفا شهريا أدبيا عن كل بلد عربي تنشر فيه أعمال ادبائه مع نبذة تعريفية عن كل أديب حتى يتم التواصل الفكري بين أبناء البلدان العربية .



● عاطف عبد الحليم ملاعبه الزرقاء ـ القويرية ـ الاردن

اشار الكاتب الناقد رجاء النقاش في مقاله « متى ينتهي عصر الحرمان الادبي » قضية اسهام المراة في المحيط الادبي أرى أن تفرد الدوحة صفحتين كل شهر لنتاج المراة في الشعر

ويجمع هذا النتاج آخر العام في ديوان شعري يطرح في الاسواق للقراء بالعربية .

العدد القادم



والأذن تعشق

طه حسين في ذكراه الخامسة

فؤاد دوّارة



ميخائيل نعيمة في عيد ميلاده التسعين

د. عيسى الناعوري

حكايات الغد في الليلة الثانية بعد الألف

دراما إذاعية بقلم : نعمان عاشور

إسلاميات

● من احلام محمد البلتاجى ـ شارع المعالى ـ روكسى ـ مصر الجديدة

نشرتم فى عدد يونيو من مجلة الدوحة مقالا مصورا وردت فيه صور بعض الآثار الاسلامية فى آسيا واوربا فهل اجد منكم بحثا عن المسلمين فى قارات العالم وعددهم وكيفية دخول الاسلام لبلدانهم « فالمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص » • « الخ الحديث » خاصة وقد سمعت انهم بامريكا يشكلون اعدادا كبيرة فى تلك البلاد النائية •

من المحرّر

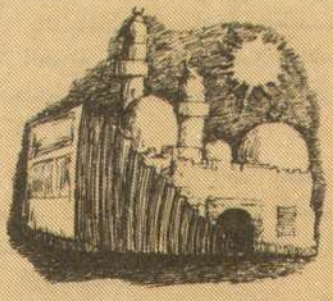
نود أن يهتم قراؤنا الاعزاء بالكتابة على صفحة واحدة من الورقة حين يكتبون للمجلة • كما نرجو أن يوضحوا عناوينهم بصورة تجعلنا نكاتبهم فى يسر •

وأيضا نأمل أن يكتب كل قارىء على ظرف رسالته الباب الذى يعنيه بالكتابة حتى تجد رسالته الطريق الصائب لمكان نشرها •

المحرر

أفكار جديدة

حتى نعود لعصر ازدهار الازهر



ما زالت المساجد فى بلادنا تستطيع ان تقوم بدور تربوى وتثقيفى كبير ، فالشاب عندما يصل لمرحلة المراهقة يميل على الارتباط بجماعة معينة او ناد معين ، ومن المصلحة ان يكون ارتباطه بالمسجد اذا وجد انجذابا نحوه ، حتى يصبح عضوا صالحا فى المجتمع الاسلامى المنشود •

ويمكن للقائمين بالاشراف على المساجد ان يجعلوها شعاعا ثقافيا وفكريا ، فتعقد الندوات ، ويلحق بكل مسجد مكتبه يستطيع الشباب ان يستعيروا منها ما يرغبون من الكتب •• وبذلك تتوفر لهم مصادر الاطلاع والبحث •• وتنمى الهوايات والمواهب • كما يستطيع المسجد ان يقوم بدور اجتماعى ، وذلك بحل مشاكل الشباب ومعاونتهم على اجتياز فترات القلق فى حياتهم •

وبذلك يتجاوز دور المسجد حدود اقامة الشعائر الدينية ؟ ويصبح مدرسة ومركزا للاشعاع فى البيئة • وبذلك يعود الى عصر ازدهار الازهر •

عمر محمد ابراهيم
ج م ع • ـ طريق
الميرغنى ـ مصر الجديدة

مطلوب ميزانية ضخمة للصحراء !

وهب الله الدول العربية نعمة كبيرة لم تلتفت اليها حتى الآن ، الا وهى الصحراء العربية •• واذا القينا نظرة سريعة عليها لوجدنا بها العديد من الميزات التى يمكن استغلالها فهى مخزن للبترول والمعادن والمياه والفحم ومواد البناء ، وهى مجال رحب للاستزراع ، وتصلح للبناء والسكن ، وهى المكان المناسب لانشاء المصانع ، كما ان الشمس تستطيع ان تعطيها طوال العام من



الطاقة ما يكفى لان نحول به مياه البحر الى مياه عذبة ، وتدير المصانع ، وتنير المنازل ، والرياح نستطيع استغلالها فى ادارة رافعات المياه •• كما ان الصحراء هى الارض الوحيدة التى تصلح لزراعة البلح والتين والشعير والزيتون ، وكثير من النباتات الطبية ، والمراعى ، وشجر الصمغ •

لذلك على الدول العربية ان تسارع وترصد ميزانيات ضخمة للانفاق على الصحراء فهى فى النهاية ستعطى من الخير الوفير ما يجعلنا لا ندم على ما بذل من اجلها •

نبيه خليل البدراوى
ج • م • ع • ـ الاسكندرية

د. سيّد نوفل

بعد قمة الخرطوم ومؤتمر بغداد

مستقبل التعاون الأفريقي العربي وعدم الانحياز

مصادر جديدة للخطر على العرب يكشفها مؤتمر الخرطوم

من الذي يتهم العرب بأنهم يريدون استعمار أفريقيا؟

ان التطورات الاخيرة فى قضيتى الشرق الاوسط وفلسطين ، وفى الصراع الدولى بين القوى الكبرى ، لا ترحم المترددين ولا المنتظرين ، ولا تدع مجالا للتاخر فى وضع خطة متكاملة لعمل مشترك عربى فعال ، نسوى بها مشاكلنا ، ونقرر الوسائل المحددة لتعاوننا فى المجالات السياسية والدفاعية والاقتصادية ، ونتفق فيها على دعم النضال القومى لتحرير الارض العربية المحتلة واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى .

ومن المتعين كذلك أن تشمل الخطة المطلوبة مراجعة تامة للسياسة العربية فى مجالى التعاون الافريقى العربى وحركة عدم الانحياز بعد المآخذ الشديدة التى ظهرت فيهما معا نتيجة للتطورات الاخيرة .

واذا كنا قد عالجنا الجانب العربى القومى فى المقالات السابقة ، فاننا نود أن نعالج اليوم الجانب الآخر للعلاقات العربية الدولية .

وذلك كله مقدمة لخطة العمل العربى المشترك المتكاملة قوميا ودوليا ، والتى نرجو عرضها تفصيلا من بعد .

لقد شهد النصف الثانى من شهر يوليو (تموز) الماضى مؤتمرين بالغى الاهمية فى مسار العلاقات الدولية عامة والعلاقات بين الدول النامية خاصة ، وفى مجالى التعاون الافريقى العربى ، ودور الدول العربية فى حركة عدم الانحياز بوضعها الراهن .

فقد كان من الانجازات التاريخية فى السنوات الاربع الماضية تنظيم التضامن الافريقى العربى .

والحق أن هذا التضامن قائم ، منذ خلقنا الله فى منطقة واحدة ، زخرت بالحضارات البشرية التليدة ، وضمت منازل الوحى بالديانات السماوية جميعا ، واظلت العالم بالوية الحرية والعدل والسلام دهرا طويلا .. ثم تآمرت عليها قوى الاستعمار والعنصرية ، واستنزفت قواها وامكاناتها .

ولكن التضامن الافريقى العربى اخذ يصحو من رقاده فى ثورات التحرير المتعاقبة طوال هذا القرن العشرين ، ثم اخذ ينتظم فى الامم المتحدة وسائر المحافل الدولية منذ منتصف الاربعينات .

أما بناؤه الحاضر فقد ارتفعت قواعده منذ حرب رمضان العظيمة عام ١٩٧٣ .

وكانت الوقفة الافريقية الاجماعية ، وقرارات مجلس الوزراء الافريقى باديس أبابا والقمة العربية بالجزائر فى الشهر التالى للحرب المجيدة ، هما بداية الدعوة الجادة لتنظيم التضامن الافريقى العربى فى مرحلته الحالية .

وفى ربيع العام الماضى (١٩٧٧) ، أرسى مؤتمر القمة الافريقى العربى الاول بالقاهرة قواعد العمل الافريقى العربى المشترك ، وفصل برامجه السياسية والمالية والاقتصادية والاجتماعية ، وتعاهد القادة الافريقيون والعرب على وحدة العمل فى قضايا التحرير والتنمية المشتركة .



وفى شهر يونية (حزيران) الماضى ، اجتمعت بنيامى ، عاصمة النيجر ، لجنة المتابعة الوزارية الافريقية العربية ، وأبدت الارتياح التام لمسيرة عملنا المشترك واشادت بالوفاء العربى بالالتزامات المالية المعلنة وغير المعلنة .. ومهدت لاجتماع المجلس الوزارى الافريقى العربى قبل نهاية العام الحالى لرسم خطة العمل المشترك فى المرحلة المقبلة .

وكذلك استعرض مؤتمر القمة الافريقى الخامس عشر بالخرطوم هذه المسيرة وانجازاتها ، ودعمها بتطلعات أوسع ، وآمال أعظم .

وكان من بواعث الامل فى المزيد من العمل ، أن يعرب المؤتمر فى قراراته ، الصادرة فى ١٩٧٨/٧/٢٢، عن تهنئته للدول العربية على الوفاء بتعهداتها ، التى أعلنتها فى مؤتمر القمة الافريقى العربى الاول فى اطار اعلان القاهرة وبرنامج عمله .

مواطن الخطر

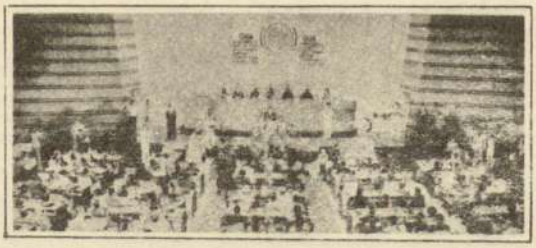
لكن مؤتمر القمة الافريقى الخامس عشر بالخرطوم كشف عن مواطن للخطر جديرة بتدبر البلاد العربية ، وباعادة التقييم لسياسة التعاون الافريقى العربى ، املا فى تصحيح مسارها ، وفى تنفيذ اعلان القاهرة للتضامن الافريقى العربى تنفيذا متكاملا ، يتناول الاحكام السياسية مثلما يتناول الاحكام الاقتصادية والمالية والاجتماعية .

فعلى طول عشرة أيام من المناقشات العادة (٨ ـ ١٨/٧/١٩٧٨) سمعنا بقاعة الصداقة بالخرطوم ما لم يكن يخطر ببالنا أن نسمع ، وشاهدنا من الحركات والتلويحات ما كنا نرجو أن تتنزه القيادات الافريقية التى تواجه أخطر التحديات فى حاضرها ومستقبلها .. ورجونا أن يكون مؤتمر القمة أحسن حالا من مؤتمر وزراء الخارجية .. ولكنه تبين فى اليوم التالى ، ورغم الجهود الصادقة الدائبة للرئيس السودانى جعفر نميرى، أن الامر أبعد غورا ، وأن دلالاته جديرة باعظم التقدير وأسرع التدبير .. ويكفى أن أشير فى هذا المقام الى بعض هذه المخاطر .

التدخل العسكرى الاجنبى

لقد ظهر اتجاه يسود الربع من أعضاء المنظمة الافريقية ، يدافع فى حرارة عن الوجود العسكرى الاجنبى فى القارة الافريقية ، ويرى فيه دعما لحركات التحرير الافريقية واشعوب القارة .. ويقول فى صراحة ان العون الاجنبى يسعى لخير الشعوب الافريقية ، على حين يسعى العون العربى لاستعادة الاستعمار والاستغلال لافريقية .. ثم ظهر الامر على أتمه حين أعلن رئيس جمهورية بنين الشعبية « مايوكريكيو » أن الوجود العسكرى الاجنبى فى بلاده سيزداد ويتدعم ولن ينتهى ابدا ، وان حزب الشعب الذى يحكم بنين حزب لينينى ماركسى .. وأيدته فى شدة وفود عديدة ، فى مقدمتها وفود موزمبيق وانجولا واثيوبيا ومدغشقر والراس الاخضر وساوتومى وبرنسيب وغينيا بيساو وغينيا

مستقبل التعاون الافريقي العربي وعدم الانحياز



الاستوائية وسيراليون ·· وكذلك نحا نحوهم وفدان عربيان ·

ولهذا الخلاف الذى لم يكن الكثيرون يتصورون مداه ، تباينت الآراء بشان انشاء قوة عسكرية افريقية للتدخل فى النزاعات الافريقية ، فى نطاق منظمة الوحدة الافريقية ، وبعيدا عن المداخلات الاجنبية ·

وعجز مؤتمر الخارجية عن الوصول الى قرار فى الموضوع ، وأحاله الى مؤتمر القمة ·

وقد تكررت فى القمة المواقف التى دارت فى مؤتمر الوزراء ، بغير اختلاف فى النمط والاداء ·· واخيرا صدر قرار توفيقي لا يحسم الامر ، وانما يتركه للايام تحسمه أو تزيده تفاقما ·

فقد اكد القرار على استبعاد التفكير فى انشاء قوة عسكرية افريقية الا فى اطار منظمة الوحدة الافريقية، وعلى أن مسئولية الدفاع عن افريقية وأمنها تقع على عاتق الافريقيين وحدهم لكن القرار اشار فى ديباجته الى الحق الثابت لكل دولة فى اتخاذ جميع الاجراءات التى تراها ضرورية للحفاظ على سيادتها واستقلالها وأمنها ·· وبهذا فتح الباب على مصراعيه للبلاد التى تدافع عن التدخل الاجنبى فى القارة الافريقية ·

وهكذا استطاعت الاقلية أن تعطل اتجاه الاغلبية الى ادانة المداخلات الاجنبية أيا كان مصدرها ، والى اقامة قوة أمن افريقية فى نطاق منظمة الوحدة الافريقية ·

فقد كانت الاغلبية تشق طريقها بصعوبة من أجل المحافظة على حياد القارة وأمنها ، وعلى تحريرها من سيطرة القوى الكبرى ، والتمسك فى ذلك بسياسة عدم الانحياز ومبادئها ·· لكن هذه المجموعة التى تمثل ثلاثة ارباع الدول الافريقية تتوزعها عدة ميول نحو الشرق والغرب أو عدم الانحياز الحقيقي ·· كما انها لا تعلن صراحة عن موقفها ، لانها أو كثرتها على الاقل لا تميل الى اتخاذ مواقف ضد احدى الكتلتين أو ضدهما معا ·

طرد وفد جزر القمر

وكان من نتائج النشاط وروح الاندفاع ، التى سادت مواقف بعض الدول الافريقية طرد وفد جزر القمر من حضور اجتماعات مجلس وزراء الخارجية ومؤتمر القمة الافريقيين ·

لقد هاجم وزير خارجية جمهورية بنين الشعبية ، فى سياق حديثه العام واستطرادا ، حكومة الانقلاب الذى تم فى جزر القمر ·· وأورد ما تناقلته وكالات الانباء والصحف فى الاشهر الاخيرة من أن المرتزق الفرنسى المعروف بوب دينارد هو صاحب هذا الانقلاب ، وأنه يشغل الآن منصبا وزاريا فى حكومة احمد عبد الله القمرية ، وأن افريقية عانت ولا تزال من المرتزقة ، ولا يمكن أن يسمح لوفد حكومة المرتزقة بالجلوس بيننا ·

وكان من المتعين على الاقل عرض الموضوع بطريق رسمي ، وأن يدرج على جدول الاعمال قبل مناقشته ، وأن تقدم فيه مذكرة مكتوبة تبحث ويتخذ القرار على أساسها ·· كما كان من المتعين الاستماع الى وجهة نظر

رؤساء التحرير العرب في الأردن

في لقاء مع الزبير سيف الاسلام امين عام المركز العربي للدراسات الاعلامية ، قال ان في هذا العام ستتم دورة خاصة لرؤساء تحرير اهم الصحف في الوطن العربي ، وستعقد في عمان ـ الاردن ـ وذلك لمناقشة اهم قضايا الوطن العربي ·· كما سترسل مجموعة من الصحفيين العرب لزيارة بعض الاقطار الاجنبية في اطار التبادل ··

وقال ايضا ان مشروع اقامة دورة في الكويت حول التنمية الصناعية في البلاد العربية ما زال قائما ··

والمعروف ان الزبير سيف الاسلام ، بالاضافة الى منصبه كامين عام للمركز العربي للدراسات الاعلامية ، يعتبر من الشخصيات الصحفية المعروفة، ليس في بلده الجزائر فقط ، ولكن في الوطن العربي من خلال مقالاته القيمة في السياسة والاقتصاد والادب ، كما ان ماضيه يشهد باشتراكه في الكفاح من اجل استقلال بلاده وتوليه عدة مناصب اعلامية بعد الاستقلال

- لايجوز تقديم المساعدات العربية دون إشراف سياسى اقتصادى
- لماذا صدر قرار بطرد وفد جزر القمر من المؤتمر؟
- استعادة التضامن العربى هو الأساس الوحيد

الوفد ، وان كان هذا الوفد نفسه لم ينل احترام أحد لانه ظل صامتا ساعتين كاملتين للهجمات المقذعة على حكومته وعليه ولم يحرك ساكنا .. ثم خرج فى هدوء حين تقرر طرده بالموافقة العامة بالتصفيق من البعض دون أخذ الاصوات .

ولكن القواعد الدستورية على كل حال كان من المتعين احترامها ، وأن يؤخذ الموضوع مأخذ الجد والاحترام للنظم الاساسية لمنظمة الوحدة الافريقية ، التى تتعلق بها الآمال فى بناء غد افضل للقارة المعطاء وشعوبها الفتية .

بين التقرير والتنفيذ

ومما كشفت عنه أعمال مؤتمر القمة الافريقى بالخرطوم ، ومؤتمر وزراء الخارجية لعدم الانحياز ، المجافاة بين التقرير والتنفيذ فى مجال التعاون الافريقى العربى .

فقد قام هذا التعاون فى مرحلته الحالية على قواعد سياسية واقتصادية واجتماعية .. وكانت القاعدة السياسية هى أساس هذا التعاون كما نظمته قرارات مؤتمر القمة الافريقى العربى الاول فى اجتماعه بالقاهرة فى التاسع من مارس (آذار) لعام ١٩٧٧ . وقد نصت هذه القرارات على ما يأتى :

« ان البلدان الافريقية والعربية ، تؤكد من جديد التزامها بسياسة عدم الانحياز عاملا هاما فى الكفاح من أجل :

أ ـ حرية واستقلال الامم ،

ب ـ اقامة عالم يسوده السلام والامن لجميع الدول ،

جـ ـ التطبيق الشامل لمبادىء التعايش السلمى ،

د ـ اسباغ الصبغة الديمقراطية على العلاقات الدولية ،

هـ ـ حقوق متساوية فى التعاون ،

و ـ التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى » .

واليوم أصبحت بعض الدول الافريقية تدافع عن اتخاذ القارة موطنا للصراع الدولى ، ويتجه بعضها شرقا وبعضها غربا ، وينادى البعض الآخر على استحياء للالتزام بالمبادىء التى تخدم قضايا التحرير والتنمية : مبادىء عدم الانحياز .

الخلاصة

أن مؤتمرى الخرطوم وبلجراد الاخيرين كشفا عن حقائق يتعين على العالم العربى أن يعمل لها ، ويتعين على قادتهم أن يقفوا صفا واحدا وارادة واحدة من أجل المصالح القومية العليا ، عاملين لما يأتى :

أولا ـ استعادة التضامن العربى أساسا للعمل العربى المشترك الفعال ، وقاعدة صلبة للنجاح فى المعترك الدولى ، سواء فى العالم الاسلامى أو فى أفريقية أو فى سائر البلاد النامية والبلاد غير المنحازة أو فى مجال الامم المتحدة .

ثانيا ـ مراجعة الموقف فى مجال التعاون الافريقى العربى ، والعمل للالتزام بالمبادىء التى تقررت فى القمة الافريقية العربية الاولى فى العام الماضى ، أو مراجعتها وتعديلها على ضوء التطورات الاخيرة بما يكفل الامن والاستقرار والتقدم للعالمين العربى والافريقى .

ثالثا ـ توجيه العناية الى الجانب السياسى فى التعاون الافريقى العربى ، وتلافى التصور الخطر الذى يحاول البعض اضفاءه على هذا التعاون العربى السخى ، وهو أنه تعاون تجارى استثمارى . وقد ساعد على هذا التصور الخاطىء أن هذا التعاون يتولاه الآن مصرف عربى متخصص دون اشراف جهاز سياسى يربط العمل الاقتصادى بالعمل السياسى . وذلك حسب برنامج القاهرة الذى اعتمدته القمة الافريقية العربية فى ربيع ١٩٧٧ .

رابعا ـ مراجعة الموقف العربى من سياسة عدم الانحياز ، واتخاذ خطة موحدة من مسار هذه السياسة ومن مؤتمر القمة لعدم الانحياز فى العام القادم .

وما ذلك على الله بعزيز ...

د. سيد نوفل

محمد المكى إبراهيم

قمة الخرطوم الافريقية

تباينَت الرؤى حول تحديد مصادر الخطر لكنها اتفقت على التسليم بوجود الخطر نفسه

أكبر تجمّع لرؤساء دول وحكومات أفريقيا منذ إنشاء منظمَة الوحدة الأفريقية فى عام ١٩٦٣



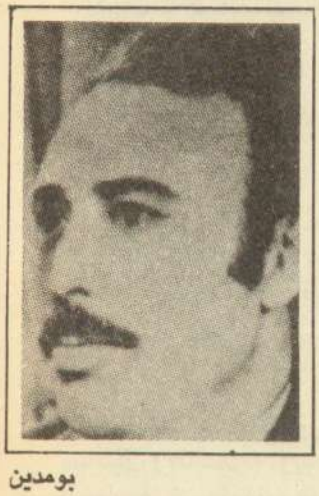
جعفر نميرى



انور السادات



الملك الحسن



بومدين

ان دور الخرطوم كعاصمة مضيفة لا يخرج عن حدود واجبها فى حسن الاستقبال والضيافة وتهيئه المكان المناسب والجو المناسب لعقد الاجتماعات ٠

انعقد مؤتمر القمة الافريقى الخامس عشر بمدينة الخرطوم فى يولية الماضى ٠ وواكبت المؤتمر مجموعة من الظروف المواتية ضمنت له اطارا من الاهمية واثارة الاهتمام بحيث يحتاج مسئول الاعلام لقدر كبير من الجعود ، او ربما المغالطة ليشكو من قلة احتفاء الاعلام الخارجى بالمؤتمر ٠ كان هنالك افراط فى العفاوة الاعلامية حتى لقد تسربت لاجهزة الاعلام الكثير من وقائع الجلسات المغلقة وقراراتها ٠

على راس تلك الظروف التى احاطت بالمؤتمر انعقاده فى مرحلة خطيرة من حياة القارة كثرت فيها التهديدات والتحديات من الخارج. وتزايدت فيها الخلافات والمنازعات فى الداخل فعلى الصعيد الخارجى بدات القارة الافريقية تحتل مركز الصدارة كمسرح لصراعات الدول الكبرى وتدفقت عليها الاسلحة والجيوش الاجنبية متدخلة تدخلا سافرا فى الشئون الداخلية للدول الافريقية وفى علاقاتها بشقيقاتها ٠ وعلى الصعيد الداخلى برزت النزاعات المسلحة وغير المسلحة بين الدول الاعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية فاصبحت تمثل تهديدا لسلام القارة ووحدتها خاصة فى ظروف التدخل الاجنبى ٠ كما كانت احداث بالغة الاهمية تدور فى الجنوب الافريقى وبالذات فى زمبابوى وناميبيا حيث تقف ناميبيا على اعتاب الاستقلال ويتصاعد الكفاح المسلح فى زمبابوى بصورة صار معها انهيار حكم الاقلية البيضاء امرا وشيك الحدوث ٠

وبالطبع كانت الرؤى متباينة داخل المؤتمر حول تحديد مصادر الخطر ولكنها تتفق على التسليم بوجود الخطر نفسه ٠ فهنالك من قال بان هجمة استعمارية جديدة قد انتظمت صفوفها لاجتياح القارة واعادة استعمارها وانه يتوجب على افريقيا التحلى باليقظة لمواجهة المطامع والطامعين وصدهم ، بينما كان هنالك من يقول بان نوعا جديدا من الاستعمار العقائدى قد بدأ زحفه على افريقيا وانه



الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الافريقي

لا فرق بينه وبين الاستعمار التقليدى رغم هالة الشعارات التى يرددها عن الروح الامى والصداقة الكفاحية وانه يتوجب على افريقيا الحيطة والحذر ... والتصدى . ولا يحتاج المرء الى مزاوجة الماء بالنار ليستخلص من ذلك ان يسارى القارة ومعتدليها اجمعوا بذلك على خطورة المنعطف التاريخى الذى تجتازه القارة وما يمثله ذلك من تهديد لسلامها واستقلالها وتقدمها .

وقد تجلى ذلك الاجماع فى ارتفاع نسبة المشاركة من قبل الرؤساء فى مؤتمر الخرطوم ، فقد كانت قمة الخرطوم اكبر تجمع لرؤساء دول وحكومات افريقيا منذ انشاء منظمة الوحدة الافريقية فى عام ١٩٦٣ وحضرها من رؤساء الدول ثلاثين رئيسا الى جانب التمثيل المرتفع للرؤساء المتغيبين والاعذار القوية التى قدمها الكثيرون منهم فى تبرير ذلك الغياب . وقد وجدت الصحافة العالمية مصدر اثارة وتكهن وتنبؤات فى حضور الرئيس الغينى احمد سيكوتورى للخرطوم بعد انقطاع عن مؤتمرات المنظمة الافريقية دام ثلاثة عشر عاما متوالية ولاسباب لا زال الرئيس سيكوتورى ممتنعا عن الادلاء بها . ومن هنا كانت مشاركته فى قمة الخرطوم ذات دلالة سياسية كبرى فى الظروف التى تكتنف القارة من ناحية وفى علاقاته الثنائية بالسودان من ناحية اخرى .

واذن فقد شهدت الخرطوم اكبر تجمع لرؤساء الدول الافريقية فى واحدة من احرج لحظات حياة القارة واقساها .. ولكن تابى الصدف الا ان تضيف لتلك التوافقات توافقا جديدا فقد وافق مؤتمر الخرطوم انتهاء ولاية الامين العام الادارى لمنظمة الوحدة الافريقية ومساعديه مما اعطى المؤتمر ـ على الصعيد الافريقى بالذات ـ اهمية مضاعفة اذ اشتمل جدول اعماله على بند لا يتكرر فى جداول اعمال القمة الا مرة واحدة كل اربع سنوات وهو : انتخاب الامين العام الجديد وهو المنصب الذى فاز به السيد آدم كوجو وزير خارجية توغو .

ماذا عن النتائج ؟

بالطبع ، يتعلق كل ما اسلفناه ، بالظروف الخارجية المحيطة بالمؤتمر والتى تمثل عنصر جذب اعلامى لصالح المؤتمر وتضع المؤتمرين فى جو المسئولية التاريخية المحدقة بهم . ولكن ماذا عن


كنث كاوندا


احمد سيكوتورى


ساموورا ماشيل


دوادا كريبا


سيادبرى

٠٠ وان نجاح تجمع سياسي كمؤتمر القمة الافريقى لا يقاس بدرجة الاجماع التى تحققت ٠ ولا يقاس فشله كذلك بالخلافات التى بدرت ٠ وانما يقاس الفشل والنجاح بفاعلية القرارات الصادرة عنه والامكانات المتاحة أمامها لتحقيق تلك الفاعلية ٠

النتائج التى توصل اليها المؤتمر ؟ هل يمكن وصف قمة الخرطوم بالنجاح فى التصدى للتحديات القائمة وحلها لصالح افريقيا ؟

قبل محاولة الاجابة على هذا التساؤل لابد من تقرير حقيقتين :

العقيقة الاولى هى ان انعقاد المؤتمر بالخرطوم لا يعنى مسئوليتها عن فشله أو نجاحه فى أعماله ، فدور الخرطوم كعاصمة مضيفة لا يخرج عن حدود واجبها فى حسن الاستقبال والضيافة وتهيئة المكان المناسب والجو المناسب لعقد الاجتماعات وتوفير المعدات والقدرات الفنية اللازمة لسير المؤتمر مع ضمان حماية امن الشخصيات المشتركة ٠٠اما غير ذلك من الامور كتوفر الاجماع أو الاغلبية الكبيرة لاجازة القرارات ونوعية تلك القرارات والمسار الذى تندرج فيه ، فتلك أمور تتجاوز واجبات البلد المضيف ٠ وقد

العقيقة الثانية هى ان نجاح تجمع سياسى كمؤتمر القمة الافريقى لا يقاس بدرجة الاجماع التى تحققت ، وفشله كذلك لا يقاس بالخلافات التى بدرت ٠ وانما يقاس الفشل والنجاح بفاعلية القرارات الصادرة عنه والامكانات المتاحة امامها لتحقيق تلك الفاعلية ٠ فرب مؤتمر يتخذ أكثر القرارات بريقا ودويا وباكبر الاغلبيات ان لم يكن باجماع المؤتمرين ، وعند التطبيق العملى تسقط قراراته فى الامتحان وتبقى حبرا جميلا على ورق جميل ٠٠ ورب مؤتمر يجيز قراراته فوق جثة الاقلية وعند التطبيق تفلح الاقلية بمسنهان بها فى منع تلك القرارات من ان توضع موضع التنفيذ ٠

وقد أردنا باثبات هذه العقيقة الاخيرة ان نتخذها مدخلا لتناول ما خاضت فيه بعض الصحف الغربية من ان مؤتمر الخرطوم قد فشل لانه لم يفلح فى اصدار قرار يدين التدخل الاجنبى فى القارة الافريقية ويمنع الدول الاعضاء منعا حاسما صارما من دعوة الدول الاجنبية للتدخل العسكرى لصالحها ، وهو قول فيه تحامل كثير فالمؤتمر قد خرج بصيغة وفاقية حث فيها الدول الافريقية على حل منازعاتها بالطرق السلمية داخل الاطر الافريقية تفاديا للتدخل الاجنبى الذى يقود الى مزيد من التدخل الاجنبى ويفاقم المشاكل بدلا من حلها وسنورد ، فيما بعد ، من الشواهد ما يؤكد جدية المؤتمر فى تبنى هذه الصيغة بدلا من الادانة العارية التى تتمناها علينا تلك الصحف ٠

معسكران فكريان

لقد كان واضحا حتى قبل نشوء منظمة الوحدة الافريقية ان

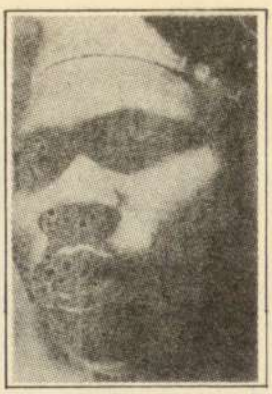

الرئيس نميرى واتيكي يتشاوران اثناء الجلسة


جانب من اجتماعات الوفود


عمر بونجو


منقستو

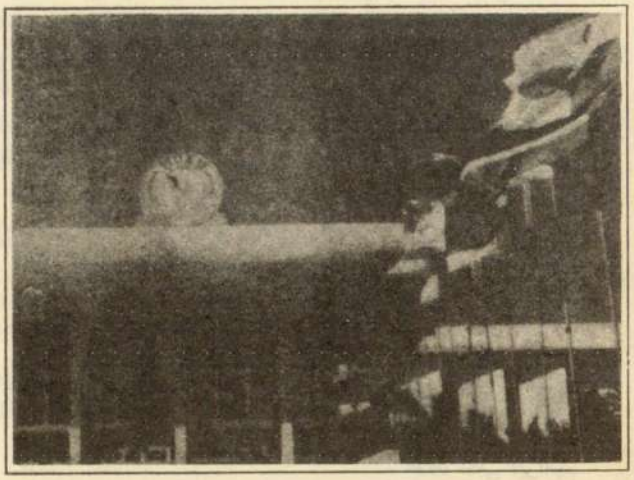

ديرير راتسيراكا


أوباسانجو


اياديما

القارة تنقسم الى معسكرين فكريين يجنح احدهما نحو اليسار ويجنح الآخر نحو الاعتدال • ولم يكن لمؤتمر الخرطوم ان يشذ عن هذه القاعدة ويلغى هذا الانقسام • فقد كان هنالك منذ البداية معسكر ينادى بادانة التدخل الكوبى السوفيتى فى شئون القارة ، ومعسكر مناوىء ينادى بادانة التدخل الغربى ولم يكن هذا الفريق اقل اصرارا على موقفه من المعسكر الآخر رغم انه اقل ناصرا وعددا • وازاء ذلك كانت المنظمة مهددة بالانقسام اذا اصرت على اجراء التصويت حول مبدأ الادانة وهو انقسام لا يساوى ثمنه فكل المقصود من الادانة مردودها الادبى والمعنوى ولكنها كانت ستفقد محتواها الادبى والمعنوى اذا وقع حولها خلاف كبير •

وهكذا •• بدلا من اللجوء الى التصويت على الادانة اللفظية للتدخل الاجنبى قام المؤتمر بايجاد البديل العقيقى للتدخل الاجنبى وهو الحل السلمى للمنازعات الافريقية داخل الاطر الافريقية وعلى أيدى الافارقة أنفسهم • ولكى لا يبقى هذا النص مجرد امنية اتخذ المؤتمر قرارا آخر يقضى بتنشيط لجنة الدفاع المنصوص عليها فى ميثاق المنظمة لتدرس وسائل انشاء قوة عسكرية افريقية مشتركة تقوم بفض النزاعات المسلحة بين الدول الافريقية وتسهم فى تحرير القارة والدفاع عنها وتنهض بديلا افريقيا صميما عن جيوش الشرق والغرب وعن التدخل العسكرى للشرق والغرب فى شئون افريقيا الداخلية • واتخذ المؤتمر قرارا آخر بإحياء وتقوية اجهزة حل المنازعات داخل منظمة الوحدة الافريقية وعلى راسها لجنة الوساطة والتوفيق والتحكيم مع النظر فى وسائل زيادة



فعاليتها السياسية والقانونية وبذلك يكون المؤتمر قد وضع يده على مفتاح الحل العقيقى لمشكلة التدخل الاجنبى فى افريقيا •

المشاكل الافريقية

وهنالك ناحية اخرى احرز فيها المؤتمر نجاحا بارزا وهاما وهى القضايا المتعلقة بالنزاعات بين بعض الدول الافريقية وبعضها الآخر • وهى نزاعات سابقة على مؤتمر الخرطوم واتخذت المؤتمرات السابقة حولها بعض القرارات ولكنها لم تفلح فى ايجاد العلول لها ، بل على العكس تفاقمت واستعصت على لجان الوساطة التى كونتها المنظمة الافريقية لمعالجتها ومن ذلك النزاع بين اثيوبيا والصومال وبين ليبيا وتشاد وبين السودان واثيوبيا والنزاع المعقد حول الصحراء الغربية بين الجزائر والمغرب وموريتانيا •

وبالطبع لا يمكن الادعاء بان قمة الخرطوم افلحت فى حل تلك النزاعات ولكن لا جدال فى انها قدمت اسهاما متواضعا على سبيل الحل • فمشكلة الصحراء الغربية مثلا ظلت متجمدة فى اجندة المنظمة لثلاث سنوات بانتظار مؤتمر استثنائى وعاجل ينعقد خصيصا لمناقشة الوضع فى الصحراء ولكن ثلاث سنوات لم تكف لعقد ذلك المؤتمر العاجل مما جعل بعض المعنيين بالمسالة يطالب المنظمة بان تنفض يدها منها ليتسنى لهم نقلها الى الامم المتحدة • وبعد جدال طويل تغلبت الحكمة فى مؤتمر الخرطوم وتم اتخاذ قرارات ايجابية تستهدف الحل الجذرى للمشكلة وليس مجرد التعجيل بعقد المؤتمر الاستثنائى • وعلى راس تلك القرارات القرار القائل بتكوين لجنة افريقية برئاسة الرئيس السودانى جعفر محمد نميرى رئيس الدورة العالية للمنظمة وذلك للبحث فى الوسائل الكفيلة بحل المشكلة بالوسائل السلمية •

وفى النزاع بين تشاد وليبيا حدث تقدم بسيط ولكنه عميق الدلالة فقد كانت اعمال لجنة الوساطة بين البلدين قد توقفت قبيل انعقاد المؤتمر واستحكم العداء بينهما وتبودلت الاتهامات • ولذلك يعتبر مؤتمر الخرطوم متقدما بالمقارنة الى الوضع الذى كان سائدا بينهما اذ قرر المؤتمر وبموافقة الطرفين ان تستانف لجنة الوساطة بينهما اعمالها مع استعانتها بفريق من خبراء الحدود وقراءة الخرائط ، ومن المامول ان تتجاوب البلدان مع اللجنة خاصة وانهما تبادلا الاتهامات داخل المؤتمر محاولا كل منهما ان يلقى على الآخر مسئولية توقف اعمال اللجنة •

وهناك تقدم معائل فى النزاع بين اثيوبيا والصومال فقد كانت


مالوم


مانيو كيريكيو


توالبيرت


سنجور


كورت فالدهايم

مساعى الوساطة بينهما قد تعثرت واشتعلت الحرب العلنية فى الاوغادين وكانت لجنة الوساطة نفسها موضع اعتراض منهما حتى أن رئيسها اعلن انسحابه من رئاستها ثم عاد « فسحب انسحابه » ، على حد تعبيره ، تحت الحاح المؤتمر • ولكن المناقشات التى دارت فى قمة الخرطوم انتهت بصدور قرار يدعو الدولتين الى ايقاف اطلاق النار وسحب قواتهما الى داخل حدود كل منهما مع تفويض اللجنة الاستمرار فى مساعيها لحل النزاع بينهما • وقد كان للرئيسين نميرى وسيكوتورى فضل المبادرة فى تقديم هذا الاقتراح الذى قال عنه الرئيس الغينى انه لا يستند فى تنفيذه الا على السلطة الاخلاقية التى تتمتع بها المنظمة على الدول الاعضاء • أما نزاع السودان واثيوبيا فقد شهد تطورا مختلفا ولكنه تطور فى الاتجاه الصحيح فقد اوضح الجانب السودانى انه لا خلاف ولا نزاع بين السودان واثيوبيا كدولتين ولكن هنالك مشكلة بين اثيوبيا واريتريا هى التى يتولد عنها كل خلاف بين البلدين وبذلك يصبح لزاما على منظمة الوحدة الافريقية أن تجد حلا للمشكلة الاريترية فتكون بذلك قد أوجدت الحل للمشاكل بين السودان واثيوبيا • وقد كان واضحا اقتناع المؤتمر بوجهة النظر السودانية فتم ايجاد الصياغة المناسبة لقرار يتضمن تلك المعانى بصورة مبطنة • ولا شك ان هذا التطور الهام هو بنفس الوقت التطور الصحيح منظورا اليه من زاوية العدل ومناصرة حركة التحرر الاريترية •

القضية العربية

ولم يبخل المؤتمر بتاييده ومساندته على قضية الحق العربى فقد طالب بالانسحاب الكامل الاسرائيلى من كافة الاراضى العربية المحتلة وتمكين الشعب الفلسطينى من ممارسة حقوقه المشروعة وعلى راسها حقه فى العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطنى كما اشاد المؤتمر بالتعاون العربى الافريقى فى المجالات الاقتصادية والتلاحم بين الثورتين العربية والافريقية فى المجال السياسى ودعا لتعزيز ذلك التعاون وتوسيعه • كما طالب بصفة المراقب لحركات التحرير الافريقية فى اجتماعات الجامعة العربية •

والشىء الملفت للنظر فى هذا المؤتمر هو صبر الدول العربية على خلافاتها العربية وامتناعها عن نشر غسيلها على المؤتمرين • وقد كانت الخلافات العربية فى المؤتمرات السابقة مصدر سآمة واملال للوفود الافريقية التى لا شان لها بمهاترات العرب وانقساماتهم وتلاسنهم خاصة وتلك المهاترات مصدر رئيسى من مصادر التعطيل واضاعة الوقت •

العبرة بالخواتيم

لقد اتخذ مؤتمر الخرطوم عددا ضخما من القرارات فى مختلف المجالات من سياسية الى اقتصادية الى فنية • ولعل المقياس الحقيقى لنجاح المؤتمر أو فشله هو التطبيق الناجز الفعال لتلك المقررات وهو أمر يتوقف على التزام الدول الاعضاء بالقرارات التى شاركت فى اجازتها خلال المؤتمر وعلى نشاط الامانة العامة لمنظمة الوحدة الافريقية فى متابعة التنفيذ ومراقبته وعلى حكمة رئيس الدورة فى قيادة المنظمة واجهزتها المختلفة خلال فترة رئاسته • وعلى هذا الاساس فان كثيرا من جلائل الاعمال ينتظر الدبلوماسية السودانية خلال العام الممتد من الآن وحتى يولية القادم كما ان اعباء كثيرة ستقع على عاتق الرئيس جعفر محمد نميرى بوصفه رئيس الدورة العالية لمنظمة الوحدة الافريقية •

واذن فمهما كان نصيب المؤتمر من النجاح فان امام الخرطوم فرصة اضافية لزيادة ذلك النصيب •• فرصة تمتد الى يولية ١٩٧٩ •

محمد المكى ابراهيم



الرئيس جعفر نميرى يعانق السكرتير السابق لمنظمة الوحدة الافريقية

علي سيار

نقطة حبر



وللحقيقة ألف وجه..!

بقدر ما تدهشك سرعة النبض في الحياة الغربية وبقدر طغيان الآلة ، سواء العملاقة منها التي تشبه الجبال أو تلك الدقيقة الصنع الصغيرة الحجم التي لا تتجاوز حجم الكبريت .. بقدر ما يدهشك كل ذلك بقدر ما تبقى هناك للانسان قيمته ككائن متميز مهما بلغ به العمر وامتد به الزمن .

فالانسان هناك منذ اليوم الذي يخرج فيه من بطن أمه وهو محور أهتمام الناس والدولة على حد سواء .. انهم هناك يشعرون أطفالهم ويتعاملون معهم كرجال صغار ... يحترمون تفكيرهم ويقدرون مشاعرهم ويانسون الى أحاديثهم وهم على استعداد دائما للاجابة الى أسئلتهم المعقدة ، والمملة في ذات الوقت ، مهما كانت مشاغلهم ومهما كانت درجة الضحالة في أسئلة أطفالهم .

فبرامج الاطفال في تليفزيوناتهم تبهرك بمادتها وعمقها رغم بساطتها وخلوها من العشو (والهذيان) اللذين تتسم بها برامج الاطفال عندنا .. أكثر من ذلك فان ما يصرفونه على برامج الاطفال هناك يوازي ضعف ما يصرف على برامج الكبار والسبب في ذلك ان الطفل هو (العمر القادم) .. اما الكبير فهو (العمر الراحل) والفائدة المرجوة من هذا البرعم الصغير تتجاوز ما يمكن ان يقدمه الكبير بعد عشر أو عشرين سنة .

ومن هنا يشب الطفل سوى الشخصية خال من العقد والرواسب وقادرا على التلاؤم مع البيئة التي نشأ فيها يعطيها ـ عندما يكبر ـ ما عنده ويأخذ منها حاجته .

العيب عندهم ليس هو ما تعارفنا نحن على تسميته بالعيب .. العيب عندهم هو ان تكذب أو تسرق أو أن تؤذي الاخرين .. بينما العيب عندنا هو ان تكون عكس كل ذلك .. فالاب هنا عندما يريد ان يتخلص من مضايقات ابنه يكذب عليه .. ويكون ذلك أول درس في ممارسة (العيب) يتعلمه الطفل من والده ..

ويتكرر الدرس .. كل درس شحنة ناسفة من الخداع والتضليل والنفاق والدجل وممارسة الوجه الآخر للحياة .. الوجه القبيح .

ولا عجب بعد ذلك اذا شب الطفل عندنا وهو يكره المدرسة لان الطريق اليها جاء عبر والد لا يؤمن بالمدرسة بقدر ما يؤمن (بالشهادات) . لكانما الشهادة هي غاية الغايات في حد ذاتها .. فالاب يريد من ابنه أن يكون دكتورا لا لكي يثري الحياة الانسانية بعلمه وخبرته ولكن ليستطيع أن يجمع أكبر قدر من المال باقل قدر يبذله من الجهد .. وذلك هو الدرس الذي يتلقاه الابن من والده صباح كل يوم .

ولكن هذا الذي يريد لابنه أن يصبح رجلا لا يقول له بأن من أوليات مبادىء الرجولة ان يحترم هو ـ كأب ـ مشاعر ابنه وطموحاته .. أنه يتعامل معه من خلال قائمة طويلة من الاوامر والنواهي منذ اللحظة التي يبدأ فيها مرحلة الوعي .. فهو ممنوع من ان يدخن وممنوع من ان يسهر وممنوع من ان يكذب وممنوع من ان يخالط أولاد السوء .. ممنوع من كل ذلك بينما هو (الوالد) لا يجد غضاضة من أن يطلب من ابنه ان ياتيه بعلبة الكبريت ليشعل بها سيجارته ولا يجد حرجا من أن يكذب في حضرته على أمه أو على اخوته

وتضيع المعادلة .. ومعها تضيع كل الدروس البلهاء التي تلقنها في مدرسته عن الفضيلة والصدق والوفاء على يد مدرس ـ ربما كان أكثر ازدواجية من والده ـ .. مدرس يحفظ كل ما قيل شعرا عن الفضيلة والشهامة بينما هو في حقيقته ليس أكثر من دجال وضعته ظروف مجتمع سيىء في موضع المربي والمنشىء لجيل بائس تعيس ..!

انهم هناك يتحدثون ببساطة ويقولون ما يعنون .. الابيض عندهم أبيض والاسود أسود .. اما عندنا فللجمل مائة اسم وللسيف ألف وللاسد الفان .. وللحقيقة ألف وجه .

ولان الحقيقة لا تعترف الا بوجه واحد .. فانها لا تعترف بوجودنا .. وحين تفلت الحقيقة من اليد تختل الموازين وتضيع القيم وتبقى الاصابع متشبثة بالقشور ..!

ونحن في واقعنا أمة تتشبث بالقشور .. ولن نقدر ان نبرهن على عكس ذلك الا اذا استطعنا أن نتعامل مع الحقيقة على أنها الحقيقة .. والا اذا استطعنا ان نتعامل مع الاشياء بوجه واحد .. بدءا من علاقتنا باولادنا .. وانطلاقا الى تعاملنا مع الناس في الكون الارحب .

علي سيار

جبرا إبراهيم جبرا

ملاحظات حول

الأدب العربي والعالمية

في الفيض الدافق من أسماء الادباء في اللغات الاخرى ، عند مناقشة القضايا الادبية الكبرى ، يتساءل المرء أحيانا ، كم من أسماء أدبائنا أيضا يذكر معها في تلك اللغات ، كما تذكر أسماء أدباء الامم الاخرى في لغتنا ؟ أو كم من أسماء أدبائنا كان ينبغي أن يذكر ؟ تساؤل كهذا يتصل بتساؤلنا حول « عالمية » الادب العربي ـ انه موضوع يطرح اليوم مجددا ، على انه ليس بالفكرة الجديدة حتما .

قبل الاسترسال في التساؤل ، نحن نتذكر ان حكايات « ألف ليلة وليلة » ، منذ ان « اكتشفها » الباحث الفرنسي « غالاند » ونشر ترجمة لها (مع ترجمة انجليزية عنها) في مطلع القرن الثامن عشر (عام ١٧٠٤) انتشرت في سنين قليلة في لغات أوربا انتشار النار في الهشيم ، وغدت بين عشية وضحاها جزءا اساسيا من ثقافة كل أمة ، وفي أقل من قرن من الزمان كان لها أثر في مسار الفن الروائي في العالم الغربي قد لا يفوقه أهمية الا أثر التوراة ، وأثر الاساطير الاغريقية .

عالمية « ألف ليلة وليلة » اذن أمر مفروغ منه . ولا يهمنا ان كنا لا نعرف بالاسم المحدد من كتب هذه الحكايات ومن جمعها ، ومن أضفى عليها شكلها النهائي . المهم انها كتبت بالعربية ، عن الحياة العربية ، وعن الشخصية العربية ، مهما تكن أصولها مستقاة من مصادر يعود بعضها الى أمم أخرى . شكسبير أيضا استقى معظم الخطوط القصصية في مسرحياته من مصادر تعود الى أمم غير الانكليز . ولكن فنه في النهاية انكليزي جدا بقدر ما هو عربي جدا الفن النهائي في « ألف ليلة وليلة » .

ونحن نعلم أن هذه الحكايات ما زالت حتى اليوم تحتل مكانتها الخطيرة بين الآداب الاخرى وستبقى كذلك . لسنا نود هنا العودة الى آدابنا القديمة لنرى مدى شيوعها في العالم قبل خمسة قرون أو عشرة . فتلك مسألة تاريخية لن نتعرض لها هنا . ما يهمنا هو ان نرى مدى عالمية أدبنا اليوم ، وغدا ـ سواء منه القديم أو الحديث .

اذا تناولنا شاعرا معاصرا كبيرا ، كالسياب ، ولم نستطع بحث شعره في سياق غير السياق العربي ، ومقارنته بأفضل ما في الشعر الاجنبي ، ندا لند ، فغير لنا الا نزعم انه شاعر « كبير » . غير اننا لن نحتاج الا الى معرفة جيدة للغة اوربية حية لندرك ان هذا البحث وهذه المقارنة كليهما أمر وارد ، واننا لن نخشى على شاعرنا منافسة الآخرين في أصالة صورة ، وشمولية رموزه ، وسعة انسانيته . ولكن الذي يبقى هو ان السياب ليس معروفا ، أو مؤثرا ، في الآداب الاخرى ، ولا يدرك قيمته « العالمية » باستثناء العرب الا نفر من الاجانب يعرفون العربية . وهم قلة ضئيلة ، ليس لها بالضرورة أثر مباشر في التيارات المعاصرة .

فالقضية اذن . في بعضها ، قضية معرفة اللغة العربية ، كم من غير العرب يعرفون هذه اللغة ، أو يتعلمونها ؟

لماذا يتعلم المرء لغة غير لغته ؟ في الاغلب ، لاسباب ثقافية ، أو تجارية .. اسباب حضارية . انها الرغبة في التمكن من لغة سائدة فكرا ، وتواصلا . والعربية ليست كذلك اليوم رغم ان ثمة زهاء مئة وخمسين مليون نسمة يتكلمونها . ورغم أهمية الاقطار العربية في العالم اقتصاديا واستراتيجيا ، فان الذي سيغرى الآخرين بتعلم اللغة حقا (غير الدبلوماسيين الذين يتعلمونها لاغراض سياسية ، وغير الاكاديميين) هو ما يتحقق فيها من علم فذ وأدب فذ : من ابداع تكون الامم الاخرى بحاجة الى النهل منه . واذا كان أملنا ضعيفا في تعلم الآخرين لغتنا على نطاق واسع في المستقبل المنظور ، وهو أمر لا يتحقق اليوم الا لثلاث أو اربع لغات أوربية ، يبقى لنا أملنا القوى في ان ينقل بعض ما يكتب فيها الى اللغات الاخرى . وهكذا نجد ان القضية ، في بعضها الآخر ، هي قضية ترجمة ، وهي مسألة أساسية ومعقدة .

بعض الشعر الحديث فقط

لو ان ألف ليلة وليلة كتبت شعرا كلها ، هل كانت ستلقى هذه الحظوة المذهلة في كل مكان ؟ طبعا ، لا . الشعر في كل اللغات أصعب الفنون انصياعا للترجمة . ولما كان الشعر

- كم من غير العرب يعرفون اللغة العربية أو يتعلمونها؟
- القضية في بعضها الآخر هي قضية ترجمة، وهي مسألة أساسية ومعقدة
- إضافة إلى تجربة الناس، وشحذ لقدرتهم على الاستزادة من الحياة
- الأسلوب كان دائماً جزءاً من هوس الفنان منذ أن بدأ يكتب أو يرسم

بدر شاكر السياب



اروع الفنون عند العرب، فانه هو الذى يضيع الكثير من سحره فى الترجمة، لما فى صنعته البارعة من صنعة الفن التجريدى ـ أى انه يخلو من التشخيص القصصى، الا فيما ندر. حتى المعلقات التى أجاد بعض المستشرقين نقلها الى لغتهم، تهشمت الروعة فيها الى مجرد كلمات مثقلة بالمعانى، ولكنها مطفأة الوهج، ذبيحة الشريان. بعض الشعر الحديث فقط، وبخاصة شعر ربع القرن الاخير، يحافظ على شىء من نضارته فى الترجمة، لكثرة ما اخذ يتوافر فيه من صور وأساليب مشتركة بينه وبين شعر اللغات الاوربية.

القصة، والرواية، والمسرحية، هى اليوم أكثر الفنون الادبية شيوعا، ومنذ ان عمت حكايات « الف ليلة وليلة » كل بلد متحضر وترجم الكثير من الروايات الانجليزية والفرنسية الى اللغات الاخرى قبل مئتى سنة، ومنذ ان اكتسحت الرواية الروسية آداب العالم فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر، أخذ الفن القصصى يبدو انه الفن المشاع بين الامم، وأصبحت أسماء الروائيين الكبار « عالمية » بصورة لم تعرف مثلها العصارات السابقة، ورافق ذلك أيضا شيوع المسرحية على نحو يكاد معه لا يهم الناس فى اية لغة أصلية كتبت. فمسرحيات تشيخوف، وابسن، وستريندبيرغ، وبريشت، وبيراندللو، وبرنارد شو، ولوركا، واونيل، وبيكيت، تبدو وكأنها، على تباين لغاتها ومقترباتها، جزء من حضارة واحدة، هى حضارة المئة



شكسبير

سنة الاخيرة. فهذه المسرحيات واعمال الروائيين الكبار، انما هى أوجه متعددة لهم انسانى واحد، أو هموم انسانية واحدة، تعين معا سيماء زماننا.

عالمية الادب لها شقان

كلما استعرضنا أسماء الادباء الذين نشعر انهم عالميون، لانهم يقولون لنا، أينما كنا، وباية لغة تحدثنا، أشياء تقلقنا، وتذهلنا، وتتعدى حواسنا وذهننا، نجد انهم فى الاغلب أوربيون، شرقيين كانوا أم غربيين (على اعتبار ان أمريكا فكريا، امتداد أوربى). فهل « العالمية » محض أوربية ؟

ولكن كيف استطاع مخرج ياباني ككيروساوا، أو مخرج هندى كساتياجت راى، ان يقتحم العالم بفنه النابع من بلده ؟ لان التجربة البصرية فى غنى عن الترجمة : لقد تخطت عملية الاتصال الفلمى الحواجز اللغوية، وبرهنت على روعتها. فالعالمية اذن، لكيما تكتشف ـ كما اكتشفت فى « ألف ليلة وليلة » أصلا ـ لابد لها أولا من ايصال لغوى ـ قبل ان نتعرض لمضامينها. من ثم نستخلص بعض النقاط الاساسية التى يبدو أن عالمية الادب مشروطة بها :

أولا : عالمية الادب لها شقان :

الشق الاول هو ان هذا الادب يتمتع بصفات لصيقة به وضمنية فيه تجعله كاشفا ومؤثرا لا بالنسبة الى وطنه فحسب، بل بالنسبة الى الجزء الاكبر من الانسانية أينما كانت أوطانها. وقد نضيف، مهما كانت أزمانها.

والشق الثانى هو أن هذا الادب يجد فعلا من يوصله الى اللغات الاخرى، فسيكون فيها المحك لمدى أثره فى الآخرين، وقدرته على الشيوع فى العالم، بغض النظر عن أثره وشيوعه فى وطنه الاصلى.

ثانيا : ان هذا الادب، اذا ما ترجم، لا تكون قراءته مقصورة على الاكاديميين الذين يتداولون الكتاب المترجم لمجرد انه يهيىء لهم « نافذة » على فهم المجتمع الذى انتجه، أو العقلية التى حفزته، أو

ملاحظات حول الأدب العربي والعالمية

اللغة التى كتب فيها • هذه الدواعى لها اهميتها ، ولكنها لا تعطى الكتاب المترجم الا قيمة محدودة كثيرا ما تكون خاضعة لتعال ثقافى يبقى فى الجوهر رافضا لها •

ثالثا : ان هذا الادب حين يترجم يقرأ على نطاق واسع لانه يقدم « للعالم » مادة قد لا تقدمها الآداب الاخرى ، ولكنها لا تقل شانا وعمقا واثارة عما تقدمه تلك الآداب • أى ان الناس فى العالم يرون فيه على اختلاف رقعته الجغرافية أو البيئية ، اضافة الى تجربتهم واغناء لها ، وشحذا لقدرتهم على الاستزادة من الحياة •

رابعا : التميز الاسلوبى • الاسلوب كلمة لها معان وأوجه عديدة • انها بتراكم دقائقها وبمجملها الاخير ، تجسد شخصية الاديب ، أو الكتاب ، أو الاثر الفنى• والاسلوب كان دائما جزءا من هوس الفنان منذ ان بدأ يكتب أو يرسم : لعله كان فى الاصل يعتبره هبة لاواعية ، يقرنها صاحبها بالالهام الذى لا يدرك كنهه وهو يسير ذهنه ويفجر رؤاه ، ولكنه فى القرن العشرين هوس واع ، لا لدى الفنان وحده ، بل أيضا لدى المتلقى الذى يطالب الفن باسلوب متفرد ، يدفع عنه حس الرتابة ، أو التكرار ، أو سماع الصدى ، ويقنعه أخيرا بانه أمام أصالة حقيقية • تاريخ الحركات الفنية انما هو تاريخ الاساليب • وضمن الاسلوب السائد للحركة الواحدة ، ثمة الاسلوب الفردى لكل من يساهم فى هذه الحركة • وبالنسبة الى موضوعنا هنا ، فان الذى ينبه القارىء ، ويحفزه للمتابعة ، هو ان هذه المادة « الغريبة » عنه ، المترجمة الى لغته ، لها صوتها المغاير ، ولكنه صوت حقيقى ، لها حسها المخالف ولكنه حس نابض ـ أى ان لها « اسلوبها » الخاص فى التغلغل الى دخيلته •

طه حسين أجدر

فى صيف ١٩٧٧ جاءتنى رسالة من الكاتبة الفنلندية « بيركوليزا ستال » ، تقول فيها انها تقوم بتهيئة عدة مقالات للصحف السويدية والفنلندية عن جائزة نوبل فى الادب، وهى تطرح اسئلة معينة على عدد من أدباء العالم تتعلق بالموضوع ، ولذا



انطوان تشيكوف

فانها تستمزج رأيى حول بضع مسائل ، خلاصتها : هل هناك أدباء فى العالم ماتوا فى السنوات الاخيرة دون ان ينالوا الجائزة ، وكانوا جديرين بها أكثر من غيرهم ؟ وهل يجب توسيع هيئة تحكيم نوبل ، ربما بشكل دولى لتكون أكثر احاطة بما ينتج من أدب فى العالم ؟ وما هى القواعد ومقاييس الجدارة التى أرى تطبيقها فى منح الجائزة ؟ ومن فى رأيى يستحق الجائزة فى السنوات القليلة القادمة ؟

وقد قلت فى معرض جوابى « اننى ككاتب عربى غسلت يدى من هذا الموضوع منذ سنين ، ولئن يكن الكثيرون من مستلمى الجائزة أهلا لها عن حق ، فاننى أحسست فى بعض المرات بان هيئة التحكيم كانت ضحية مشورة سيئة أو مدفوعة بعوامل غير صحيحة : فقد كان يبدو أن هناك لعبة توازن تقوم بها الهيئة دوليا ، لا تهمنى ، فانا ككاتب أعنى بالقيم التى تنبع عن مزيج من الانسانية والفن ، والكتاب العظماء عندى هم المضيئون العظماء ، بغض النظر عن كل عامل آخر • واذا كان المحكمون يزعمون ان لهم فى الانجازات الادبية رؤية واسعة سعة العالم ، فاننى أجد شخصيا ان رؤيتهم كانت قاصرة فى أكثر من مرة واحدة ، فكانت قاصرة بشكل كئيب مثلا عندما تجاهلوا كاتبا عربيا من كتاب العصر الكبار ، هو الدكتور طه حسين ، رغم ان اندريه جيد ، العائز على جائزة نوبل ، أوصى اللجنة بتكريمه بالجائزة » • (وقد قال ايامئذ ان طه حسين أجدر بها منه هو) •

في العدد القادم

تجربتي مع شكسبير



بقلم : جبرا إبراهيم جبرا



طه حسين



برنارد شو



برخت

وقلت للكاتبة الفاضلة حول مقاييس جدارة الكاتب : « لعلنا نقيس جدارته بانسانيته ، وغزارة ابتكاره ، وكونيته ، كلها معا . فهو ينبغى ان يكون شخصا ساعد فى تنوير عصره ، وجاءت أعماله توسيعا لرؤية الانسان ودفاعا عن حريته ، وتحقق من مساهمته انها فى النهاية اغناء للبشرية . وانى واثق من ان هيئة المحكمين تضع هذا كله نصب عينيها ، ولكن ما مدى اطلاعها على أعمال كتاب ينتمون الى كل هذه اللغات والثقافات والجنسيات العديدة؟ ويخيل الى ان المحكمين يعتمدون في الاغلب على لغتين أو ثلاث أوربية أو ما يترجم اليها ـ وهذا معناه ان المؤلفين الذين لا يكتبون فى هذه اللغات ، أو لا يترجمون اليها ، يسقطون من الحساب بالضرورة .. »

ولنترك هنا بقية الجواب ، لكيما نعود الى صلب الموضوع . فبالنسبة الى طه حسين ، لم يكن لنا ، لسوء الحظ ، ان نتوقع اطلاعا عميقا أو غير عميق من هيئة تحكيم نوبل ومستشاريها على الفكر العربي المعاصر . ورغم ان بعض كتابات طه حسين قد نقل الى الانجليزية والفرنسية (هناك مثلا أكثر من ترجمة انجليزية واحدة لكتابه « الايام ») ، الا ان الذى تم نقله لم يكن وافيا للتدليل على عبقريته ، وهيئة تحكيم نوبل ، فيما يبدو ، لا تطلع كما قلنا الا على ما كان مترجما الى لغتين أو ثلاث أوربية، ومستشاروها بحكم ذلك يفوتهم الكثير الجيد مما يكتب فى اللغات الاخرى ، (كما ان بعض العوامل السياسية توجه انتباهم أحيانا الى هذا الادب أو ذاك بدون مبرر فكرى حقيقى ، مما يجعلنا نشك فى موضوعيتها المطلقة) .

وتبقى القضية ، قضية الايصال ، أو الترجمة ، قائمة بكل خطورتها . هناك من العرب كتاب كثيرون كتبوا (ويكتبون) ، لسبب أو لآخر ، باللغات الاجنبية ـ وبخاصة بالفرنسية والانجليزية ـ ويجدون لهم مكانة ربما كانت أحيانا فى الصدارة . فجبران خليل جبران لا يعتبر الامريكيون كتاباته الانجليزية جزءا من الادب الامريكى المعاصر ـ ولهم الحق فى ذلك لاسباب لا مجال للخوض فيها هنا ـ غير انها تقرأ على نطاق واسع لا يتحقق الا لكتابات نفر قليل من أكبر الكتاب المعاصرين ، (جاءت فترة كان فيها يباع من كتاب «النبى» حوالى مئة ألف نسخة سنويا !) وجورج شحادة كتب شعره ومسرحياته بالفرنسية ، وحظى بشهرة بين الكتاب الفرنسيين الاعلام ، واعتبر فى الخمسينات والستينات من أبرز الشعراء الطليعيين .

والعديد من الروائيين والشعراء المغربيين والجزائريين استطاعوا ان يفتحوا السوق الاوربية برواياتهم وقصائدهم المكتوبة بالفرنسية ، مع ان مواضيعها كانت دائما عربية محضا . واستطعت انا قبل حوالى عشرين سنة ان أفعل ذلك برواية لى كتبتها بالانجليزية عن هم عربى صرف . ويقف ناقد عربى كادوارد سعيد ، يكتب بالانجليزية ، فى مقدمة الحركة النقدية المعاصرة فى الولايات المتحدة . غير ان الكتابة باللغات الاوربية ضرب من التحدى يقوم به أفراد يتمتعون بموهبة خاصة ، ولا يقاس عليها . وعلينا ان نعود الى ما نقدمه للعالم باللغة العربية كجزء من السعى القومى الحضارى ، ونتامل في ما يبقى فى تضاعيفه من طاقة حقيقية بعد ان يترجم .

التواصل بين اللغات

فى عام ١٩٧٦ ، اذ كنت استاذا زائرا في جامعة كاليفورنيا ببيركلى ، قررت لصف من طلاب البكالوريا والماجستير مجموعة القصص العربية المعاصرة التى اختارها وترجمها دنيس جونسون ديفيز ، ونشرتها مطبعة جامعة اوكسفورد ، وذلك فى دورة عن « الادب العربى مترجما » ـ اى ان الطلاب فيها كانوا فى غنى عن معرفة العربية . وقد كان رد الفعل مثيرا حقا من طلاب هم على قدر كبير من النضج والذكاء . ففى البحوث التى كتبوها عن بعض هذه القصص كانت دهشتهم رائعة لان يكتشفوا قصاصين ، كما قال أحد الطلاب ، لو لم يعرفوا انهم عرب لحسبوا ان قصصهم جاءت عن قلم غوغول أو مكسيم غوركى . وقال أحد الطلاب عن احدى القصص انها بدت وكانها مجتزأة من رواية لكاتب من أعظم ما قرأ ، الخ . والذى يجب ان يقال هنا هو ان القصص أجاد اختيارها المترجم ، كما أجاد ترجمتها على نحو لا يتحقق دائما فى ما يترجم

ملاحظات حول الأدب العربي والعالمية

من الكتابة العربية المعاصرة ، فتركت فعلها فى أنفس قرائها ٠

يجب الا يدفعنا هذا الى التوهم بأن كل ما يترجم يتلقفه القراء في كل مكان ٠ بل ان بعض دور النشر الانجليزية ، اذ تنشر كتابا مترجما عن العربية الى لغتها ، لا تسوقه في انجلترا ، بل فى افريقيا أو آسيا ، وتفعل مثل ذلك بعض دور النشر الفرنسية ، كانها لا تتوقع التجاوب الحقيقى معه الا هناك ٠ فاختراق السوق « العالمية » ما زال امرا عسيرا ، والاعتراف بجودة القادم من خارج اللغات الاوربية الكبيرة لا يتاتى الا عن ذكاء بين وقدرة متوهجة ـ كما حدث لنيكوس كازانتزاكيس الذى كتب رواياته باليونانية الحديثة ـ التى لا يتكلمها سوى بضعة ملايين من الناس ، واستطاع ان يجعل منها أدبا لمئات الملايين ٠

هل نستطيع القول ان الادب العظيم لابد ان يجد يوما من يترجمه ، مهما تكن لغته ؟ التواصل بين اللغات الاوربية سريع وميسور ، فافضل ما ينشر بالانجليزية أو الفرنسية أو الاسبانية أو الايطالية أو الروسية يصل الى ذوى اللغات الاخرى فى أشهر ، أو فى سنة أو سنتين على الاكثر ٠ (وقد ينطبق هذا على ما يكتب فى اللغات الاوربية الاقل شانا) ٠ غير ان أى كاتب يكتب بلغة غير أوربية قد لا يعرف خارج بلاده الا بعد سنين طويلة من الانتاج ، وربما بعد موته ، كبعض الكتاب اليابانيين ٠ لاحظ ان رابندرانات طاغور لجأ الى الانجليزية ـ التى كان يجيدها ـ لايصال رؤيته الى العالم ، أكثر مما لجأ الى لغته الهندية التى كان أيضا يجيدها ٠

كم انجليزيا أو فرنسيا يستطيع ترجمة اثر أدبى عن العربية الى لغته على نحو ابداعى ؟ (من اسخف وأخطر ما يجرى الآن هو ان تطلب وزارات الاعلام فى بعض الدول العربية ، الى مترجمين عرب ، هم فى الاغلب موظفون لديها ، القيام بترجمات أدبية الى اللغات الاجنبية ! وما النتيجة فى معظم الاحيان الا الاساءة الى المادة المترجمة والى اللغة المترجم اليها معا ، فضلا عن سوء الانطباع الذى تتركه عند الآخرين) ٠

فن التساؤل المأخوذ

ويبقى السؤال بعد هذا كله : هل عندنا من الانتاج الادبي اليوم ما يمكن ان يقف على قدميه ، ندا لند ، بين آداب العالم الاخرى ؟

لابد فى النهاية من جواب حذر ، بعد ان اعترفنا بأن « العالمية » بشقها الثاني (الترجمة) ، تتيح نفسها للقصة والرواية والمسرحية ، أكثر مما تتيحها لغير ما فى أدبنا : الشعر٠ هل ترانا نقول بهذه الفنون وبكثرة ما يهم الناس فى العالم ان يسمعوه ، ويقرأوه ، ويتعلموا منه ويستمتعوا به ؟

العالم الغربى مسفسط ، وسريع الملل ٠ انه مشبع بكل فكرة واسلوب٠ ولا يثيره الا المدهش ، والمغامر ، و « العميق » ـ ولا يؤخذ أحيانا الا باللغزى والمقلق والمعقد ٠ ومعظم أدبائنا فى نتاجاتهم ، على قلتها ، ما زالوا يعانون من كثير من السذاجة، والمباشرة ٠

المجيدون من الروائيين لدينا بدأوا للتو بمجابهة مشكلاتنا الآنية بصراحة ، وبراعة ، وحرارة : وهذه أقانيم خطيرة فى كل عمل فنى جاد ٠ وهم يتعلمون فنهم فى عصر نسمع فيه ، بين الحين والحين ، من يقول

جبران خليل جبران



ان الرواية فن يحتضر ، ويأتى كل يوم من يثبت انه فن يتوثب حيوية : انه فن التساؤل المأخوذ حول المصير الانساني ، كما انه فن النفاذ الى بقاع الظلام فى النفس ، وخفايا الصراع بين الحقيقة والوهم ٠ انه فن الاساليب التي تنهل من كل معرفة لتنتهى الى وضع الانسان وجها لوجه مع قدره ، مع ربه وشيطانه ٠ وهذا ما جعل بعض الروائيين لدينا يتمرس به ، ويجازف بامكاناته ٠

وما من شك ـ اذا أخذنا بعين الاعتبار كل ما قلته آنفا ـ ان لغة ابتدعت « ألف ليلة وليلة » ، ستبتدع ما لا محيد للانسانية من الانتباه اليه ٠ ولكن لابد من التاكيد أيضا ان « العالمية » ليست صفة لادب أمة ما دون الامم الاخرى ، أو لغة ما دون اللغات الاخرى ٠ المنزلة الحضارية لاية أمة تلعب دورها ، وهذا لا ريب فيه ، غير ان المسالة فى صلبها انما هى رهن بظهور أدباء أفراد ، افذاذ ، هم من خلق مجتمعهم وتراثهم ، ولكنهم أيضا من خلق أنفسهم ، حباهم الله القدرة على خلق شخصيات تتجسد أمام العين مستقطبة نشوات وهموما ولوعات انسانية لا يمكن تحديدها الا بها هى ـ من سندباد « ألف ليلة وليلة » الى هاملت شكسبير ، من راسكولنيكوف دستويفسكى الى زوربا كازانتزاكيس، فتغدو رموزا تتعامل بها البشرية فى محاولة لفهم الوضع البشرى ٠ وهى محاولة لن تنتهى الا بانتهاء الانسان ـ موضوع هذه العالمية العزيزة المطلوبة ٠

بغداد : جبرا ابراهيم جبرا

محمد جابر الأنصارى

زاوية الرأى



عتاب مغرب الوطن على مشرقه

لدى مثقفي المغرب العربى عتب كبير على اخوانهم المشارقة · هذا ما يلمسه المرء عندما يستمع اليهم يتحدثون عن هموم الثقافة العربية فى الوطن الكبير ·

هم يقولون : « نحن نقرأ كل ما ينشر فى المشرق العربى من غث وسمين ، ونستوعبه ولكن اخواننا فى المشرق لا يقرؤون ما نكتب ، ولا يهتمون به ، ولا يعطونه حقه ، بل ان بعضا من المشارقة يتساءل عندما يسمعنا نتحدث العربية : « أحقا أصبحتم تجيدون العربية ؟·· هذا جميل ! » متناسين أننا صمدنا ضد عملية الفرنسة فى معركة حياة أو موت استمرت أكثر من مئة سنة » ·

ويذهب بعض الاخوة فى المغرب العربى انطلاقا من هذا الشعور بالاهمال والتجاهل الى حد تصور « عقدة » مشرقية تجاه المغرب تتجلى فى مسلك الادباء المشارقة عندما يلتقون بزملائهم المغاربة في المؤتمرات الادبية وسواها من المحافل فلا يظهرون من الاهتمامات غير ما يسود المشرق من مسائل وقضايا ولا يركزون الا على نتاج الادب المشرقى درسا واشادة ونشرا ···

وعندما أجبت الاخوة الادباء الذين التقيت بهم فى تونس : « كيف تقولون هذا ولا يوجد شاب مشرقى ـ من جيلنا والجيل السابق ـ لم يتفتح وعيه الادبي والوطني على أنغام ارادة الحياة المنبعثة من شاعرية نابغة تونس أبى القاسم الشابى ، رغم الحواجز التي اقامها الاستعمار ؟ » ـ كان ردهم : « هذه حدود معرفة المشرقيين بالادب عندنا · ان أبا القاسم الشابى مجرد شاعر واحد اعجبتم به أنتم فى المشرق لان الظروف ساعدته أكثر من غيره على النشر لديكم فى مجلة « أبولو » وسواها ، ثم سمعنا به نحن فى تونس والمغرب عن طريق شهرته المشرقية · لقد أعطيتم الشابى أكثر مما يستحق على حساب غيره من عشرات الادباء المغربيين الذين لم تسمعوا بهم ··· ان شهرة الشابى ما هى الا بضاعتكم ردت اليكم ! » ·

هذه بعض أصداء ذلك العتاب الذى لمسته من خلال حوارى مع عدد من أدباء تونس كالاستاذ مصطفى الفارسى والاستاذ البشير بن سلامة · واذا ما تصفحنا العدد الاخير من مجلة « فكر » التونسية وجدنا مظهرا حادا من مظاهر هذه المسالة فى رد الاستاذ محمد مزالى رئيس تحريرها على انتقادات مجلة مشرقية تحت هذه العبارة المتألمة : « ·· وظلم ذوى القربى » ·

من جهتي لم تكن المسالة مطروحة بهذا الشكل · وأذكر انى قلت للاخوة هناك : « المسالة ليست مسالة مشرق ومغرب · فمنذ ١٥٠ سنة والثقافة العربية لها عاصمتان هما القاهرة وبيروت · أما بقية أقطار الوطن العربى فكانت بمثابة « ريف » ثقافى متخلف يتلقى مؤثراته من العاصمتين وحدهما · ونحن فى الخليج والجزيرة العربية ـ فى أقسى المشرق ـ من حقنا أن نعتب أيضا على تجاهلنا مثلما أنتم عاتبون هنا فى المغرب العربى · ان كثيرين من أدبائنا ظلوا مجهولين بعيدين عن الاضواء لان حظوظهم بعدت بهم عن مراكز النشر فى العاصمتين المذكورتين ·· هذا بينما استمرت الاضواء مسلطة ـ مثلا ـ بشكل مكثف ومبالغ فيه على كل من شوقى وحافظ فى مصر ، وجبران ونعيمة فى لبنان ، ولم ينل بالمقابل كل من الزهاوى والرصافى فى العراق ما يستحقانه من شهرة لبعدهما النسبى عن مراكز النشر فى ذلك الحين · كما لم يحقق نزار قباني شهرته الواسعة الا بعد أن تحول هو ذاته الى « ظاهرة نشر » لبنانية · ولم ينل الطيب صالح ما يستحق الا بعد أن كتب عنه نقاد مصريون ولبنانيون لهم امكانات نشر واسعة وطبعت كتبه دور نشر لبنانية ومصرية ··· وهكذا ··· الحل هو فى انهاء الاحتكار الثقافى ـ نشرا وتأثيرا ـ لاية عاصمة عربية ، والعمل على تعدد المراكز الثقافية النشطة والمشعة فى مختلف أنحاء الوطن العربى لتتاح الفرصة العادلة لكل موهبة عربية فى الظهور والانتشار » ·

هذا لا يعنى بالطبع انكار الدور الثقافى التاريخى الرائد لاية عاصمة عربية كان لها دور فعال في النهضة · انه يعنى فقط أن يكون للعواصم العربية الاخرى مغربا ومشرقا حق التنفس الثقافى الحر بعيدا عن أخطبوط ومافيا بعض دور النشر المتواجدة فى أسواق بيروت ·· على سبيل المثال ! ويبقى ـ بعد هذا ـ ان اخواننا المغاربة على شىء من الحق فى عتبهم على المشرق ·

ولذلك حديث آخر ·

محمد جابر الانصارى

دينا حياتنا وقوميتنا

د. عون الشريف قاسم

● الإسلام حوى جوهر الرسالات من قبله، وأكد كل القيم والأحكام التي جاءت بها

● المرونة الفائقة التي استطاع الإسلام أن يعبر بها عن حياة كل البيئات

لم يكن من قبيل الصدف ان يسمى الله سبحانه وتعالى دينه العام الذى بعث به الرسل جميعا بالاسلام ، وأن يسمي رسالته الخاتمة التى اكمل بها الدين وأتم بها النعمة بالاسلام ايضا ·

فان الاسلام كرسالة خاتمة حوى جوهر الرسالات من قبله ، وأكد كل القيم والاحكام التى جاءت بها الا ما دعت ظروف الزمان والمكان اتمامه أو تفصيله أو تحويره أو تعديله ليناسب هذه المرحلة الخاتمة من مسيرة البشر · ومعنى هذه الخاتمة انه قد تضمن من المبادىء والاهداف والاحكام والقيم ما يلائم ظروف كل البشر على اختلاف بيئاتهم وازمانهم الى ان يرث الله الارض ومن عليها · وذلك يقتضى مرونة فائقة تسمح بتطور حياة الناس الاجتماعية في ظل الاحكام العامة والخاصة وتفتح المجال لتاويل هذه الاحكام بما يكفل حرية الحركة دون تفريط فى أسس الدين العامة ·

والناظر في تاريخ الاسلام يلحظ هذه المرونة الفائقة التى استطاع بها الاسلام أن يعبر عن حياة كل البيئات التى انتقل اليها بعد خروجه من جزيرة العرب آنذاك · والملاحظ هنا ان المسلمين الجدد فى الامصار من غير العرب سواء أكانوا فى الشام أو مصر أو بلاد فارس أو الهند وما اليها كانوا من أصحاب الديانات السابقة على الاسلام من يهودية ومسيحية وزرادشتية وبوذية وما اليها · وقد دخلوا فى الاسلام وهم يحملون معهم كل تراثهم الحضارى ، وقد كان الاسلام من المرونة والتسامح بان فتح المجال لكل الافكار أن تنمو وتزدهر فى اطاره العام بعد أن صبغها بصبغته العامة ونفى عنها كل ما يتعارض مع أسسه العامة ، وبذلك اكسبها حياة جديدة فى اطاره الفاعل ·

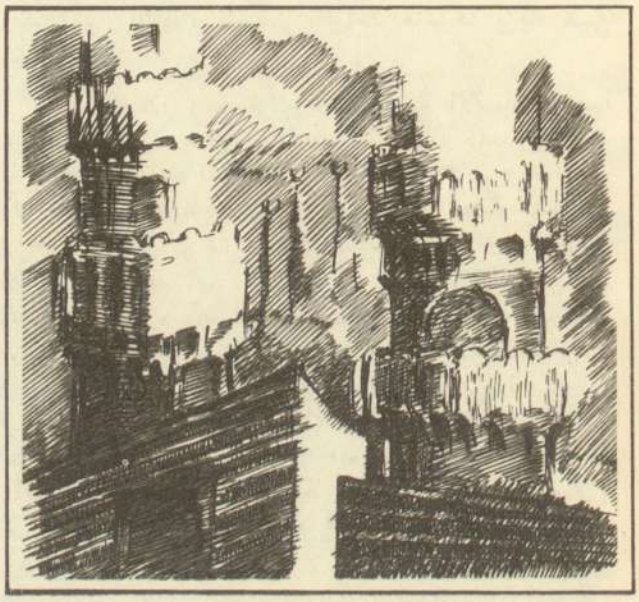
وهذا هو تعليل ازدهار كل افكار العالم القديم في حياة المسلمين وازدهار الشعوب المسلمة فى بيئاتها المختلفة · فان كل افكار اليونان والفرس والهنود وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة قد وجدت سبيلها الى بوتقة الاسلام الفاعلة فاصبحت فى عمومها جزءا من ثقافة المسلمين بعد ان اكتست زيها الاسلامى كما هو مشاهد فى أفكار فرق المتكلمين فى القرنين الاول والثانى

العرش الكهربائي

استخدم الكرسي الكهربائي لاول مرة في التاريخ في يوم ٦ اغسطس سنة ١٨٩٠ · كان ذلك في سجن « اوبورن » في مدينة نيويورك · وانتشرت انباء كرسي الاعدام الجديد حتى بلغت الحبشة (اثيوبيا) وما ان بلغ النبأ مسامع الامبراطور منليك (١٨٤٤ ـ ١٩١٣) حتى قرر ان يدخل هذه الطريقة الحديثة في الاعدام الى بلاده وذلك ضمن خطته لتطوير البلاد · وفي الحال أرسل الى الصانعين في امريكا يطلب ثلاثة · وبالفعل تم ارسالها وعند وصولها كانت خيبة امل الامبراطور عظيمة فقد ابلغوه انها لا تصلح للعمل !

وعندما سأل عن السبب كانت الاجابة البسيطة : «لانه لا توجد كهرباء في الحبشة يا جلالة الامبراطور»

ورفض « منليك » ان يضيع جهده هدرا فقرر ان يجلس على احد هذه الكراسي ويتخذ منه عرشه الامبراطوري



من الهجرة من معتزله ومرجئة وشيعة وخوارج وما تفرع عنها من مذاهب ومدارس وجماعات كانت هى المقدمة لما ازدهر بعد ذلك من فلسفة اسلامية وعلوم طبيعية طورت ثقافات العالم القديم ونقلتها فى صورة مزدهرة جديدة الى عالمنا الحديث الذى بنى عليها نهضته المعاصرة • وكان ذلك سبيل الشعوب التى اتخذت من الاسلام دينا لها فانها لم تكن مضطرة لالغاء كل موروثها الحضارى الذى صاغ وجودها آلاف السنين لان ذلك

لم يكن اسلوب الاسلام فى صياغة البشر • فانه يتسرب فى حياة الافراد والجماعات فى مرونة ويسر يحور ويغير ويطور من اطار الحياة العام بحيث تصطبغ الحياة بصبغة الاسلام دون ان تفقد فى أثناء ذلك ايجابياتها الموروثة واسسها العامة التى لا تتعارض مع قيم الاسلام ومبادئه العامة فى وحدانية الله وكرامة الانسان • وبذلك تتطور الشخصية الحضارية الموروثة فى اطارها الاسلامى الجديد بحيث تصبح الشخصية المسلمة تطويرا للشخصية القومية ودعما لايجابيات تراثها وارتقاء بها الى مستوى العصر • وبذلك تتغير وجهة الحياة واهدافها الكبرى فتصطبغ كما راينا بالصبغة الاسلامية دون ان تنهار دعائم المجتمع أو تتزعزع حياة الناس •

فما أكثر ما أخذ الاسلام من عادات الجاهليين الكريمة ونحابها المنحى الاسلامى لانه دين تسامح ودين فطرة لا يتعارض مع العرف السليم الذى يستقيم والمنطق والذوق والخلق ، ومن هنا وجد العرف سبيله الى الفقه • وكانت تجربة الاسلام مع المجتمع الجاهلى هى تجربته مع كل مجتمع يحل به ، يبقى على خير ما فيه وينفى عنه كل ما يتعارض مع الفطرة السليمة والذوق الرفيع • وقد كانت هذه المرونة هى سبيل الاسلام الى احتواء حياة الناس فى الامصار المفتوحة •

الاسلام وحياة الناس

وهذه الطواعية هى التى مكنت الاسلام من ان يلتصق بحياة الناس ويطورها تطويرا لا يخرج عن روح الاسلام ومبادئه العامة ولكنه ياخذ فى الاعتبار كل الظروف والملابسات التى تحيط بالبيئة التى استقر بها • ولهذا السبب وجدنا الاختلاف فى الاتجاهات العقلية والفقهية فى الاقطار الاسلامية المختلفة • وهذا التنوع البيئى فى اطار التوحد الفكرى والذى هو سر عظمة الاسلام كان وما يزال مصدر هجوم من قوم أعماهم الغرض فظلوا يتحدثون عن تعدد الاسلام وانه ليس هناك اسلام واحد يمكن أن يلتقى عنده الناس ، فهناك الاسلام الهندى وهناك الاسلام السودانى والمصرى وهلم جرا ، بل هناك اسلام القرن الاول ، وهو غير اسلام القرن الثالث وكلاهما غير اسلام القرن العشرين ، وكل ذلك كلمة حق أريد بها الباطل • فان الاسلام فى كل ذلك واحد فى مبادئه وأسسه العامة ولكنه التنوع فى اطار التوحد الذى يراعى تغير ظروف الزمان والمكان مما يجعل الاسلام صالحا على مدى الزمان قادرا على احتواء وصهر كل ما يجود به التطور ولا يخرج عن الفطرة أو ينبو عن المنطق والذوق الرفيع • ومن هنا كانت للاسلام هذه الخصوصية التى تجعل منه دينا للشعب وصائغا لحياته ، واطارا عاما لحركته ومرآة صادقة لوجوده •• وهو بحكم روحه الجماعية النابعة من قدرته الفائقة على توحيد قلوب الناس حول عقيدته الاساسية ، وما يتفرع عنها من نظام اجتماعى ، يفرض على المجتمع التماسك والتكاتف والتضامن بحيث تصبح المجموعة فى اطارها الجغرافى الضيق وحدة فى تطلعاتها واهدافها انصهرت كل متغيراتها البيئية فى بوتقة الاسلام لتبرز خير ما فى شخصيتها المحلية مع اضافة بعد انسانى جديد هو هذا الجسر القوى من الافكار والمثل والمعاملات التى يصل بها الاسلام بين المجموعات المسلمة على نطاق العالم وبذلك تكتسب المجموعة الحسنين وهما تطوير خير ما فى شخصيتها المحلية فى اطار الاسلام ، واكتساب بعد انسانى عالمى يتجاوز حدود الجنس واللون والوطن ، مما يجعل الهندى المسلم على هنديته أخ السودانى المسلم على سودانيته وهكذا دواليك •

الاسلام والتطور الحضارى

وليس ذلك أمرا عارضا فى مجرى التطور البشرى وانما هو انعكاس لما جاء به الاسلام كتعبير عن التطور الحضارى الكبير الذى انتقلت به الانسانية من المجتمعات

دينـــا حيـــاتنا وقوميتـــنا

البدوية والزراعية البسيطة الى المجتمعـــات الحضرية المعقدة القائمة على التجارة والصناعة • فضعفت بذلك رابطة الدم وحلت محلها رابطة المصلحة المشتركة • ومن ثم أبطل الاسلام العصبية القبلية الجاهلية وأحل محلها رابطة العقيدة المشتركة والاخوة فى الله • وبذلك تجاوز كل حدود القبليات والقوميات والعنصريات والـولاءات الضيقة ليركز على الانسان خليفة اللـــه فى الارض (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلنـاكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) فى القرآن الكريم • (كلكم لآدم وآدم من تراب ولافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى) فى الحديث الشريف • وهدف نظامه التعهدى الى توحيـد ارادة الانسان وربط وجوده بقبلة واحدة تصله بالرب الواحد • وأكد نظامه الاجتماعى انسانية الانسان التى تصل بين البشر على اختلاف الوانهم وأوطانهم وأجناسهم والسنتهم ، وبذلك صاغ نموذج الانســان المــواطن العالمى •

ويمكن ادراك هذا المعيار العالمى بملاحظة التشـابه القوى بين المجموعات فى شتى أنحاء الارض فى العادات والمعاملات والاخلاق ، مما يجعل من المسلمين على نطاق المعمورة جامعة اسلامية عالمية تربطها عقيدة مشـــتركة ونظام اجتماعى وثقافى يستمد جذوره من أصل واحد رغم انهيار النظام السياسى الواحد منذ ما يزيد عـلى سبعة قرون •

ولكن الاسلام رغم تركيزه على قيمة الانسان وسعيه لصياغته صياغة عالمية تتجاوز الانتماءات المحدودة فانه لم يسع كما رأينا الى طمس الفروق بين الامم والشعوب، ولم يغير الحدود الجغرافية ويسقطها كما فعلت حضارات من قبل • ومن ثم ظل أهل الحجاز هم أهل الحجاز وظل أهل العراق هم أهل العـــراق وأهل الشـــام هم أهل الشـــام ، وهكـذا الامـــر فى كل المجمـوعات البشرية والاقليمية التى استظلت بظل الاســـلام • وقد وجـــد كل ذلك تعبـــيره الواضح فى السـياسة فى كل المجموعات البشرية والاقليمية التى استظلت بظل الاسلام • وقد وجد كل ذلك تعبيره الواضح فى السياسة والحياة الاجتماعية والفكرية وانعكس على الفقـــه ، فرأينا فقه أهل العراق يختلف فى منهجه وبعض تفريعاته عن فقه أهل الحجاز وهكذا • وقد دخلت الاسلام شعوب كثيرة لها سماتها وطابعها العام ، وكانت عظمة الاسلام انه صبغها بصبغته الانسانية الغالبة وجعلها حتى فى تمايزها عن غيرها أداته الناجزة ووسيلته المعبرة عن حيويته المتجددة •

الاسلام والمساواة بين البشر

ورغم اختلاف هذه الشعوب والاجناس التى ضمها الاسلام فى حوزته ورغم أن صبغة الدولة كما رأينـــا قد أخذت فى أكثر من مرة صبغة شعب بعينه ، الا أن ذلك كان تعبـــيرا عن نجاح فكرة الاسلام فى فرض المساواة بين البشر وفى اتاحة الفرصة لهم متى قبلوه أن يسعوا لحمايته وللتحكم فى دولته وتسييرها بصرف النظر عن الجنس واللون • وفى الاحاديث التى تحض على السمع والطاعة (ولو ولى عليكم حبشى كأن رأسه زبيبة) شاهد على هذه النظرة • ومثلما كانت العنصرية

حرروا اليهود من الصهيونية !

من المؤسف ان نشاهد الصهاينة يتصرفون مع الفلسطينيين اسوأ من تصرف هتلر مع اليهود ••

ان الدكتور ارنولد توينبي اشار الى ان الصهاينة كان يجب ان يشعروا بمأساة اليهود على يد هتلر ••

ولذلك فـان هنـــاك العـديد من اليهود الذين لا يؤمنون بالصهيونية ويصرون على انها ليست اليهودية ، ولكنهم مغلوبون على أمرهم لعدة اسباب منها الضغط الصهيوني نفسه ••

وياحبذا لو قـام تنسيق بين اليود المناهضيـن للصهيونية والعرب والفلسطينيين لتحرير اليهود من الصهيونية •• وقد حاولت من اجل تقديم هذا الهدف ان اقدم اداة وسلاحا جديدين في كتابي الجديد : الربط الصهيوني

الكاتب اليهودي الامريكي (الفريد لبلينتال)

- نجاح فكرة الإسلام فى فرض المساواة بين البشر وفى إتاحة الفرصة لهم
- ارتفع الإسلام بفكرة القوميّة والوطنيّة من مجالها العنصرىّ إلى آفاق إنسانيّة رحبة
- الشخصيّة المسلمة فى كل بلد إسلامى هى التجسيد الحىّ لكل المنجزات الحضاريّة لهذا البلد
- الإسلام فتح المجال لكلّ المجموعات البشريّة لتُبدع وتتطوّر فى حُدود إمكاناتها

العربية فى بداية الاسلام فى بعض جوانبها تعبيرا عن صراع الاسلام للخروج من نطاقه المحلى فان الحركات الشعوبية المناوئة للعرب كانت فى بعض جوانبها تعبيرا عن صراع الاسلام لبلوغ غايته العالمية • وقد كانت روح الاسلام السمحة التى تسوى بين الناس فتجعلهم كاسنان المشط من أقوى أسباب نجاح الدعوة الاسلامية وانتشارها فى أرجاء العالم حيث كانت التفرقة بين الناس على أساس اللون أو الجنس أو العقيدة أو الطبقة تقليدا جرى مجرى الطبع ، ووجد سبيله الى الفلسفات والعقائد الدينية التى كانت ترتكز عليها الحضارات القديمة فى الشرق والغرب •

وقد كانت حياة المسلمين الاوائل تطبيقا عمليا لهذه المساواة المطلقة بين الشعوب والاجناس • فقد كان أقرب الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن رباح الحبشى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال عنه عمر بن الخطاب (أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا) يعنى بلالا ، وسلمان الفارسى الذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (سلمان منا أهل البيت) ، وصهيب بن سنان الرومى الذى اشترى من المشركين هجرته الى المدينة بأن دلهم على مكان ماله بمكة فتركوه وأخذوا المال ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (ربح البيع أبا يحيى) وانزل الله فيه (ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد)• وقد قال فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبش) •

وقد كان بلال رمز الاسلام فى المساواة بين البشر ، فهو أول من اذن فى المسجد النبوى بالمدينة ، وكان أول من ارتفع صوته بالتكبير فوق الكعبة عند فتح مكة ، فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعود فوق الكعبة ليؤذن وقد عبر عتاب بن أسيد الذى أسلم يوم الفتح عن مشاعر قريش الجاهلية حين رأى هذا المنظر فقال (الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم) • وقال الحارث بن هشام (أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ؟) • وكان عمر بن الخطاب يقول (والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فان من قصر به عمله لا يسرع به نسبه) • ومن هنا كان معظم مفكرى الاسلام وفقهائه واعلامه الاعلام من غير العرب لاهتمام الموالى بهذه المجالات ، ونفور العرب الاوائل عنها ، فاصبحت حضارة الاسلام حضارة انسانية شاملة اشترك فى اخصابها كل الشعوب المسلمة وان اتخذت من العربية لسانا لها •

الاسلام وبناء شخصية الفرد

وفى اطار هذه الانسانية الراقية فتح الاسلام المجال لكل هذه المجموعات البشرية لتبدع ولتتطور فى حدود امكاناتها البشرية والبيئية • وكل ذلك قد منح الحضارة الاسلامية ثراءها وتعدد روافدها ، فأسهم فيها العرب بأدبهم وشعرهم واسهم فيها الفرس بعلمهم وفنهم وادارتهم وأسهم فيها الترك بفنهم وقدرتهم على الحرب ، وهكذا دواليك • فهو قد منح كل الشعوب المجال للابداع والتطور ، فارتفع بفكرة القومية والوطنية من مجالها العنصرى الضيق الى آفاق انسانية رحبة لتعترف بالفوارق بين البشر وتستفيد منها فى تطوير الحياة والارتقاء بانسانية الانسان •

ولهذا السبب سميت هذه الحضارة بالحضارة الاسلامية أو الحضارة العربية الاسلامية لاشتراك كثير من الشعوب غير العربية فى تطويرها واتخاذهم اللغة العربية وسيلة للتعبير عن أفكارهم وكل شعب من هذه الشعوب الاسلامية قد صهر مورثه الحضارى القديم فى القالب الاسلامى الجديد بحيث أصبحت الشخصية الجديدة تطويرا لكل ثمرات الماضى فى اطار اسلامى كما رأينا • وهذه القومية فى اطارها الاسلامى عملية حضارية معقدة يتصل فيها الحاضر بالماضى ويمتزج فيها العنصر الثقافى والروحى بالعنصر الاجتماعى ليصبح الفرد المسلم صورة صادقة لقيم الاسلام كما تهيأت للبيئة ان تتمثلها وتهضمها ، فهى عملية بناء دقيقة لشخصية الفرد

ديننا حياتنا وقوميتنا

ليصبح عضوا متجانسا مع المجموعة التي يعيش فيها • فواجهته الاسلامية نسيج حضارى معقد التكوين لان الاسلام فيها تفاعل مع الموروث الحضارى الموجود وهضمه وتمثل كل ما هو خير ومشرق من رواسب الماضى ووجهه الوجهة الاسلامية • ومعنى ذلك ان المصرى المسلم الذى هو وليد حضارة عريقة لم ينبذ كما رأينا من قبل بدخوله الاسلام كل تراث أجداده الاقدمين الذى أثر فى شخصيته وأكسبها خصائص بعينها ، ولكن اسلامه الفاعل قد نفى عن ذلك التراث كل ما لا يستقيم وعقيدة التوحيد ، وأكد كل الايجابيات الانسانية التى تزخر بها حضارة الفراعنة وعرضها فى صيغة انسانية جديدة هى شخصية الرجل المسلم المصرى • وقل مثل ذلك فى الرجل الفارسى الايرانى المسلم والعراقى والسودانى والسورى وهلم جرا •

وهذا النموذج الاسلامى لبناء الشخصية القومية فى اطار عالمية الاسلام مغاير كل المغايرة لنموذج الحضارة الغربية المعاصرة • فان انهيار الكيانات السياسية فى أوروبا فى القرون الوسطى وبروز القوميات فى العصور الحديثة واكبه باطراد اضعاف لتأثير الدين فى حياة الافراد وفى تكوين الجماعات حتى انتهى الامر الى ما هو عليه الحال من نفى للدين عن الحياة العامة باسم العلمانية • ومما يؤكد هذا الفهم أن انهيار الكيانات السياسية والادارية فى الاسلام واكبه وصحبه ازدهار فى الثقافة والحضارة ومزج لتعاليم الاسلام بحياة المجموعات التى تمخضت عن انهيار وحدة الخلافة • وقد بين الدارسون والمؤرخون كيف ان التدهور السياسى فى الاسلام لم ينجم عنه تدهور حضارى بل أدى الى ازدهار حركة الادب والعلم والثقافة وبروز الشخصية الاقليمية فى أنحاء الامبراطورية الاسلامية • وذلك راجع الى اهتمام الاسلام ببناء الشخصية الانسانية وتطويرها فى حدود ظروفها المكانية والزمانية • فهو يهتم ببناء المجتمع المتماسك القوى أكثر من اهتمامه ببناء الاطار السياسى والادارى الذى ان انهار ينهار معه المجتمع •

ولذلك لا عجب ان لم يفصل الاسلام جزئيات نظام الحكم فيه كما ذكرنا فى مقال سابق ، ولا عجب ان توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يشير الى من يخلفه أو كيف يخلفه ، ولم يقل للمسلمين بعده اننى خلفت لكم دولة عظيمة أو نظاما اداريا يجمع شملكم ، بل قال لهم (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى) •

ولذلك انطلق الاسلام يعمل فى الافراد ويبنى الجماعات ويخلق الكيانات الاجتماعية المكتفية بذاتها والتى لا تحتاج للدولة الا فى أضيق نطاق ، وتعيش بحكم ما ترسب فى نفوس أفرادها من مشاعر التعاون والتكاتف ونصرة الحق والدفاع عنه ، وان انهارت كل الكيانات السياسية كما هو فى الواقع حال العالم الاسلامى الذى بلغ ابعد غايته من ناحية العدد فى قرون غابت فيها عن حياة المسلمين دولة مركزية للاسلام •

دیننا : حیاتنا وقومیتنا

سقت كل هذا الكلام لاصل الى غاية واحدة مؤداها ان الشخصية المسلمة فى كل بلد اسلامى هى التجسيد الحى لكل المنجزات الحضارية لذلك البلد ، وقد صيغت فى اطار انسانى شامل يحفظ للمجموعة شخصيتها ويمنحها بعدا عالميا يصل بينها وبين المجموعات المسلمة فى بقية أنحاء العالم • ومن هنا أخطأ المستعمرون ودعاة الفرقة من ذوى النظرة القومية الضيقة التى تجاوزها الاسلام واحتواها فى نظامه • اخطأوا حين سعوا الى تدمير كيان الشخصية القومية المسلمة برد المسلمين الى جاهلياتهم الاولى على أساس أن سر عظمتهم ومجدهم التاريخى لا يكمن فى الاسلام وانما يكمن فيما وراءه من عنصر وتراث • فغذوا الفرعونية فى مصر • والفينيقية فى

العدد القادم

نحو صحوة إسلامية جديدة

بقلم : محمود عبد الوهاب

- القومية في إطارها الإسلامي عملية حضارية معقدة يتصل فيها الحاضر بالماضي
- لا تعارض بين الإقليميات والقوميات وبين وحدة الأمة الإسلامية
- القوميات في التجربة الإسلامية تطوير وارتقاء بمقدرات الجماعة

لبنان ، والطورانية في تركيا ، والبربرية في المغرب العربي ، والقرطاجية في تونس ، والساسانية في ايران ، والعروبة المبرأة من الاسلام في العالم العربي عامة ، والافريقية الغامضة لدى المجموعات الافريقية المسلمة وهكذا • ويكمن خطر هذه الدعوة في انها تنطلق من مفهوم للقومية غريب عن حياة المسلمين وتاريخهم • فهي ان صحت على المجتمعات الاوروبية التي كان تخلصها من أسار الدين رجعة حقيقية لشخصيتها القومية ، فهي لا تصح في حالة المجتمعات المسلمة التي صهرت في اطار نظامها الاجتماعي المرتكز على دينها وحضارتها كل عناصر شخصيتها الموروثة وطورتها في اطار انسانية الاسلام • فتصبح الدعوة للفرعونية عند المصري المسلم وغير المسلم لا معنى لها ولا مدلول كما ذكرنا في مقام آخر لان شخصيته المسلمة قد شملت في منظورها التاريخي كل ايجابيات التراث الفرعوني وصاغته صياغة حضارية جديدة تنعو به المنحى الانساني الذي يقرب بين البشر ويبرز انسانيتهم •

فالدعوة الى الجاهليات القديمة مثلها مثل الدعوة الى ابعاد الدين عن حياة المسلمين العامة باسم العلمانية ، هي دعوة الى تحطيم الشخصية القومية وتفتيت لكيانها الاجتماعي فتفقد الحاضر الذي اشتمل على كل منجزات الماضي ولا تحصل على شخصيتها القديمة ، وبذلك لا يكون لها من خيار غير الذوبان في الحضارة الغربية الوافدة ، وهذا ما يسعى اليه الاستعمار •

والنتيجة التي نخرج بها مما سبق من ملاحظات انه لا تعارض في واقع الامر بين الاقليميات والقوميات وما اليها من تصنيفات وبين وحدة الامة الاسلامية • فقد كانت مصر هي مصر والشام هي الشام والعراق هو العراق منذ ظهور الاسلام الى اليوم ، وكانت معظم الاقطار الاسلامية مستقلة عن سلطة مركزية تهيمن على العالم الاسلامي ككل • وهو أمر لا يختلف من الناحية الشكلية مع ما هو عليه الحال اليوم • ولكن ما عليه هذا الحال من الناحية الجوهرية أمر يهدد بنسف الفكرة الاسلامية من جذورها ويهدف لالغاء الرباط الحضاري الذي يصل بين مجموعات الامة الاسلامية على اختلاف أوطانهم وأجناسهم •

فان القوميات في التجربة الاسلامية كما مر بنا تطوير وارتقاء بمقدرات الجماعة في بيئتها المحدودة في اطارها الاسلامي فتزدهر خصائصها القومية ، وهو ازدهار لا يقف عند حدودها ، وانما يرفد تيار الحضارة الاسلامية العام على نطاق العالم • ولهذا السبب وحده ازدهرت حضارة الاسلام وظلت متماسكة حية رغم كل هذه القرون من السلب والنهب والتمزق وانهيار الخلافة والهزائم المتلاحقة وتسلط الجهل والاستعمار • وما يحدث في العصر الحديث هو تجريد للقوميات من محتواها الحضاري والفكري والاجتماعي ، اما بردها الى جاهليات عنصرية سابقة على الاسلام انتهى دورها واصبحت من مخلفات التاريخ ، واما بابطال فاعلية موروثها الحضاري الذي يستند اليه وجودها القومي بتقليد المفهوم الغربي بابعاد الدين عن الحياة العامة •

والنتيجة لذلك ان تفقد هذه القوميات اصالتها في المقام الاول وتتنكر لوجودها وحضارتها وتلقى بكل ذلك وراء ظهرها لتبدأ الحياة من جديد مقلدة كل ما يجود به مصدر حضارتها الجديد في ديار الغرب ، وهذه هي الغاية التي يهدف اليها الاستعمار • ذلك اننا حين نطلق هذا المفهوم الغربي للعلمانية على المجتمع المسلم فاننا لا ننتهي بنفي الدين عن حياتنا العامة فحسب ولكننا ننتهي بنفي وجودنا الفاعل وحضارتنا وكياننا الاجتماعي وتراثنا وقيمنا وتاريخنا ، لان ديننا ليس دينا بالمعنى الغربي للدين وانما هو حياتنا وقوميتنا ، وهذا هو سر عظمة الاسلام وقوته وقدرته على تغيير الناس وصبهم في قالب انساني فريد متشابك النسج يمتزج فيه الديني بالدنيوي لخلق الشخصية القومية في اطارها المحلي ، ويصلها في ذات الوقت وبمفعول نفس الصياغة باطارها العالمي على مستوى الامة المحمدية •

ان هذا هو الجديد الذي جاء به الاسلام ، رسالة الله الخاتمة ، فهو يكسب الاشكال والاجهزة والنظم محتواها الانساني الذي يطور البيئة ، ويصوغ الفرد الصالح لرعايتها ، ويصل بين البيئات والمجموعات برباط الاخوة والانسانية على مستوى العالم •

الخرطوم : د• عون الشريف قاسم

إبراهيم أبو ناب

مذكرات دجاجة

أحسن الله لاستاذنا الدكتور اسحق موسى الحسينى الذى كتب « مذكرات دجاجة » قبل أن يتعلم الدجاج القراءة والكتابة فكان خير مترجم لاحوال الدجاج وما هم فيه وما سيصيرون اليه ٠

كنت ما أزال صغيرا فى مدينة القدس حينما صدر الكتاب ٠ وكنت أراه فى واجهات المكتبات معروضا فاستغرب كيف يقوم أستاذ كبيرمن حملة الدكتوراة على الاهتمام بدجاجة وكتابة مذكراتها ٠ ولم أكن أعرف حينذاك ما أعرفه اليوم من أن المقصود بالدجاج ليس هو الدجاج وانما أولئك الذين يمكن أن يصيروا هم والدجاج لا فرق !

من أين نبدأ مع الدجاج ؟

حدثنى الاستاذ على الهامش قال : « ان العلة كلها فى التربية ٠ فقد كان هناك رجل غنى حصل من الغنى والثراء ما لا مزيد عليه لمستزيد حتى صار لا يطلب المزيد ٠ وهو بعد أن فقد حوافزه لم يجد ما يدعوه لتحفيز أبنائه فنشأ أحدهم سمينا مربربا يأكل من خير ولا يعرف شيئا عن الدنيا ٠ كان أشبه ما يكون بالدجاجة ! »

« ولكن الدنيا لا تبقى على حال واذ بالاب يموت ، واذا بالثروة تفنى واذ بالشاب السمين الذى لا يعرف شيئا من الدنيا يصير فى حاجة الى عمل ٠ وقد أراد أصدقاء أبيه أن يجدوا له أى عمل فى احدى الوزارات فطلبوا اليه أن يتقدم لامتحان من أجل الوظيفة ٠ وتساهلوا فجعلوا الامتحان بسيطا جدا على نمط الامتحانات الموضوعية التى يجيب فيها الطالب بنعم أو لا ٠ قالوا له : أين عينيك ؟ فاشار الى فمه ! قالوا له : أين اذنك فاشار الى انفه ! وسالوه عن يده فاشار الى رأسه ! » ٠



« لا حول ولا قوة بالله ٠ ده الولد ملغبط قوى » ٠

فى النهاية اعطوه ورقة الاسئلة وقالوا له أن يذهب ويدرسها ٠ وذهب الشاب الى صديق له فعلمه أين انفه ، وأين فمه ، وأين يده ورأسه الخ ٠٠٠ وعندما عاد الطالب الى الامتحان سأله الممتحنون عن عينه فاشار الى موضعها ٠ قالوا عظيم جدا ٠ وأين يدك ؟ فاشار الى مكانها ٠ أعظم وأعظم ! ثم أين رأسك ؟ وأشار صاحبنا الى رأسه ٠ قالوا هذا ولد عبقرى ! وسأله أحدهم : « من أين تعلمت كل هذا ؟ » فقال : « من دماغى ! » وأشار باصبعه الى قفاه !

على الهامش

هذا هو ما رواه لى الاستاذ على الهامش والكلام على ذمة الراوى ٠ وقد جاءت حكاية على الهامش هذا فى جلسة جمعتنا مع بعض الادباء الناشئين والادباء القدامى والمخضرمين ٠ وجاء حديث الادباء والمؤلفين فقال أحدهم انه من أشد المعجبين بكتابات نجيب محفوظ وهو يقرأ له منذ نصف قرن ، وقال آخر : « يا سلام ٠ الاستاذ نجيب محفوظ لم يبدأ الكتابة منذ نصف قرن ولا أظن أن كاتبا من الكتاب قد كتب لمدة نصف قرن » ٠

وهنا تدخل فى الحديث أديب قديم جديد ٠ هو قديم بسنه لانه يبلغ السبعين ولكنه جديد بأدبه لانه لم يحتسب فى عالم الادباء الا حديثا بعد أن رشحته دولته لهذا « المنصب » ٠ وقال هذا الاديب القديم الجديد : « يا جماعة ٠ أنا منذ بدأت اقرأ وأفك الحرف لا أعرف أديبا أفضل أو أحسن أو أكثر انتاجا من الاستاذ « على الهامش » وكم اتمنى أن التقيه » ٠ قلنا : « ماذا ؟٠٠ ما هو اسم الاديب ؟ » قال : « على الهامش » ٠

لم يكن أحد منا قد سمع بأديب يحمل هذا الاسم ناهيك عن أن يكون معروفا ومشهورا • وأخيرا أضاءت النكتة • كان صاحبنا يحسب أن كل ما يكتب « على الهامش » انما كان لاديب يحمل اسم « على » وليس من حواشى المقالات !

هذا دجاجة أخرى سمينة •

تحرير المرأة

تحرير المرأة هو من المواضيع التى تشغل بالنا جميعا • الرجال منذ قاسم أمين يفكرون فى تحرير المرأة والنساء منذ عهد حواء يفكرن فى هذا الموضوع • والحقيقة أن الكل متفق على « التحرير » ولكن الاختلاف هو على معنى وكيفية التحرير •

سألنى الشاب النشيط السيد أقرع القرعان مرة قائلا : « ماذا تقصد بالتحرير ؟ » قلت له : « ماذا تفهم منه أنت ؟ » قال : « عندما وقع الاحتلال الاسرائيلى على الضفة الغربية ومدينة القدس قام الاسرائيليون بجمع كل السيارات التى يملكها العرب وقالوا لنا : عودوا الآن الى استعمال الجمال والحمير • وقد قالوا يومذاك عن السيارات انهم « حرروها » ! قلت له : « هذه سرقة يا أخى وليست تحريرا » ••• قال : « وهم ادعوا أيضا أنهم حرروا بقية فلسطين ! » قلت له : « هذا اغتصاب يا سيد أقرع وليس تحريرا » •

قال السيد أقرع : « لنكن واقعيين • فما هى مصلحة الرجل فى امرأة « محررة » اذا لم يستفد هو من ذلك • فالرجل يفهم « التحرير » على الطريقة التى تناسبه وليس هو مغرما بالتحرير من أجل التحرير » •

قلت له : « لا أستطيع أن أنسى الكلمة التى قالتها لى مرة نائلة شمشون » • قال : « من هى نائلة شمشون هذه ؟ » قلت : « انها زعيمة احدى حركات تحرير المرأة ولكن حركتها ذات طرافة وأسلوب • فان الحركة التى أنشأتها كانت تدعى « حركة تحرير الرجل » • وهى تعتقد أن الطريقة المثلى لتحرير المرأة هى تحرير رجل مثلك من مثل الافكار التى تحملها • فان الكثيرين مثلك لا يرون المرأة الا من زاوية واحدة أنهم لا يتعاملون معها الا كما يتعامل الديك مع الدجاجة • وهم لا يتعاملون معها الا من موقع ضعف شديد لبعض الوقت وموقف قوة وطغيان معظم الوقت • والمرأة لا تريد الرجل حاكما بامره ولا تريده عبدا ذليلا وانما هى تريده انسانا » •

نائلة شمشون قالت لى : « المرأة مقتنعة بانها ليست دجاجة ولكن المشكلة هى فى اقناع الرجل » •

قصة الدجاجة

يذكرنى كل ذلك فى الختام بقصة ذلك الرجل الذى كان يظن أنه دجاجة • وقد حار أهله فى معالجته اذ أنه ما كان يكاد يرى كومة بيض الا ويذهب ويجلس عليها ويروح « يقرقر » ! أخيرا ذهب به أهله الى الطبيب النفسى الشهير ومفسر الاحلام الدكتور درويش قطز الذى أمضى فى معالجته عاما كاملا حتى شفاه من ذلك الوهم • وجاء أهل الرجل أخيرا وأخذوه من مستشفى العلاج النفسانى بعد أن أكد لهم أنه لم يعد دجاجة •

وما ان خرج الرجل من المستشفى ورأى كلبا فى الطريق حتى أخذ يركض هاربا • فلحق به أهله قائلين له : « ألم تقل انك لم تعد دجاجة وأنك مقتنع بذلك ؟ » قال : « بلى أنا مقتنع • ولكن اسألوا الكلب هل هو مقتنع أيضا ؟! » •

البيت ..

أخيرا عثرت على البيت ، ولكن صديقى الدكتور فؤاد لم يعثر عليه ، فالبيت الذى عثرت عليه لم يكن هو البيت الذى كان يبحث عنه •

القصة وما فيها أن الدكتور فؤاد كان يعيش فى بيت وظيفي خال من الزينة تقريبا وليس فيه من وسائل الراحة النفسية شىء • كان البيت يحتوى على غرفة نوم وحمام ومطبخ وصالة جلوس • غرفة النوم من أجل النوم فقط وغرفة الجلوس من أجل الجلوس والمطبخ من أجل اعداد الاكل ، والحمام من أجل الابقاء على نظافة الجسد • هذا حسب رأى الدكتور ليس بيتا وانما هو مكان اقامة • أما البيت فهو حيث يجد الانسان سعادته وحريته واطمئنانه •

عاش الدكتور فؤاد ما يقرب من ثلاثين عاما في بريطانيا بلا بيت • فهو حينما غادر بيته فى قرية شفا عمرو فى فلسطين متجها الى جامعة ادنبره لدراسة طب الاسنان لم يكن يظن أو يخطر بباله أنه لن يعود الى ذلك البيت فى يوم من الايام • كانت آخر صورة حملها فى ذهنه وهو يغادر البيت هى صورة الوالد

وقفات ساخرة

والوالدة والاخوة الصغار يلوحون بأيديهم مودعين تحت ظلال دالية تعرش على المدخل وتتدلى منها قطوف العنب وياسمينة تملأ المدخل بابتسامات صغيرة بيضاء ·

حينما قامت العرب فى فلسطين عام ١٩٤٨ وذهبت قريته من ضمن ما ذهب من القرى والاراضى والمدن ، وتقطعت بالتلميذ أسباب الاتصال والمعيشة اضطر الى ترك الجامعة والعمل لفترة من الزمن الى أن استطاع أن يعود الى مواصلة دراسته ، وحينما أنهى الدراسة افتتح عيادة وبدأ يمارس طب الاسنان · ولكنه ظل يحلم بالعودة الى ذلك البيت فى شفا عمرو · كان يقول : ستتأخر العودة بضع سنوات أو ربما عشر وعشرين · فليكن · ساعود أحمل بضع شعرات بيضاء بدلا من أن أعود بشعرى الاسود الكثيف · ولكننى ساعود ·

وظللت التقى الدكتور فؤاد كل سنة أو اثنين أو ثلاث كلما أتاحت لى الفرصة الذهاب الى لندن · فلم يشتر بيتا كما فعل غيره ولم يتزوج ، ولم يقتن شيئا فى مكان اقامته مما يمكن أن يوحى بالاستقرار والبقاء · كان بيته وظيفيا كما قلت : غرفة النوم للنوم ، والحمام لابقاء الجسد على نظافته ، وغرفة الجلوس للجلوس والتأمل · لكن مقتنياته الروحية والفكرية كانت هى وحدها التى تزداد · صار يكب على الادب العربى وينهل منه · صار يحفظ الاشعار والطرائف والملح · وكون مع بعض أصدقائه من دارسى الادب العربى القديم رابطة أدبية بدافع الحفاظ على الاستمرارية التاريخية لهذه الامة والاسهام فى انعاش ذاكرتها · وصار زبائنه كلهم تقريبا من العرب يغدرهم بعذب أحاديثه وهو يداوى أسنانهم · وربما قال لهم : حافظوا على أسنانكم ليوم لا يبقى لكم فيه ما تدافعون به عن أنفسكم سوى الاسنان · صار قريب النكتة حاضر البديهة خفيف الظل نافذ البصيرة يخفى وراء كل ذلك نفسا اعتصرها الالم وعذبها طول الحنين ·

فى زيارتى الاخيرة الى لندن وجدت الدكتور فؤاد لا يزال فى مكانه · ولكنه عثر على بيته أو كاد · قال لى : « تعال أروى لك ما حدث · أخيرا وأخيرا جدا على ضوء الوضع الراهن اخذت أفكر فى شراء بيت · فاخبار الوطن العربى وأوضاعه تجعل الانسان يشعر وكأنه أمام حائط ليس له الا أن يضرب رأسه به أو كأنه مولود من حائط وملقى على الارض تركة لمن يحمل · ليس هذا وحده الذى جعلنى أفكر فى شراء بيت وانما زيارة أخى سمير الى شفا عمرو · كان أخى سمير قد حصل بعد نفاد صبر على جواز سفر بريطانى يخوله أن يذهب الى الوطن المحتل كأى مواطن بريطانى · وقد ذهب الى شفا عمرو وزار البيت فوجد فيه أسرة يهودية من المهاجرين الجدد · فاستأذن فى الدخول الى البيت وزيارته وأخذ صور ملونة له من جميع جوانبه · وعاد الاخ الكريم يحمل مجموعة كبيرة وقيمة من الصور كأنما هو عائد من زيارة بيت مقدس تسكنه الآلهة · فلكل ركن من اركانه قصة وذكريات ولكل زاوية معنى وارتباطات · وأخذ الاخ الكريم يحثنى على أن « أحج » الى البيت كأنما صارت بيوتنا فى أيدى أعدائنا مصدرا من مصادر الدخل السياحى نحج اليها لمداواة لواعج الحنين ونبكى على حيطانها · كان أخى كأنما هو يدعونى الى « التسوية » مع نفسى » ·

وتابع الدكتور فؤاد قصته قائلا : « اعترف اننى بدأت أبحث عن وطن بديل أو بيت بديل ، فطفقت أدور فى احياء لندن وضواحيها أفتش عن بيت فيه ما يشبه مدخل بيتنا وما يقترب مظهره الخارجى على الاقل من مظهر ذلك البيت · أنت تدرى أن الانسان يمارس الخداع على نفسه بوعى أو بلا وعى هروبا من الحقائق المرة · وكان لابد لى من العيش فى ظل خداع النفس للمحافظة على البقية الباقية من خفة الظل · كنت اخشى أن أصبح ثقيل الظل على نفسى وعلى الآخرين ·

وعثرت على بيت يشبه بيتنا الى حد بعيد · وقد توافرت فى ذلك البيت عناصر غريبة جعلته أقرب ما يكون الى بيتنا فى شفا عمرو · فقد كان صاحبه قد ولد فيه ونشأ وعمره بذكريات طفولته · فلكل زاوية قصة تشبه قصص زوايا بيتنا · هنا كان يختبىء هو وأخوه من غضب أبيهما · وهناك كان يخبىء ما يروق

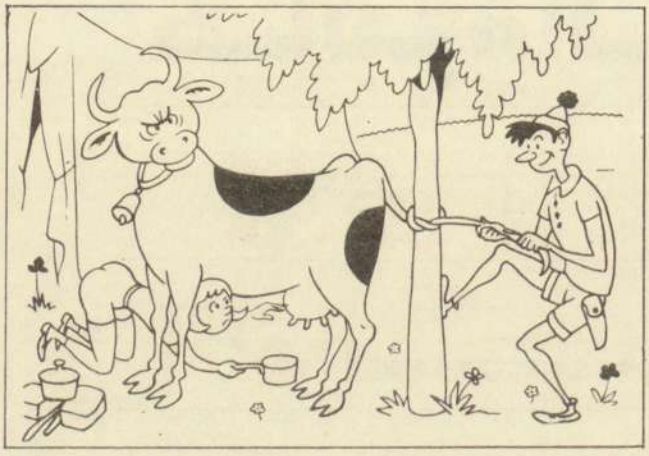
الجديد

العدد القادم

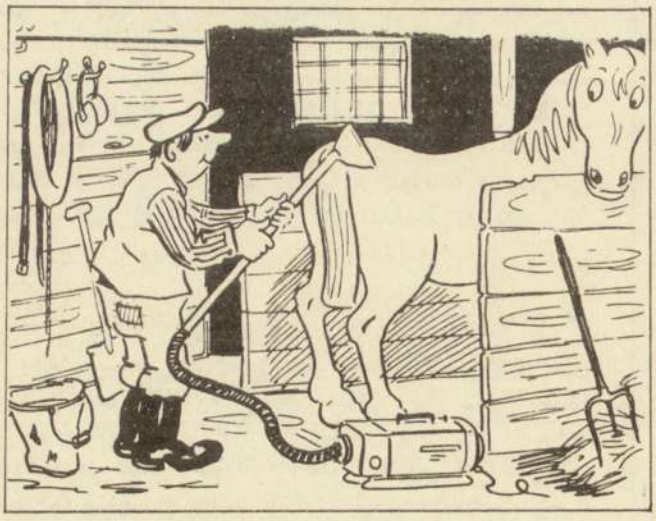
وقفات ساخرة

الفيل

بقلم: إبراهيم أبوناب







له من الالعاب والاشياء التى لا ترضى عنها الوالدة • وفى هذا الركن من الحديقة كانت تجتمع الاسرة لتناول شواء ورواية حكايات •

العجيب أننى بدأت اقع فى هوى البيت وأنا لا أدرى أن الرجل انما يروى لى كل هذه الروايات لكى يفاوضنى على امكانية زيارته للبيت فى المستقبل فيما لو أننى اشتريته • وقلت له : « على الرحب والسعة فى أى وقت » • وكانما أنا اشتريته بالفعل وصرت صاحبه • ولكن الرجل خطا خطوة أخرى فى مفاوضاته واخذ يفاوضنى على امكانية استعادته للبيت فى المستقبل فيما لو أنه رغب فى ذلك • عند هذه النقطة لم أجد بدا من اظهار عجبى من رغبته فى بيع البيت • وقال لى الرجل انه ليس هو الذى يرغب فى بيع بيته وانما الامر كله ناشىء من رغبة زوجته فى الهجرة الى اسرائيل • قلت له فى دهشة : « اسرائيل ••؟ وهل انت يهودى ؟ » قال : « لا وانما زوجتى يهودية ولها أم وأب هاجرا الى اسرائيل وعاشا هناك فى بيت جميل حصلا عليه بأسعار اسميه من الحكومة لانهما من المهاجرين الجدد • وقد اضطرا الآن الى ترك البيت والانتقال الى الشقق الجديدة فى ضاحية اشكول فى القدس لانهما حصلا على عمل فى القدس » •

وتابع الدكتور فؤاد حديثه عن صاحبه فقال : قلت لصاحبى : « وما الحكمة فى انتقالكم الى بيت سيتركه أبواها ؟ » فقال : « انهما لا يرغبان فى أن يذهب البيت من أيديهما الى مهاجرين جدد آخرين ولذلك فانهما قد اقنعا ابنتهما ـ أو زوجتى ـ بالهجرة من أجل الحصول على هذا البيت بأسعار زهيدة اسمية • وقد ارسلا صورة للبيت وكتبا عنه كثيرا • وهكذا فان زوجتى ما زالت تقنعنى بالهجرة وتلح على الى أن رضخت أخيرا وامرى لله » • قلت للرجل : « وما يدريك انك ستنتقل من البيت المذكور بعد فترة بحثا عن عمل فى مكان آخر فتضطر الى شراء شقة فى تل أبيب أو غيرها فتكون قد بعت بيتك الجميل هنا لكى تصبح من سكان الشقق المكتظة هناك ؟ » قال الرجل : هذا احتمال وارد •• وهذا ما أقوله لزوجتى » • قلت له : « بالله عليك ، هل يمكن أن أرى صورة البيت الذى تنوى أن تسكنه فى فلسطين » •

وذهب الرجل لاحضار الصورة ، وعندما عاد ورأيتها أسقط فى يدى ولم أعرف ما أقول •

هل تريدون أن تعرفوا لاى بيت كانت الصورة ؟

ابراهيم أبو ناب

نعمان عاشور

ظاهرة الندوات في حياتنا الأدبية

- أجيال أدبية عديدة تولد في المقاهي والندوات
- التجمعات الأدبية من أقوى أسباب النهوض الثقافي
- قهوة عبد الله أو الحي اللاتيني .. في القاهرة

تشكل الندوات والروابط والجماعات والهيئات الادبية ·· القوالب أو على الاصح ·· الهياكل التي تنصهر في داخلها وتنبعث من خلالها ·· العركات والاتجاهات والتيارات الادبية والفنية والفكرية المختلفة. وقد كان لمثل هذه التجمعات شانها الكبير أبان الاربعينات عندنا في مصر ·· فقام على وجودها وتكاثرها الصرح الثقافي الضخم الذي مهد وصاحب ثورة سنة ١٩٥٢ بكل ما واكبها من انطلاقات ·· ويقيني أن أهم ما يجب أن يعنى به النقاد في تتبعهم وبحثهم عن المنابت الحقيقية للازدهار الثقافي الذي نطقت به حياتنا ابان الخمسينات والستينات ·· الرجوع الى هذه الظاهرة ورصدها ومتابعتها لانها من الظواهر المفتقدة فعلا والتي لا يمكن أن تغني عنها بديلا ·· الهيئات والتجمعات الرسمية ·· كاتحادات الادباء أو حتى الندوات الادبية واللقاءات والبرامج الثقافية التي أحيانا ما تنطلق بها الاذاعات أو يجسدها التليفزيون الملون ·· وغير الملون ·!

عصر الندوات

والذي يدفعني الى طرق مثل هذا الموضوع ·· ليس مجرد الشغف بالظاهرة في حد ذاتها ·· أو لاننى عشتها في شرخ شبابي بكل ما كان لها من أبعاد ·· وسجلت جوانبها في بعض كتاباتي وعلى الاخص في ذكرياتي المسرحية (المسرح حياتي) ·· وليس هو أيضا مجرد الاجابة على التساؤلات المطروحة من جانب شباب الادباء حول مقومات الحياة الثقافية التي سبقت جيلهم ·· وانما يستلفتني الى الظاهرة تنويه عابر جاء على لسان الاستاذ الكبير فتحي رضوان ·· وهو أول من تولى انشاء وزارة للثقافة ·· في حديث اذاعي ·· ترحم فيه على زمان الندوات والتجمعات الادبية واعتبرها من أقوم مهيئات النهوض الثقافي الحقيقي ·· أكثر من ذلك ·· وهو ما يعطي للظاهرة أهميتها ودلالتها ·· ان وجود مثل هذه الروابط والندوات ·· لم يكن يستلزم تهيئة الغرف المفروشة المكيفة بالهواء أو تنسيق القاعات الفسيحة المليئة بالمقاعد والتحف والطنافس والمحاطة بالميكروفونات والمسجلات ··· الخ ·· وانما قد يكفي على سبيل المثال وجود غرفة أو شقة كالتي تشغلها رابطة الادب الحديث حاليا ومن عشرات السنين لتلقي فيها بعض الاشعار وتناقش داخلها بعض الكتابات وكانها واحة مجدبة في وسط خلاء صحراوي قفر تحيطه الكثبان من كل جانب ·

اللقاءات الفردية

وهنا يحل السؤال !! فما هي الحكمة من وراء ملاحقة مثل هذه الظاهرة التي ولى زمانها وانقضت أيامها ؟! وهل من سبيل الى استعادتها أو تحقيق وجودها والجزم

العقـــاد



طـه حسين



توفيق الحكيم



نجيب محفوظ



بصلاحيتها لمثل عصرنا الراهن ؟! صحيح انه لا زالت هناك بعض الفلول المتبقية من هذه الظاهرة ·· فالى جانب الاصرار اللاهث لرابطة الادب الحديث ·· يوجد نادى القصة وندوة الحكيم الشتوية بالاهرام وندوته الصيفية فى قهوة بترو بالاسكندرية ·· والجلسات المتناثرة للادباء الجدد على مقاعد مقهى ريش وسوق الحميدية وقهوة أسترا ثم سهرة نجيب محفوظ والحرافيش ·· الا أن هذه كلها لا تشكل أكثر من لقاءات فردية بين بعض الاصدقاء · وليست روابط أو ندوات أو تجمعات !!

والحق أنه قد أصبح من المستحيل استعادة ما فات ·· خصوصا بعد أن طغت المعبرات الحديثة وعلى رأسها التليفزيون والاذاعة ·· ببرامجها وندواتها التى امتصت وحجبت الروابط واللقاءات المجتمعة أو الجماعية ·· وخصوصا أيضا ·· بعد أن خلت معظم المجلات الثقافية والادبية والفنية من أدنى ارتطام أو مناجزة بين التيارات الادبية والاتجاهات الفنية والمدارس الفكرية المختلفة المتعارضة ·· ناهيكم عن الجرائد اليومية ·· لكن ·· لعل هذا الوضع الذى تجمدت فى داخله حركة الحياة الثقافية ·· هو الذى يدفعنا الى محاولة العودة الى استكشاف هذه الظاهرة وتلمس تاثير وجودها رغم ما لحقها من عوامل مغايرة وظروف متباينة استجدت بفعل ما طرأ على الحياة الكلية للمجتمع عامة فى مختلف جوانب نشاطه السياسى والاقتصادى والاجتماعى · وبالضرورة ·· نشاطه الثقافى !!

حياة الاربعينات

انها اذن ليست عودة الى الماضى بقدر ما هى محاولة استكشاف للحاضر الثقافى الذى نعيشه · وفى سبيل ذلك أخذتكم معى الى صورة عامة لما كانت عليه الحياة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية · وبالتحديد فى النصف الثانى من الاربعينات ·· حركة وطنية متوثبة للخلاص من الاحتلال الانجليزى ·· صراع سياسى حاد بين الاحزاب ظاهرة التنافس على السلطة وحقيقة القضاء على سيطرة الحكم الفردى للملك ·· أزمة اقتصادية طاحنة وعميقة الجذور ·· حياة ادبية وثقافية متطورة تنتقل بالالوان والاتجاهات الادبية الى أشكال جديدة هى القصة القصيرة والرواية الطويلة والتراجم ·· والواقعية تاخذ مكان الرومانتيكية السائدة ·· وموجة الشعر الحر ترتفع ومذهب الفن للفن يتراجع أمام تيار الادب الاجتماعى والالتزام الفنى والفكرى · والحياة فى مسارها العام وهى مليئة بكل هذه الصراعات ·· تجد لها متنفسا طبيعيا فى الندوات والجمعيات والروابط الادبية وما ينصب داخلها من اشعاعات الاطار الواسع للحياة العامة بكل تياراتها السياسية والاقتصادية ·· جيل جديد من الادباء والكتاب يناهض جيل طه حسين والعقاد والمازنى ·· وجيل آخر من الشعراء يناهض شعر القوافى · وجماعات من النقاد والمنظرين تهب لوضع قواعد ومقاييس عصرية مغايرة للالوان الادبية المستحدثة والاتجاهات الادبية القائمة ·· وهكذا ·

التفاعل الحى

كل هذه البوادر الحية من الالوان والاتجاهات والتيارات الى جانب الحصيلة التى بدأت تأخذ طريقها من النتاج الادبى الجديد ·· وجد تفاعله الاولى فى الندوات والهيئات والروابط الثقافية والادبية ·· وكلها كانت تلقائية وقد لا يربط بين أعضائها الا المكان المختار لجلوسهم · كرصيف لاحدى المقاهى أو تجمع حول مائدة طعام أو من خلال بعض الاندية الخاصة ·· أو داخل شقة صغيرة مستأجرة أو فى حديقة دار أو فى ركن بمقهى أو غرفة التحرير لاحدى المجلات ·· ولكنها كانت ندوات منتظمة ودائمة لا ينقطع انعقادها ··· اكتفى بما وعته الذاكرة مما كنت ارتاده وكان قائما منها ·· هناك مثلا ندوة « كازينو أوبرا » وهى ندوة ثابتة تعقد صباح الجمعة اسبوعيا ونجمها الاول نجيب محفوظ وبين حضورها الدائمين ·· عادل كامل ومحمد عفيفى وعبد الحليم عبد الله وأمين يوسف غراب

ظاهرة الندوات في حياتنا الأدبية

- توفيق الحكيم بين ندوتى الشتاء والصيف
- الأربعينات: فترة ازدهار وتجديد وجرأة على اكتشاف آفاق أدبية جديدة

وعبد الحميد جودة السحار وعلى أحمد باكثير رحمهم الله ·· وندوة « الفصول » وكان يعقدها الاستاذ زكى عبد القادر فى مكتبه مساء الاثنين من كل اسبوع ومن شهودها أحمد بهاء وفتحي غانم وعصام سليمان وعباس صالح وغيرهم ·· ورابطة الادب الحديث ليلة الثلاثاء وعلى رأسها مصطفى عبد اللطيف السحرتى والصيرفى وعبد المنعم خفاجه ·· وندوة « المقتطف » التى كانت تجمع مفيد الشوباشى وابراهيم الابيارى ومختار الوكيل ·· وندوة جريدة الاهرام الليلية التى كان يعقدها انطون الجميل ونجمها كامل الشناوى وبقية الشعراء من الصحفيين ·· وندوة الدكتور ابراهيم ناجي بعيادته بشبرا ويحضرها مساء الاحد اسبوعيا صالح جودت وكامل أمين ·· وندوة العقاد الشهيرة باتباعه واشياعه ومريديه ·· صباح الجمعة في منزله بمصر الجديدة ·· ثم هناك ندوة خريجى الجامعة بناديهم وكانت تضم عبد الرحمن الشرقاوى وعبد الحميد الكاتب ·· وندوة الرسالة ويحضرها أحمد حسن الزيات ومعه أحمد أمين ودكتور زكى نجيب محمود ودريني خشبه وابراهيم زكى خورشيد ·· وندوة الشعر الاسبوعية فى نادى موظفى الحكومة بعماد الدين وعلى رأسها عبد الله شمس الدين ·· وهناك الندوات التى تجمع بين الادب والسياسة كندوة نشر الثقافة الحديثة أو الادب والاقتصاد والعلوم ·· كدار الابحاث العلمية ·· وكذلك كانت هناك ندوة الشبان المسيحيين وعلى رأسها المرحوم سلامة موسى ومنظمها خليل جرجس خليل ·· وندوة الشبان المسلمين التى أسسها الدكتور محجوب ثابت ·· وندوة نادى المثلين التى تجمع بين أحمد علام وحامد مرسى وحسن البارودى وغيرهم ·· وهى ندوات مفتوحة يستطيع أن يشهدها كل من له أقل صلة باحد من أعضائها أو على الاصح مرتاديها ·

منابت البذور

كانت هناك العديد من الندوات والروابط التى يستحيل حصرها والتى طال وأستمر عقدها لعدة سنوات حتى بعد بداية الخمسينات ·· ومن الندوات المنتظمة أيضا ·· ندوة المرحوم زكى مبارك الليلية على قارعة الرصيف فى ميدان توفيق ·· وندوة الفيشاوى الساخرة فى رحاب الحرم الحسينى وتستمر حتى الصباح ·· ثم ندوة باب الخلق فى كازينو كان يتوسط الميدان ·· وكان يحضرها أحمد مخيمر والهمشرى وطاهر أبو فاشا والمرحوم الشاعر أحمد فتحى وعبد الرحمن الخميسى وندوة أمين الخولى وتلاميذه فى داره بمصر الجديدة ·· ثم هناك ندوات وجلسات طارئة أهمها لقاءات ناجى والمازنى وبيرم التونسى وزكريا أحمد ومن يلتف حولهم من المناصرين لهم فى جلساتهم بالمقاهى ·· ومن ابرزها مقهى الحرية بميدان الازهار ·· الخ ·· وكل هذه الندوات وأكثرها أثرا وحيوية وأطولها عمرا وانطلاقا بلا انقطاع تقريبا · وأغلبها دورية ومنتظمة وثابتة ·· كونت المنابت الحقيقية للبذور التى انبعث منها الصرح الثقافى لحياتنا الادبية والفنية والفكرية على بداية منتصف القرن ·· وهنا يجىء الدور الضخم لابرز هذه

الحياة في الجسد

ان ما يحتاجه الانسان حقا هو تناغم حياته وانسجامها ، انه لا يبحث عن خلاصه الروحي فقط· انه يريد ان يحقق وجوده المادى أولا واخيرا فهو يحيا مرة واحدة في الجسد !

وللانسان كما للزهرة والذئب والعصفور تكون قمة الانتصار حين يشعر بالحياة الثرة الحقة · ومهما عرف الذين لم يولدوا ومهما عرف الموتى فانهم لن يعرفوا جمال وعظمة كون الانسان حيا في الجسد ·

د· هـ· لورانس

زكي مبارك



انطوان جميل



ابراهيم ناجي



محمد زكى عبد القادر



الندوات وأكثرها أثرا وحيوية وأطولها عمرا وانطلاقا ·· وهى الندوة التى استبقيت الحديث عنها ·· الندوة الشهيرة المعروفة بندوة قهوة عبد الله فى الجيزة ·· فمن فوق مقاعدها ومن خلال جلساتها وفى ظل وجودها وامتدادها شهدت حياتنا الثقافية المعاصرة ·· تخرج أغلب الكتاب والفنانين والمفكرين والادباء والنقاد الذين عرفناهم وقرأنا لهم طوال الربع قرن المنصرم ·

الحى اللاتينى

وأحسن ما أبدأ به للتعريف بهذه الندوة ·· ياتى من تاريخها ومكانها والظروف التى كونتها ·· فقد التصق تاريخها بالحياة الجامعية ذاتها وكانت خلال منتصف الثلاثينات وعلى مدى سنوات الحرب العالمية الثانية المحل المختار لمعظم الطلبة الجامعيين القاطنين فى الجيزة الحى اللاتينى كما كنا نسميه فى تلك الايام · اسوة بالحى اللاتينى المحيط بجامعة السوربون فى باريس والشهير بانه مستودع تفريخ الادباء والفنانين ·· فلقد كانت قهوة عبد الله هى أقرب المقاهى الى الجامعة وأرخصها سعرا وأكثرها احتكاكا بالحياة اليومية للجماهير العديدة من أبناء الشعب ·· أسهلها ارتيادا لانها قهوة شعبية صرفة ·· ثم انها تتميز برصيف متسع يطل على ميدان الجيزة الفسيح ·· وتقع على راس الشارعين الرئيسيين الممتدين الى داخل الجيزة ·· تحيطها العوانيت من الجانبين ·· حيث السندوتشات والوجبات السريعة الغاطفة ·· وقد كانت المحط الذى يلتقى فيه أولياء الامور من الفلاحين القادمين للقاء أولادهم من طلبة الكليات ·· وهى لا تغلق أبوابها على مدار الليل والنهار وتظل مضاءة حتى الصباح · صاحبها كان رجلا من أهل الصعيد ·· اسمه عم عبد الله ·· ولا يعرف له لقب ·· وجرسونها الدائم من أولاد البلد الظرفاء وهو عم أحمد ·· وليس له لقب هو الآخر ·· ولكنه رحمه الله كان من مواليد عابدين بالقاهرة · والرصيف الخارجى يتسع لاكثر من ثلاثين كرسيا تتناثر حول طاولاتها ·· ويستطيع الجالس فيها أن يراقب الحركة الكاملة للميدان الواسع الذى تتقاطع عنده أربعة شوارع رئيسية · أحدهما يؤدى الى الاهرامات (شارع الهرم) والآخر يؤدى الى كوبرى عباس على النيل والثالث يمتد حتى أبواب الجامعة والرابع يقود الى القاهرة ·· هذا عدا الشارعين الرئيسيين المؤديين الى الجيزة ·

ندوة قهوة عبد الله

وقد عرفت دائما بهذا الاسم ·· أما أنا شخصيا فقد تعرفت على المقهى ذاته عام ١٩٣٦ أى قبل دخولى الجامعة بثلاثة أعوام ·· وكان اسمها جامعة فؤاد الاول (القاهرة الآن) ·· وكانت هى الجامعة الوحيدة فى مصر ·· وكنت أنا أيامها فى المدرسة الخديوية الثانوية بحى السيدة زينب والصراع السياسى يغمر القاهرة على أشده حول الدستور والحكم النيابى الديموقراطى ·· واشتركت كغيرى فى احدى المظاهرات الطلابية وانطلقنا من السيدة زينب الى الجيزة لننضم الى طلبة الجامعة الذين كان البوليس يحاصرهم داخلها ·· لكنا ما كدنا نصل الى ميدان الجيزة حتى قوبلنا بوابل من الرصاص فلجأت بسرعة الى أقرب مكان ·· وكان هو قهوة عبد الله فبقيت فى داخلها مع بعض زملائى الطلبة فى حماية جرسونها عم عبده حتى هدأت الحالة ومن بعدها ·· أصبحت قهوة عبد الله هى المزار الدائم الذى أتردد عليه وكأنها السينما ·· كنت أقطن القاهرة ·· ولكن أمضى كل فراغى فى الجيزة على قهوة عبد الله ·

وكان طبيعيا حين التحقت بكلية الآداب وسكنت فى الجيزة ان التحق أيضا بقهوة عبد الله وهكذا قدر لى ان أسمع أول نبأ عن بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ من راديو القاهرة وأنا جالس وسط زبائنها ·· ثم تتابعت الاعوام لاشهد من فوق مقاعدها وأشارك الاجيال المتعاقبة من المترددين عليها فى بناء صرح الحياة الثقافية حتى يوم اغلاقها لاقامة عمارة جديدة مكانها ·· وكان ذلك على ختام الخمسينات تقريبا ·· مرحلة طويلة من عمر حياتنا الادبية تقارب العشرين عاما أو يزيد ·· استمرت قهوة عبد الله فى خلالها بؤرة الالتقاء ومركز التجمع ومنطلق الانبثاق لمعظم المدارس والتيارات

ظاهرة الندوات في حياتنا الأدبية

- المحاولة التى مهدت لظهور كتاب القصة القصيرة الجدد
- تيار الشعر الجديد تشعب بأصحابه إلى عدة منطلقات

والاتجاهات الادبية والفنية والفكرية التى اجتاحت محيط حياتنا الثقافية .

المكونات الاولى

مع بداية الحرب العالمية الثانية لم يكن معظمنا قد تخرج بعد من الجامعة واغلبنا لانزال طلبة .. وجاء قيام الحرب ليرتد بمعظم أعضاء البعثات فى الخارج الى العودة لمصر .. فشهدت قهوة عبد الله العديد من هؤلاء الوافدين يتزاحمون مع روادها فوق مقاعدها مع بداية كل ليلة .. وحتى هذا العهد كان المترددون على القهوة لا يشغلون أكثر من ثلاث طاولات . طاولة يرابط حولها الناقد المرحوم أنور المعداوى وبعض من زملائه فى قسم اللغة العربية ويجالسهم فيها من مدرسيهم أو معيديهم .. الدكتور كامل حسين والدكتور عبد الحميد يونس .. واخرى يشغلها دواما المرحوم زكريا العجاوى واشياعه ومنهم المحامى الاديب عبد الحميد قطامش ومحمد على ماهر وثالثة تضم المرحوم الشاعر محمود حسن اسماعيل والمعجبين به من الشعراء الجدد مثله .

وكانت الجامعة أيامها قد هدأت فيها الاضطرابات السياسية ودخلنا على سنوات الحرب فاذا بسيل جديد وافد من دكاترة الادب ينسابون واحدا بعد الآخر الى قهوة عبد الله .. كان أولهم الدكتور محمد القصاص اثر عودته مباشرة من باريس .. ثم لحق به المرحوم الدكتور محمد مندور وتبعهما عائدا من انجلترا الدكتور عبد القادر القط .. وهكذا أصبحت قهوة عبد الله بمثابة ناد أدبى مفتوح ومستمر بالليل وبالنهار ليجتذب بعد هؤلاء الدكتور عبد الرحمن بدوى الذى كان ينفرد بنفسه بعيدا عن طاولات تجمع الآخرين. وكان الجو أيامها فى الجامعة جوا غريبا خاصة فى كلية الآداب .. فعلى رأس الجامعة لطفى السيد وكلية الآداب تتبدل عمادتها من طه حسين لاحمد أمين .. والجامعة مفتوحة بعد الظهر لمحاضرات متتابعة يلقيها الشيخ مصطفى عبد الرازق وابراهيم بيومى مدكور وسليم حسن ومحمود عزمى وأحمد زكى ومنصور فهمى وكافة الرجالات الكبار من الذين كانوا يشكلون الاقمار الساطعة فى حياتنا الادبية والفكرية .. وكنا نتردد على محاضراتهم المسائية هذه وهى خبرات مفتوحة وعدد حضورها قليل مع ذلك .. ثم نسارع الى قهوة عبد الله فنقطع بقية الليل فى حوار متصل حولها وما دار فيها من حوار ومناقشات وما اثير من قضايا وموضوعات . ومن هنا بدأت قهوة عبد الله تأخذ طابعها كندوة ادبية موسعة أكثر منها قهوة بلدية والطريف الاكثر من ذلك فى هذه الايام أيضا .. ان القهوة كان يواجهها فى الميدان كازينو أفرنجى بعديقة .. هو كازينو المثلث (سان سوس حاليا) .. وكان هو الآخر من كازينوهات الليل .. يندفق اليه العديد من الادباء والفنانين والصحفيين الكبار قادمين من القاهرة خاصة فى ليالى الصيف .. ومن المترددين عليها دواما .. انطون الجميل وابراهيم ناجى وحفنى محمود وكامل الشناوى .. ولقرب الكازينو من استديوهات السينما القائمة فى شارع الهرم كان يحفل دائما بجلسات كبار الممثلين .. يوسف وهبى وأنور وجدى وليلى مراد وزينب صدقى ومحمد عبد القدوس وغيرهم .. وهذا أضفى على قهوة عبد الله الكثير فوسع من رقعة اهتمامات جالسيها الفنية .

مهب التيارات الادبية

ولعله من المفيد هنا ان نسجل أهم التيارات الادبية التى اجتاحت قهوة عبد الله من البداية .. وكان أبرزها الموجة التى حملها دكاترة الادب الوافدين من البعثات بعد وقوع الحرب فى أوروبا . وتمثلت فى الدعوة الصارخة الى (الوجودية) .. وبالذات وجودية سارتر التى كانت أقوى الفلسفات المسيطرة فى الغرب أيا مذاك .. وكان يحمل لواءها عبد الرحمن بدوى ثم الدكتور محمد القصاص . وهذه الدعوة كان يعاديها زكريا العجاوى وأنصاره على أساس العادیتها ويبشرون بما يناقضها وهو ما كانوا يسمونه الواقعية الاسلامية المستندة الى التراث الفلكلورى الشعبى .. ويقف فى وجهها مندور والقط فى التزامهما بما كان يسمى أيضا .. الواقعية الحديثة .. أو على حد تعريف السحرتى وكان قد أصبح من رواد الندوة .. الواقعية المعاصرة .. والحق ان دعوى الواقعية هذه كانت أيامها هى الدعوة

زكريا الحجاوي



محمد مندور



الغالبة على المفهوم الادبى كله ·· وعلى هديها بدأ نجيب محفوظ كتابة رواياته الاولى الصادرة بعد هذه الفترة ·· خان الخليلى وزقاق المدق والقاهرة الجديدة ثم الثلاثية · ونفس هذه الدعوة الى الواقعية كانت تغمر مناقشات قهوة عبد الله الليلية التى أحيانا ما امتدت الى الصباح ··· وذلك فى مضمار القصة القصيرة وهى اللون الادبى الذى بدأ يتبلور ليطفو على سطح الانتاج الادبى فى السنوات التالية بعد ذلك ··· وكان من أبرز سماتها الحملة على القصص الرومانتيكية التى كان يكتبها محمود كامل المحامى ثم احسان عبد القدوس والمرحوم يوسف السباعى وأمين غراب وغيرهم ·· ونقد واقعية القصص القصيرة لمحمود تيمور ومحاولة اكتشاف بذور الواقعية فى القصة القصيرة عند يحيى حقى ·· وهى المحاولة التى مهدت لظهور كتاب القصة القصيرة الجدد فى الفترة التالية مباشرة · ومنهم يوسف ادريس ويوسف الشارونى وغيرهم من الذين أصبحوا بعد ذلك من رواد قهوة عبد الله أيضا ·

لكن لعل اغنى التيارات التى حفلت بها الندوة فى تلك الفترة ·· تيار الشعر الجديد ·· فقد تشعب هذا التيار بأصحابه الى عدة منطلقات ·· كان يمثل احداها محمود حسن اسماعيل بنفثاته الشعرية المتطورة نحو ما سمى بعد ذلك بالشعر الحر ·· ثم تعصب مندور لشعراء المهجر مما أدى به الى اصدار كتابه المعروف عن « الشعر المهموس » وموقف أنور المعداوى بنظريته عن الاداء النفسى فى الشعر ·· وكتابه عن « الاداء النفسى فى شعر على محمود طه » وصرخة السحرتى وتفسيراته للشعر الملتزم الجاد وكتابه الباكر عن « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ·

بؤرة أشعاع ثقافى

وكل هذه الدراسات والنظرات كانت الحصيلة الفعلية المكتوبة لمناقشات قهوة عبد الله التى أصبحت تشكل بعد هذه السنوات الاولى من وجودها ودوامها ثم استمرارها المضطرد ·· البؤرة الواسعة والمهب الدافع لما تزخر به الحياة الادبية من الوان واتجاهات ومدارس ·· ومن أجل ذلك أصبحت ندوتها على نهاية السنوات العصيبة التى أعقبت الحرب من عام ١٩٤٥ وحتى قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ·· المستقر الاكيد لمعظم النقاد والكتاب والشعراء ممن تتابع ظهورهم فى تلك الاثناء ·· فعلى رصيفها كان مولد الكثيرين من الكتاب والنقاد الجدد والشعراء المعاصرين الذين أثروا حياتنا الادبية والفنية بعد ذلك بالعديد من الاعمال والكتابات ·· فيها بدأ رجاء النقاش خطواته الباكرة ناقدا ثم كاتبا من أكثر النقاد والكتاب انغمارا فى تيار الحياة الادبية المتتابعة الاجيال بكل ما يشغلها من قضايا واتجاهات وتيارات · وعلى طاولاتها تكونت اللبنات الاولى لشعر صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطى حجازى وعبد القادر حميدة وأبو سنة وغيرهم ·· ومن بعد ذلك ارتادها معظم من قدر لهم دعم وتعمير وازدهار الحياة الادبية والحركة المسرحية التى انبثقت فى الستينات ·· واستثنى نفسى منها لانى شاهدت كافة عهودها منذ بدايتها ·· لكنى أذكر من بين المبرزين من روادها فى هذا المضمار الدكتور على الراعى الناقد المسرحى العتيد ·· واحمد عباس صالح وهو أيضا من النقاد الذين تبلور نضجهم فيها ·· وكذلك الشاعر المسرحى نجيب سرور ·

والخلاصة ان ندوة قهوة عبد الله ظلت حتى مرحلة السنوات التى عاشتها من عمر ثورة ١٩٥٢ حتى اغلاقها لبناء عمارة جديدة مكانها ·· مهبط الالتقاء الدائم لكافة الكتاب والصحفيين الذين كان يحلو لهم بعد طبع جرائدهم ومجلاتهم قراءة ومتابعة ما يكتبون أو ينشرون فيها على طاولات القهوة بعد صدورها فى الصباح ·

القيمة الفعلية للندوات

ولا أحسب اننى افضت فى الحديث عن ندوة قهوة عبد الله باكثر مما تستحق فالواقع انها كونت جزءا كبيرا من تاريخ حياتنا الثقافية المعاصرة ·· وقد حرصت على هذه المحاولة المستفيضة وليس فى ذهنى التغنى بما كان عليه ماضينا الادبى ·· وانما القصد ·· تقديم صورة مجسدة لنوع من أنواع التجمع الثقافى الذى يربط الحياة الادبية بالحياة الواقعية لجموع الشعب بأحكم رباط ·· وهو التجاوب اليومى المباشر المتلاحق ·· الذى يستشف خفق الحياة فى صدور الناس بما تفيض به من مشاعر وأحاسيس ·· ويستلهم ما يطيف بعقولهم من آراء وأفكار هى التى تكون أو على الاحرى تبلور ثم ترجح فى حصيلتها النهائية ·· المقومات الصادقة للتعبير الادبى والفنى والفكرى الناضج الحى الذى تقوم عليه الحياة الثقافية فى تطورها الدائب نحو الغد ·

نعمان عاشور

سُليمان مُوسَى

سمات الكاتب المعاصر

الثقافة المعاصرة ينبغى أن تكون أولى السِّمَات للكاتب المعاصر

المازنى والعقاد وشكرى يلتقون ليتحدث كل منهم عن كتاب قرأه

أعتقد اننا جميعا نحاول ـ بصورة أو بأخرى ـ أن نكون أبناء العصر الذى نعيش فيه ، فنتالف ونتعايش معه ، ونعمل على فهم اتجاهاته وممارسة أساليبه • ولما كان الكاتب انسانا من جملة الناس الذين يؤلفون المجتمع المعاصر ، فما أجدرنا أن نتلمس السمات التى تطبع كتاباته ، او بالاحرى السمات التى نود أن نراها فى كتاباته ـ لكى نصل الى الاجابة على السؤال الذى نطرحه اذا ما ذكرنا كاتبا من الكتاب : هل يا ترى هو ابن عصره ، يتأثر به ويؤثر فيه ؟

يبدو لى ان أول سمة من السمات التى يجدر بالكاتب المعاصر أن يتحلى بها ، هى الثقافة المعاصرة • فالكاتب ـ سواء كان كاتبا خلاقا أو اتباعيا ـ لابد له من الاعتماد على رصيد واسع من الثقافة فى المجال الذى يمارس الكتابة فيه • ولما كانت الثقافة الانسانية من الضخامة بحيث لا يمكن للانسان أن يستوعب الكثير منها ، فان الكاتب خليق ان يعين لنفسه منهجا فى القراءة والدراسة يسير عليه • وقد يغطر على بال كاتب يمارس كتابة الرواية أو القصة القصيرة ـ مثلا ـ ان لا حاجة به لاضاعة وقته فى قراءة الكثير من الكتب ، على أساس انه انسان موهوب، يستمد قصصه من بنات الخيال • ولكن حتى القصة الخيالية يحتاج كاتبها الى معرفة بالناس وطبائعهم وأساليب حياتهم وتصرفاتهم ، لكى يضع قصته فى اطار يمكن للقراء أن يستوعبوه ويتقبلوه • والذى يقرأ القصص والروايات يستطيع أن يلاحظ مدى تعمق الكاتب فى فنون الثقافة • ومن هنا يرتفع بعض الكتاب فى انتاجهم الى الذرى ويهبط البعض الآخر الى السفوح والقيعان • وقد ذكر الروائى البريطانى سومرست موم ، انه كان ينتفع من قراءاته بغض النظر عن تنوعها ، وافاد كثيرا من دراسة الطب • وقد أعطى مثالا فى امكانات القراءة بالنسبة للكاتب فقال : انه قرأ مرة كتابا عن تاريخ (بيرو) فى أمريكا الجنوبية ، وأفاد منه •

الكتاب الذى قراه

تحدث عبد القادر المازنى فى مقالة له عن اكبابه هو وصديقيه عباس محمود العقاد وعبد الرحمن شكرى على المطالعة ، فقال ما خلاصته : كنا اذا التقينا لا نتحدث عن شان من شؤون الدنيا ، سوى الكتب التى قرأها كل واحد منا ، ولكن بينما كان العقاد وشكرى يفتكان فتك الاسود كنت أنا أقضم قضم الجداء !

ويجرنا الحديث عن الثقافة الى القول ان عصرنا الراهن قرب بين شعوب الارض بحيث أصبحت القارات بمثابة أحياء ضخمة لمدينة واحدة تتخللها شوارع من المياه هى البحار • أصبح العالم كله « قريتنا الصغيرة » كما قال هـ• ج• ويلز • ومن هنا لم يعد بمقدور شعب من الشعوب أن يعيش بمعزل عن الشعوب الاخرى • كما لم يعد بمقدور انسان مثقف أن يستغنى عن متابعة اتجاهات الثقافة العالمية المعاصرة • وهكذا تتبدى حاجة الكاتب العربى الى معرفة لغة أجنبية واحدة على الاقل • وقد يعتج البعض بأن قراءة الكتب المترجمة تفى بالحاجة ، ولكن اذا أردنا الحقيقة ، فان الترجمات لا تكفى • فالمترجم ـ مهما كان مجيدا ـ لا يستطيع أن ينقل لك روح اللغة التى نقل عنها • وفى كل لغة من أساليب البيان وفنون التعبير وروعة الاداء ، ما يفتح للكاتب المستنير آفاقا جديدة ، لابد أن تترك اثرها فى انتاجه •

ومن سمات الكاتب المعاصر أن يكون شاهدا لعصره ، أن يعيش آلام أمته وآمالها ، وأن يعبر عن ذلك فى كتاباته • ولا يستطيع الكاتب أن يكون شاهدا مقبولا ومعتبرا الا اذا جعل للمثل والقيم نصيبا طيبا فى توجيه خطى حياته •

لقد انتج طه حسين كتابات عظيمة رائعة ، ولكن الحياة التى عاشها كانت أعظم وأروع ما كتب • وليس المقصود هنا كتاب (الايام) ، بل ذلك الكفاح الشاق الذى خاضه طه حسين منذ أن فقد بصره ، حتى تفوق بجده ومثابرته على المبصرين من الكتاب ، ولقب بعميد الادب العربى •

المازني



العقاد



طه حسين



ويتسم الكاتب المعاصر بالاختصاص • ذلك أن آفاق المعرفة تشعبت واتسعت حتى أصبح من الصعب على امرىء واحد أن ينظم الشعر ويؤلف الروايات ويكتب الدراسات ويشتغل بالنقد والترجمة ، كل ذلك في آن واحد ، وأن يبلغ مع ذلك ذروة الابداع في أي منها • والارجح ان ينتهي الامر بشخص كهذا دون أن يقدم أثرا جيدا في أي باب من الابواب العديدة التي طرقها • ويصدق على مثل هذا المثل الدارج « كثير الكارات قليل البارات » ، أي ان الذي يزاول عدة مهن في آن واحد ، لا يستطيع أن يبلغ درجة الاجادة في احداها ولا يستطيع بالتالي أن يمارس مهنة رابحة •

الخط الواضح

ولابد للكاتب المعاصر أن يكون متفتح الذهن محبا للتطور والتجديد ، مستعدا للتعرف على الاتجاهات الثقافية والنظر فيها ومناقشتها وفهمها ، وبهذا يتجنب الوقوف عند حد معين من النمو الفكري ، وما يتبع ذلك من تحجر وعجز عن مسايرة روح العصر •

وينبغي على الكاتب المعاصر ان يكون أمينا في التعبير عن أفكاره وفي نقل آراء الآخرين ، لان تعدد أسباب الاتصال وكثرة وسائل توزيع المعلومات لا تسمح لمزيفي الحقائق والافكار بالمضي طويلا في الاعيبهم • ومن هنا ينبغي على الكاتب المعاصر أن يكون في المقام الاول ذا خط واضح ، أي أن يتخذ لنفسه موقفا بعينه ، لان التناقض يورث البلبلة ويؤدي الى فقدان ثقة القراء ، على الرغم من اعتماد البعض على ضعف ذاكرة الناس وعلى الفكرة الشائعة من أن المرء ينسى اليوم ما حدث بالامس •

وأراني افترض أن يقف الكاتب المعاصر في صفوف الطلائعيين والرواد ، ولا يتخلف للسير وراء صيحات الجماهير ، أو يتأرجح ويميل حيثما تميل الرياح • فما أسهل على المرء أن ينساق وراء فكرة تروج على حين غرة تتلقفها الافواه حتى تغدو صيحة رائجة • ولكن الجماهير لا تثبت على حال وخاصة في الاقطار المتخلفة ، حيث يؤدي الاستهواء دوره بفعالية أشد مما يستطيع بين الشعوب المتقدمة في سلم الحضارة • فالكاتب ، في الاصل ، انسان مفكر يتحمل مسئولية تجاه الناس الذين يكتب لهم ويبيعهم ثمرات فكره • ومن هنا يترتب عليه أن يحتفظ برأسه هادئا متزنا فوق كتفيه ، حتى لو سمح كثيرون لرءوسهم ان تتدحرج مع أرصفة الشوارع •

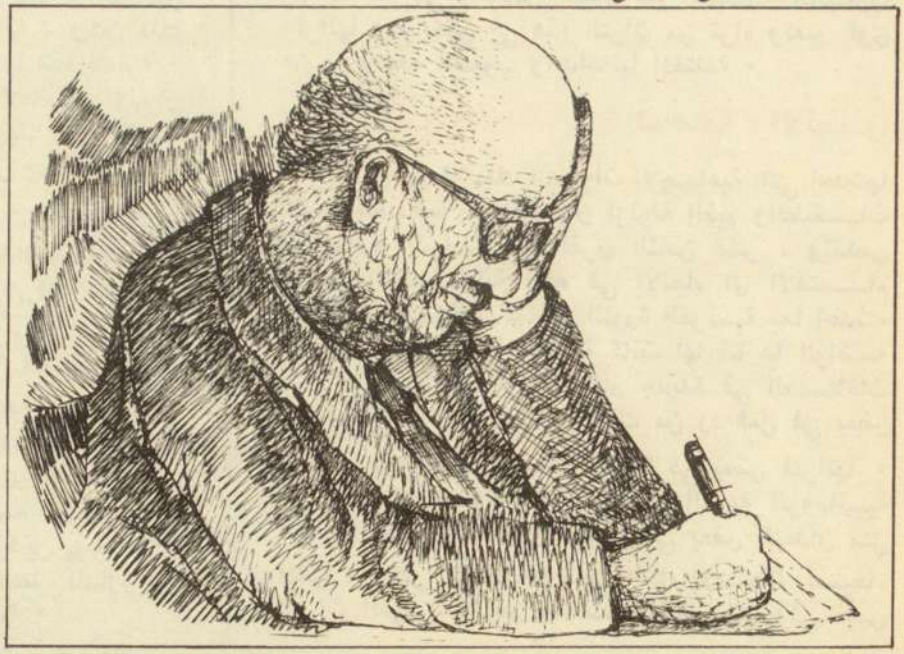
الحق والحرية

ويقف الكاتب المعاصر ، دون شك ، في صف أنصار الحق والحرية• ولكن عليه أن يمعن النظر طويلا في دعوات الزعماء الذين ينادون بالحق والحرية • اننا نعرف العبارة الفرنسية الشهيرة : أيتها الحرية كم من الجرائم ترتكب باسمك • ومن هنا لابد للكاتب أن يميز بين الدعوات التي تنادي بالحرية وتدعو لها ، بينما يعمل أصحابها على نحر روح الحرية • ومن الطبيعي أن يتغنى بالحرية كثيرون من أعداء الحرية ، كي يوهموا العامة ويضحكوا على ذقون الجماهير •

ويبدو لي أن من أوجب واجبات الكاتب المعاصر أن يستمر في تثقيف نفسه ، ما دام يمارس الكتابة • أما اذا اعتقد انه اكتفى بما نال من معرفة ، وتوقف عن تثقيف نفسه ـ فانه خليق أن يصبح مثل الماء الراكد الذي لا يلبث أن ياسن اذا طال ركوده •

ويجرني هذا الى نقطة أخرى الا وهي المغالاة في اعتداد الكاتب بنفسه • فالكاتب يستمتع دون شك باطراء الناس لاعماله • وهذا شيء في طبائع الناس • أما أن يسوقه الاطراء الى التعالي والكبر ، فامر يحمل بذور الانحدار والسقوط • وكما قال سومرست موم : الكاتب كبائع القماش ، هذا يضع بضاعته في المكتبات وذاك يضع بضاعته في الدكاكين ، والناس يختارون ما يعجبهم • فاذا أصاب البوار بضاعة كاتب من الكتاب ، فلابد له أن يراجع نفسه من جديد ويعيد النظر في انتاجه ـ الا اذا شاء أن يعتقد ان كتاباته فوق مستوى الكتاب ، فهو وشانه في أن يعتقد ما يشاء •

سليمان موسى : الاردن



فوزى العنتيل

تأثير الحركة الرومانسية في الفلكلور

الحبّ يلعب دورًا كبيرًا فى الملاحم الشعبية القديمة فى أشعار «أوشيان» الحكايات الشعبية ترتحل من شعب إلى شعب آخر ويستنبت جذورها هناك العناصر المشتركة بين الحكايات تتّضح من خلال الأصل الشعبى الكبير

يتفق الدارسون على أن علم الفولكلور نتاج الحركة الرومانسية ·

وقد بدأت الدراسة العلمية للفولكلور فى مستهل القرن التاسع عشر كنتيجة حتمية للحركة الرومانسية · وقد تركز الاهتمام فى فروع الثقافة الشعبية التى تمثل روح الشعب وتعبر عنها بوضوح مثل اللغة والشعر والحكايات الشعبية والعقائد والعادات ، وكان ذلك بسبب الارتباط بالتراث الذى بعثته آداب هذه الحقبة · وكان هذا الاهتمام بصفة عامة وليد الاهتمام بالانسان البدائى من جهة ، ووليد التشابه الغريب الذى ظهر بوضوح بين أنواع المأثورات الشعبية من جهة أخرى ·

ويرى ألكسندر كراب « انه قد حدثت موجتان عظيمتان من الاهتمام بالفولكلور ، احداهما تلك التى صاحبت حركة اكتشاف الانسان لنفسه (حركة النهضة) ، والاخرى رافقت حركة اكتشاف الانسان المفكر للرجل العادى (الثورتان الفرنسية والصناعية) ·

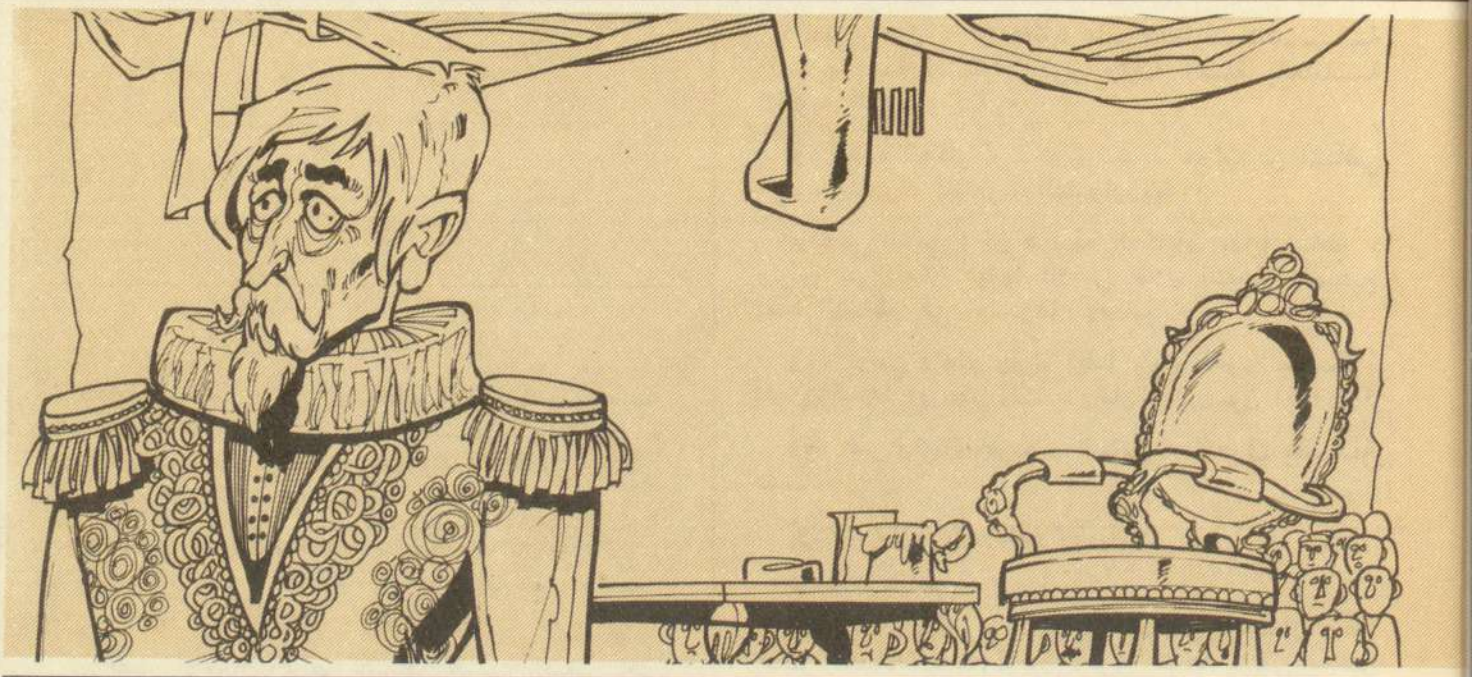
ويمثل القرن التاسع عشر مرحلة هامة فى تطور الدراسات الانسانية واتساع مجالها ، وظهور التأثر الواضح بنظرية « النشوء والارتقاء » الى حد أننا نجد عالم الفولكلور والانثروبولوجيا الشهير « ماريت » يقول عن « علم الانسان » انه يدين بوجوده الى « داروين » · فاذا نحن رفضنا وجهة النظر الداروينية فلابد لنا أن نرفض الانثروبولوجيا أيضا ·

لقد تأثر الدارسون اتباعا لروح الرومانسية بسحر المعتقدات الخرافية والعادات الغريبة وما أظهرته من تشابه شديد لدى الشعوب المختلفة ·

وقد استتبعت هذه الحركة أيضا الاحساس العميق بالقوميات والانعطاف نحو الماضى والحياة البسيطة ، وما يترتب على ذلك من البحث عن اصالة الشعوب وتراثها وما يكمن فى هذا التراث من ثراء وتعبير قوى عن روح هذه الشعوب وابداعاتها المختلفة ·

العاصفة والانطلاق

ويضاف الى كل ذلك التغييرات الاجتماعية التى احدثتها الثورة الصناعية ، فلقد كان لزلزلة القيم والطبقات الاجتماعية السائدة فى القرن الثامن عشر ، وتقلص سلطان الارستقراطية أثره فى الاتجاه الى الاهتمام بالطبقات الشعبية ، كما ان الثورة الفرنسية بما احدثته من تغييرات اجتماعية وفكرية كانت لها آثارها الواضحة فى الغرب بما أوحته من أفكار جديدة فى العلاقات الاجتماعية ، وبما احدثته كذلك من رد فعل فى بعض الاقطار نتيجة انحراف هذه الثورة فى بعض فتراتها · كل ذلك أنتج شعورا متسقا مع النزعة الرومانسية السائدة الى بعث الشعور القومى فى بعض البلدان مثل المانيا وانجلترا ظهرت آثاره فى اتجاه الادباء الى استيحاء التراث القومى لبلادهم والاعتداد بانفسهم ، وفى نفس



الوقت ظهر الانجذاب نحو الشرق وسحر تقاليده وعاداته ٠

اهتمـــام الآداب بالملاحم الشـــعبية

وفي هذه الحقبة ظهر افتتان الآداب الاوربية بالملاحم الشعبية القديمة التى دارت أحداثها فى اسكندنافيا أو فى ايرلندا ٠

وكان الحب يلعب دورا كبيرا فى هذه الملاحم ، ومن ذلك الاشعار التى عزيت الى شاعر قديم من شـعرائهم هو « أوشيان » وهو شيخ أعمى بقى وحده من بين شعب « الفنجل » الذى فنى فى الحرب ٠

وقد عرفت الآداب الاوربية هذه الملاحم الشـمالية من ترجمة « جيمس مكفرسن » ، (١٧٣٦ ـ ١٧٩٦) ، وسرعان ما وجدت صداها فى الآداب الاوربية ٠

وقد نشر « مكفرسن » ملحمة « فنجل » فى سـنة ١٧٦٢ فى ستة أجزاء ، وقد أثارت أعمال مكفرسن الدارسين الذين طلبوا منه نشر الاصل الكلتى ، ولكنه لم يفعل ٠ وعلى أى حال فان « مكفرسن » لم يتعمـد التلفيق ، كما أن الناس قد أحبوا « أوشيان » لذاته ، وليس لانتمائه المفترض الى الاصول البربرية ٠٠ وفي رأى الدارسين أن « مكفرسن » كان أصيلا بما فيه الكفاية على نحو غريب الى الحد الذى يمس ويهز أوربا كلها ، وأنه أسهم فى تحطيم طغيان المدرسة الكلاسيكية ، وبذلك مهد الطريق لاحياء الرومانتيكية ٠

لقد وجدت هذه الاعمال صداها كما قلنا فظهـرت مجموعات من الاغانى الشعبية فى انجلترا ٠ وفى المانيا نشر « هردر » (١٧٤٤ ـ ١٨٠٣ م) ـ الذى كان ولوعا بالابداع الشعبى ـ كتابه المعروف : « أغنيات شعبية » فى عام (١٧٩٨ ـ ١٧٩٩) ، وهو الكتاب الذى ظهر فيما بعد تحت عنوان : « أصوات الشعوب فى أغانيها » عام (١٨٠٧) ٠ وهو الوقت الذى نشر فيه أيضا كل من « برينتانو » و « فون ارنيم » مجموعتهما من الاغانى الشعبية الموسومة « الصبى وبوقه العجيب » ٠

وبعد ذلك بقليل ظهرت فى المانيا أيضا الطبعة الاولى من مجموعة الاخوين جريم ، حكايات الاطفال والبيوت ١٨١٢ ٠

وقد قام الاخوان جريم بدور رائـد فى معالجـة الفولكلور بشكل مدرسى واضح ابان الفترة الرومانسية فى المانيا (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩) ٠ ويؤكد الدارسـون فضل يعقوب جـريم (١٧٨٥ ـ ١٨٦٣) فى ريادتـه العلمية بكتابه « الميثولوجيا الالمانية » الذى صدر فى عام ١٨٣٥ ٠ والذى أرسى به دعائم المدرسة الاسطورية المعروفة ٠ ولقد تميز « يعقوب جريم » بالاضافة الى قدراته فى المجال اللغوى ، بقدرة فائقة فى تذوق الابداع الشـعبى ٠

وقد تاثر الاخوان جريم حين قاما بجمع حكاياتهما الشعبية ـ كما يقول « فون ديرلاين » فى كتـابه :

تأثير الحركة الرومانسية في الفلكلور

« الحكاية الشعبية » ـ بالمجموعات الايطالية ، وبخاصة مجموعة « ثلاث عشرة ليلة ممتعة » لـ « استرابا رولا » والتى ظهرت فيما بين عام ١٥٥٠ وعام ١٥٥٤ . والتى تحتوى على عدد هائل من الحكايات الشعبية .

كما انهما قد تاثرا كذلك بمجموعة « بنتامورونى » لبازيل المتوفى عام ١٦٣٤ أو نحو هذا التاريخ ، وتتميز هذه المجموعة بانها مكتوبة باللغة العامية .

لم يعط الاخوان جريم اهتماما كبيرا للمظاهر العالمية للحكايات الشعبية حين قاما باصدار الطبعة الاولى من حكاياتهما ، « حكايات الاطفال والبيوت » التى قاما بجمعها كما أشرنا آنفا . ولكنهما حين قاما باعادة نشرها فى عام ١٨١٩ ، كانت قد ظهرت مجموعات من الحكايات الشعبية المشابهة فى اقطار أخرى وبخاصة « الصرب » ، وعندئذ ثار السؤال الكبير عن كيفية تفسير هذا التشابه الواضح بين مجموعات هذه الحكايات، والذى بلغ حد التطابق فى بعضها .

التشابه بين الحكايات الشعبية

وقد قام « ولهلم جريم » فى عام ١٨٥٦ بتقديم الرأى النهائى فى نظريات الاخوين جريم ، وقد تضمن ذلك القول بانبثاق التراث الشعبى من أصل مشترك هو الاصل الهندى . ويؤكد رأيه معنيان :

المعنى الاول : ان دائرة هذه الحكايات الشعبية المتشابهة هذا التشابه القوى وثيقة الصلة بالعائلة اللغوية الهندواوربية .

وان هذه الحكايات ـ دون شك ـ ميراث من الماضى البعيد المشترك للشعوب الهندواوربية .

والمعنى الثانى : أن هذه الحكايات بقايا أساطير ، وليس من الممكن فهمها الا من خلال التفسير الصحيح لهذه الاساطير فى مصادرها الاصلية .

وقد أوحى ولهلم جريم ايضا بآراء أخرى معينة ، قام بتاكيدها هو بعد ذلك ، وشاركه دارسون آخرون .

وقد عبر رأى « جريم » السابق عما عرف بصفة عامة .

اولا : بالنظرية الهندواوربية .

ثانيا : بالنظرية الميثولوجية .

ويمكن أن يقال ان « جريم » لم ينكر احتمال وجود عنصر المصادفة عند أقطار أخرى عندما نلتقى بمثل هذا التشابه بين الحكايات ، وكذلك التسليم باحتمال ارتحال بعض الحكايات من شعب الى شعب آخر ، واستنبات جذورها فى هذه الارض الغريبة ، ولكن استثناء واحدا أو اثنين لا يكفى لتفسير هذا الانتشار العريض للرصيد المشترك . كذلك ينبغى أن نشير هنا الى رأى «طومسون» وهو أن « جريم » كان يعنى بحديثه عن الحكايات ، الحكاية الشعبية بالمعنى العام وليس بالتحديد قصة « العجائب » أو ما اشتهر باسم « حكايات الجان » .

النظرية الآرية

ولقد لعب هذا الاستخدام للكلمة دورا هاما فى النقاش اللغوى « الفيلولوجى » والانثروبولوجى ، والتاريخى منذ أواسط القرن التاسع عشر . فلقد ادى

مقدمة لاقتصاد وثقافة الخليج

● ما هو دور الخليج الحاضر والماضي في السياسة الدولية ؟

ما مدى اهتمام الولايات المتحدة الامريكية في الخليج ، وتحركاتها الاستراتيجية والاقتصادية في المنطقة وتطويرها لسياسة خاصة بالخليج في السنوات الثماني الاخيرة ؟

وما هو تقييم هذه السياسة في ضوء الحاجات القومية المقبلة ؟

وايضا ما هي السمات الجغرافية والمناخية والشعبية والحضارية في بلدان الخليج ، وعناصر الشبه الثقافية والاجتماعية والسياسية بين هذه البلدان ؟

عن تلك الاسئلة وغيرها نقرا الاجوبة في احدث كتاب صدر في امريكا بعنوان « الخليج : مقدمة لشعوبه وسياسته واقتصاده » كتبه الدكتور دايفيد لونج الذي يعمل باحثا محللا في وزارة الخارجية الامريكية ، وكان من قبل مديرا تنفيذيا لمركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورجتاون .

العدد القادم

الأمثال الشعبية وسوار العُرف الاجتماعي

فوزي العنتيل

كشف اللغة السنسكريتية وحل رموزها في أواخر القرن الثامن عشر الى تبين الروابط الوثيقة التى تربط ما بين اللغات الهندية والايرانية من جهة ، واللغات الاغريقية واللاتينية والجرمانية من جهة أخرى ·

وكان « وليم جونز » هو أول من بين في عام ١٧٨٦ وجود أوجه شبه معينة بين السنسكريتية واللغات الاوربية الكلاسيكية والحديثة ·

وقد بينت البحوث التى قام بها نفر من العلماء من أمثال : شليجيل ، وبريتشارد ، وفرانز بوب ، وغيرهم ، ان السنسكريتية واليونانية واللاتينية والكلتية والالمانية والسلافية تنتمى كلها الى نفس العائلة اللغوية ، والتى يمكن أن تسمى باللغة الهنديلا الاوربية ، التى تشمل ثمانى طوائف من اللغات ، تشتمل بدورها على عدد كبير من اللغات ·

وقد أثارت هذه الاكتشافات قدرا كبيرا من التخمينات حول أصول الشعوب الناطقة بالآرية قديما وحديثا وتاريخها والعلاقات التى تربط بينها ·

وكان طبيعيا الاستنتاج بوجود جنس أو شعب كان يتكلم اللغة الام الاصلية ، وفوق ذلك فقد استتبع هذا الاستنتاج أن ذلك الجنس الآرى المفترض قد اختص بالقدرة على صنع الثقافة ، وانه فى الواقع هو الذى ابتدع جميع الحضارات العظيمة ·

خرافة الجنس المميز

وفى نفس الوقت اخذ الانكار لهذه الفروض يظهر فى الدوائر العلمية ، وازداد بعد عام ١٨٨٠ ، نظرا للاستحالة الواضحة للتحديد الفعلى للموطن الاصلى للآريين · وازدياد تعقد المشكلة مع كل اضافة لمعرفتنا بثقافة ما قبل التاريخ ، والاحتمال الذى يبلغ حد الاستحالة لامكان معرفة اى شىء يتضمن تصور الآريين الاصليين · وكذلك لاضطراد التحقق بأن جميع الشعوب التاريخية قد اختلطت دماؤها الى حد كبير ، وان دور الجنس المميز وسط خليط من الاجناس ـ رغم سهولة المبالغة فيه ـ من المحال تحديده ·

ولهذه الاسباب ولكثير غيرها انتهى الامر بطائفة من العلماء البارزين الى اعلان أن النظرية الآرية كانت من ترهات الخيال المدرسى · او انها كانت عاجزة عن الافصاح لان الدليل الحاسم بالنسبة لها قد ضاع الى الابد ·

تأثير النظرية الآرية على الفولكلور

والذى يعنينا من هذه النظرية هو تأثيرها الكبير على الدراسات الفولكلورية فى هذه العقبة المبكرة من تاريخ العلم ·

فقد اعتبرت المدرسة الميثولوجية ـ كما أشرنا ـ أن الحكايات الشعبية والاساطير وبخاصة أساطير الطبيعة نتاجا آريا مثاليا ، وانها موروثات باقية من الاساطير القديمة ، وان العناصر المشتركة بين الحكايات تتضح من خلال الاصل الشعبى الكبير المسمى بالهندو ـ جرمانى أو الآرى ·

وقد حاولت مؤلفات الدارسين الرومانسيين الالمان بصفة خاصة اثبات أن اللغة الالمانية بالذات هى التى استطاعت أن تحتفظ بالتراث الهندو ـ أوربى المشترك فى ثراء ووضوح · ونتيجة لذلك فانه يمكننا أن نلاحظ أن علم اللغة الالمانى فى هذه العقبة وما تلاها كثيرا ما كان يميل الى استخدام تعبير اللغات الهندو ـ ألمانية بدلا من تعبير اللغات الهندو ـ أوربية ·

هذا وقد تركت الافكار العامة والمزاج الرومانسى بالاضافة الى أثر دراسات اللغات المقارنة والتى تقدمت كثيرا فى ذلك العصر ، طابعها المميز على المراحل الاولى من تاريخ الدراسات الفولكلورية ·

كذلك فقد حاول الدارسون فى تلك الحقبة اعادة بناء ما ظنوه ديانة آرية بدائية ، واعتقادهم بأن أقدم أشكال هذه الديانة كانت تمثلها الاساطير الاغريقية والهندية القديمة ·

ولما كان قدم هذه الاساطير من الامور المسلم بها فقد كان من السهل بعد ذلك اعتبار « حكاية الجان » فرعا من الاسطورة الاصلية ·

وقد احدثت هذه الآراء وغيرها أصداء مختلفة فى الدراسات التى نشطت فى هذه الحقبة فى كثير من الاقطار الاوربية ، وشكلت مدارس مختلفة متعارضة فى اتجاهاتها ووجهات نظرها بعد التحول العام الذى حدث فى أواسط القرن التاسع عشر من الاتجاهات الرومانسية الى أساليب التفكير الواقعية وخاصة بعد تقدم علم الاستشراق ·

فوزى العنتيل

سعد محمد جبر التميمي

ماذا بعد قيام البنوك الإسلامية؟

● على المجتمع الإسلامي أن يتجاوز مرحلة الانفعال إلى مرحلة الفعل

المجتمع الاسلامى · والعودة به الى ما كان عليه ، واستعادة المسلمين لموقعهم على عجلة القيادة ··· تلك هى القضية التى تشغل بال كل مسلم غيور ، يؤرق حياته الحال الذى وصل اليه المسلمون ، والحاضر الذى يعيشونه ، وتشتعل فى جوانحه جدوة الامل فى مستقبل أكثر حسنا واشراقا ·

ظروف تاريخية وعضوية

ولقد تعددت صيحات الاصلاح وطرحت فى المجتمع الاسلامى مناهج للارشاد والدعوة الى تغيير ذلك الحال ، وقامت بالفعل حركات وتحركات عديدة على مدى القرنين الماضيين ، كان لها بغير شك اثرها المشكور وثمراتها الطيبة فى تحقيق ما يمكن أن نسميه بالمرحلة الاولى من الاصلاح هذا والنجاح الاكبر الذى حققته هذه الجهود المخلصة فى القرنين الماضيين انما تمثلت بدرجة كبيرة فى ايقاظ الاحساس لدى المسلمين بالمأساة ··· ايقاظ الاحساس لديهم بقصور حاضرهم وعجزه عن أن يحقق ما عليهم من واجبات وما تفجر فى نفوسهم من آمال · ولم يكن ذلك قصورا فى هذه الحركات والدعوات والمناهج ، أو تقصيرا منها ، وانما كان ذلك هو الدور الذى ينبغى أن تقوم به فى تلك المرحلة ، بحكم ظروف تاريخية وعضوية فى المجتمع الاسلامى ·

تحديد الهدف

واذا كان المجتمع الاسلامى قد تحقق فيه الاحساس بعجم المسئوليات ومأساة شعوره بعدم التمكن من مقابلة هذه المسئوليات ، فقد آن له أن يتجاوز هذه المرحلة التى يمكن أن نطلق عليها مرحلة الانفعال ـ الى مرحلة الفعل والتفاعل · والسير فى مراحل الفعل والتفاعل يقوم أولا وقبل كل شىء على العلم وعلى التزود بالتفكير العلمى والتخطيط السليم الواضح المعالم والمراحل ·

وأول مراحل التفكير العلمى أن نحدد الهدف مع تشخيص الواقع تشخيصا واعيا · ثم نحدد فى ضوء هذا الواقع المناهج المطلوب الاخذ بها والعمل بمقتضاها والادوات اللازمة لكى نحقق الهدف المطلوب ·

فاذا اردنا أن نحدد الهدف الآن ونصيغه ، صياغة اجرائية فانه يمكن القول ان الهدف الآن وكما هو معروف للجميع هو الانتقال من مرحلة الكلام الى مرحلة العمل المنظم القائم على مخطط مدروس لتطوير حال المسلمين من أمة مستهلِكة (أى تكتفى باستهلاك ما يقدم اليها) الى أمة منتجة · ومن أمة مستمثرة الى أمة مستثمرة ، ومن أمة منفعلة الى أمة متفاعلة ، ومن أمة ترضى الاعتماد فى كل شىء على غيرها الى أمة تعتمد على نفسها ، ومن أمة تكتفى بما يلقى اليها من فتات العلم الى أمة تسهم فى صناعة العلم وتسخيره لخدمة المجتمع · وباختصار من أمة تقبع فى أعماق العالم الثالث الى أمة تشق طريقها بثبات وعلى بصيرة الى موقع متقدم بين دول العالم المتحضرة ·

والواضح ان الغاية من هذا الهدف هى استعادة المجتمع الاسلامى لمجده، ولكى نتمكن من السير فى طريق العمل لتحقيق هذه الغاية فانه فى نفس الوقت يتحتم أن نوفر التربة المناسبة والمناخ الصالح الذى يساعد على نمو الفرد المسلم ولا يعطله ، فالمناخ الذى نعيشه الآن ، بكل مقياس من المقاييس ـ يشكل مناخا ان لم يكن مدمرا للشخصية المسلمة فهو على الاقل معطل لنموها ومحبط ومزلزل لثقتها فى قدرة الامة الاسلامية على أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، بل وحتى على أن تقوى على النهوض بنفسها ·

عقدة لها جذور !

فلو اننا استعرضنا على سبيل المثال صورة لحياة الفرد المسلم من البداية لوجدنا الطفل المسلم يفتح عينيه

- التزوّد بالتفكير العلمى والتخطيط السليم الواضح .. هذا هو المنهج
- القمقم الذى يحاصر المسلم منذ نشأته الأولى .. لابدّ أن يتكسر
- لكى يكون هناك اقتصاد إسلامى .. يجب إنشاء بنوك إسلامية
- عقدة "الخواجة" فى المجتمع الإسلامى المعاصر وأثرها على اقتصادياته

أول ما يفتح على حليب مجفف لم تصنعه يد مسلمة ، وانما جيء به اليه من خارج ديارة المسلمة ، وعلى لعب صنعت وركبت وأعدت في غير بلاد المسلمين .. تحمل علامات وماركات لا صلة لها بالمجتمع الذى نريده لاولادنا .

واذ سرنا مع الطفل المسلم في رحلة حياته ، فاننا نجد ان كل ما يحيط به يصرخ فى سمعه ويقرر لعينه ويؤكد فى نفسه انه انما يعيش حياته كلها معتمدا على الغير ... وغير مهم فى أى شيء فحتى وسائل الاعلام واجهزته التى يستمع اليها أو يراها فى منزله ، أو مدرسته ، التى يتعلم فيها أو المسجد الذى يصلى فيه ، والتى يؤكد المسئولون عنها والقائمون عليها أنها من أخطر وأهم وسائل الدعوة والتوجيه فى عصرنا الحاضر للمحافظة على مجتمعنا وبث تعليم قيمه ومفاهيمه ... وهذه الوسائل والاجهزة التى يعترف الجميع باهميتها لا يعمل المجتمع الاسلامى على توفيرها لنفسه مما يؤثر تاثيرا بالغا فى تنشئة الفرد المسلم المعاصر وتعقيد نفسيته واضعاف ثقته بنفسه ومجتمعه . ومن المؤسف أن ما ينطبق على المناخ الذى يسود جو العائلة المسلمة ، يطابق جميع العوامل التى تؤدى الى ضياع معالم وشخصية الامة المسلمة ... فان نفس المناخ يسود كل تجمعاتنا الاسلامية من مدارس الى مساجد الى ندوات الى مؤتمرات الى حج ولا حول ولا قوة الا بالله .

هذا بالاضافة الى العديد من الامور الاخرى فى حياتنا العامة وعلى سبيل المثال لا الحصر وسائل وأجهزة الاتصال الهامة فى حياتنا اليومية كالتليفون والتلكس وحتى المشروبات المنعشة والمرطبات التى نقدمها لضيوفنا لها طابع غير مسلم وجاءت من بلاد غير بلادنا .

أى تخريب وأى دمار يمكن أن يحدثه ذلك الغلاف الشامل المفروض علينا من المؤثرات المتعددة الخطيرة على نفس المسلم طفلا وصبيا ويافعا وشيخا مسنا ، واية صورة يمكن أن ترتسم فى نفسه وتستقر فى وجدانه عن هويته وعن قومه ودينه وعن دعاواهم وعن مخططاتهم التى يرسمونها للعمل للاسلام وفى سبيل الاسلام . لقيام مجتمع اسلامى قوى سليم .

ان ذلك القمقم الذى يحاصر المسلم منذ نشاته لابد أن يتكسر ، وذلك الكفن الذى يقتل ثقته فى نفسه وفى دينه لابد أن يتمزق ، ويزول ... على أن تضمن العمليات أزالة جميع معالم هذا القمقم حتى تضمن للمجتمع جوا نظيفا ومناخا سليما .

ما هو السبيل ؟

ولكى نجيب على هذا السؤال فاننا بحاجة الى أن نبحث عن الركائز التى تقوم عليها كل المؤثرات التى أسلفنا الاشارة اليها .

بتحليل هذه المؤثرات ودراسة العوامل التى تقوم عليها نجد ان الاقتصاد هو ركيزة رئيسية .

والاقتصاد له علومه المختلفة المتعلقة بالاستثمار والتصنيع والانتاج والتوجيه والتنسيق وما الى ذلك .

ومن الواضح انه يلزم القيام بالدراسات والبحوث الاقتصادية المختلفة لاوضاعنا الحالية ، وذلك بقصد التوصل الى الحلول التى تؤدى الى خروج مجتمعنا الاسلامى واقتصادياته من المناخ الفاسد الذى نعانى منه الآن .

الحاجة الى بنوك اسلامية

ولقد بزغت فى الآونة الاخيرة انتفاضة اسلامية تتحدث عن اقتصاد اسلامى وعن مقومات ذلك الاقتصاد ، وانتقلت هذه الانتفاضة الى بداية عملية تمثلت فى الدعوة الى انشاء مؤسسات اقتصادية اسلامية

ماذا بعد قيام البنوك الإسلامية؟



أهمها البنوك الاسلامية • ونجحت هذه الدعوة فى مواقع قليلة متفرقة فى انحاء العالم الاسلامى •••، ومتابعتها أمر ضرورى •

ولكن الامر الذى أحسب انه ما زال فى حاجة الى التوضيح والى مزيد من التبلور ••• هو الدور الذى على هذه المؤسسات أن تصنعه وان تقوم به اليوم فى المجتمعات الاسلامية حتى يكون هناك اقتصاد اسلامى ، تخدمه بنوك اسلامية تعمل على تحقيق مخطط اسلامى •

على هذه المؤسسات المالية الاسلامية أن تعى ان المناخ الذى تصنعه وتقدمه الحضارة الغربية ـ عن عمد ـ مناخ المقصود منه احاطة المسلم بغلاف يحجب عنه الرؤية ويزلزل العقيدة فى نفسه والثقة فى مجتمعه ويضعف روابطه بأمته •

وان السير فى ركاب المخطط المفروض علينا سيقضى على هذه البنوك الاسلامية نفسها •

وان المهمة العظمى والدور الاساسى الذى على هذه المؤسسات أن تؤديه وتضطلع به هو أن تستعرض احتياجات الفرد المسلم والعائلة المسلمة وبالتالى المجتمع المسلم فتضع خطة عملها على أساس توفير انتاج هذه الاحتياجات للبلاد المسلمة وبايد مسلمة ••• لتهيئة المناخ المناسب لحماية المسلم من الافتتان بما يقدم له مما صنعه ويصنعه غير المسلمين حتى لا تضيع ثقته باسلامه كنظام ودستور للمعيشة فى كل زمان ومكان • وحتى يخطو الخطوات التى تغير وضعه من متعلم الى معلم ، ومن تابع الى مستقل ، ومن متاثر الى مؤثر ••• الى داعية •

ان تطوير شكل المجتمع الاسلامى ، وحاضره المرفوض من كل غيور ، لن يأتى من الامعان والالحاح فى قراءة الاوراد والاستغراق فى الابتهال بالدعاء بالقول فقط ، وانما يأتى من الاستعانة بهذا على التماس العون من الله مع العمل فى جد ومثابرة على تهيئة التربة المناسبة والمناخ الصالح لتنشئة الاجيال المسلمة القادمة •

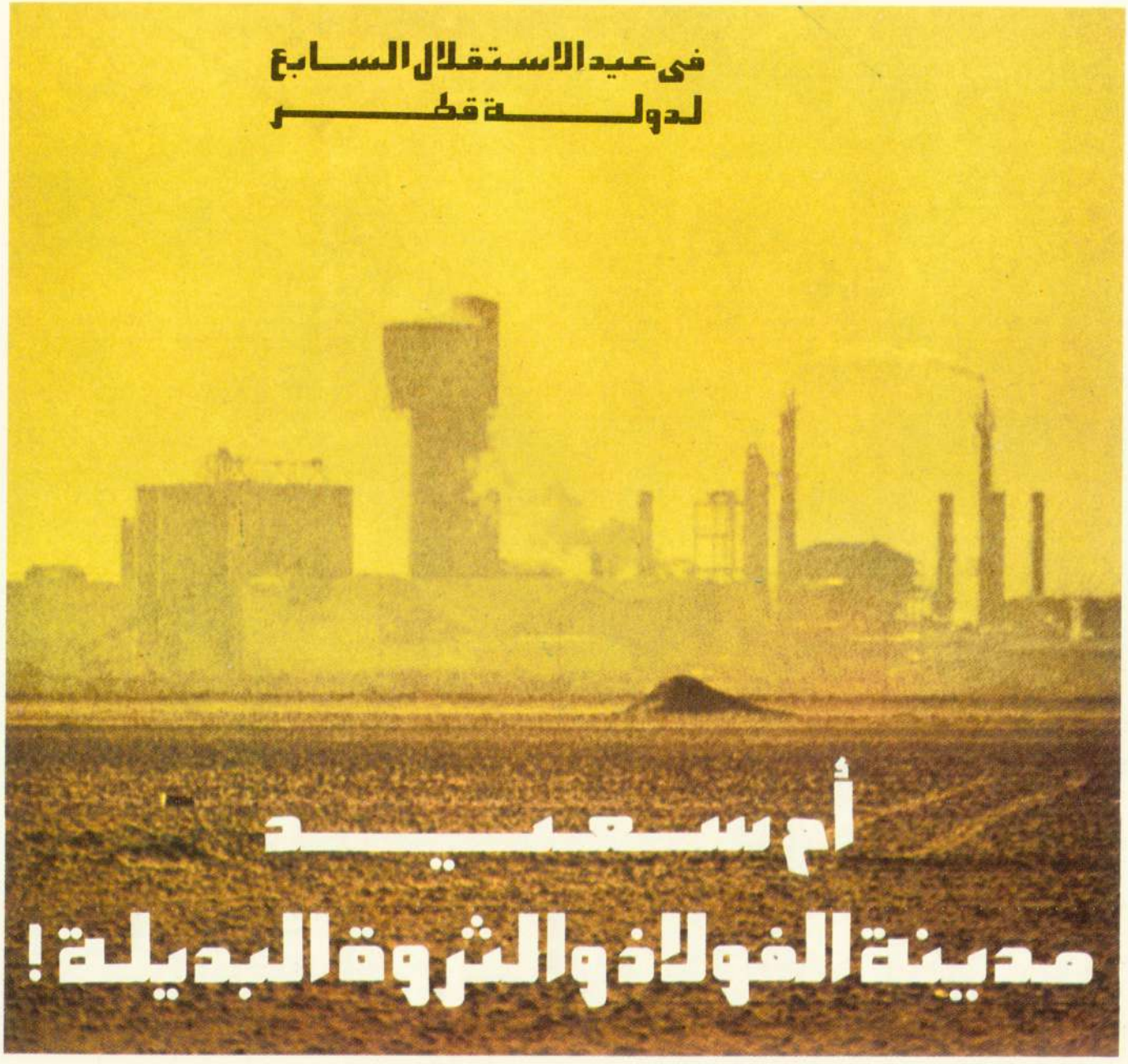
هذا يقتضى المسح العلمى الدقيق لمقومات اقتصاديات العالم الاسلامى الآن ، وكيفية العمل على توجيهها لتكون أداة تطوير لاحوال المجتمع الاسلامى فى زحفه المامول نحو موقع الصدارة •

ذلك فى تقديرى هو الاطار العلمى الايجابى المؤثر ••• وذلك لا يتحقق تلقائيا والا لما كانت هنالك مشكلة على الاطلاق • ولكنه اطار يلزمه تكاتف دعاتنا من الخبراء العلميين والعلماء • وذلك للتخطيط ورسم سياسة محددة المعالم واضحة الخطوات • يسهم فيها كل بقدر ما آتاه الله وبقدر ما يستطيع •

هذا وبعد قيام البنوك الاسلامية والحمد لله • فقد فتح الباب على مصراعيه امام خبرائنا وعلمائنا المهتمين بالاقتصاد الاسلامى للقيام بالدراسات والبحوث التى تؤدى ، الى زيادة الاستثمارات فى الاتجاهات التى تهدف الى قيام أدوات جديدة من مقومات الاقتصاد الاسلامى وكذلك تدعيم القائم منها للعمل على تحرير المجتمع المسلم من القيود والوصايا المفروضة عليه •

فى هذا الاتجاه يظهر الدور الحيوى الذى يمكن أن يلعبه اتحاد البنوك الاسلامية وذلك بالعمل المشترك بين مراكزه المختلفة للبحوث وبين الهيئات العلمية والاقتصادية بدولنا الاسلامية وذلك للخروج بمقترحات وتوصيات عملية تقدم الى البنوك الاسلامية بغرض قيامها منفردة أو مجتمعة بالاستثمارات فى المشروعات المختلفة لهذا الاطار والله ولى التوفيق ،،،

سعد محمد جبر التميمى



كمال سعد • تصوير: أمين بدوى

سأل سمو الشيخ خليفة بن حمد الصحفى الذى أراد أن يتعرف على تصوراته لمستقبل البلاد : هل زرت منطقة أم سعيد ؟.. فقال له : سأذهب قطعا لزيارتها .. وعندئذ قال له : « من هذه المنطقة تستطيع أن تطل على مستقبل قطر .. اننا ننطلق فى سباق مع الزمن .. اننا نريد أن نبنى قاعدة صناعية تخفف من اعتمادنا على واردات النفط تدريجيا .. ان الجيل القادم هو أمانة فى عنقى .. ولن أدخر جهدا ولا وقتا ولا ثانية من عمرى فى سبيل بناء المجتمع الذى سيجىء بعد النفط ، فقطر مثل بلاد العالم لا يمكن أن تتطور بدون أن يكون لها اقتصاد ثابت » .

نعم .. لابد من مصادر بديلة قبل مطلع القرن القادم .

وهذه المصادر لن تطفو على سطح الوجود الا ببناء المجتمع الصناعى الذى سيؤدى الى بناء اقتصاد متوازن يستطيع الوقوف فى وجه التقلبات التكنولوجية والعالمية والسياسية .

اذن فلماذا لا نذهب سويا لنعيش مع قصة ومستقبل الانسان فى المدينة الواقعة فى الجنوب الشرقى من مدينة الدوحة والتى يربطها بها طريق معبد يمتد لحوالى ٤٠ كيلو متر ؟ .



أمير البلاد المفدى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أثناء قص الشريط في حفل افتتاح مصنع الحديد والصلب في نهاية شهر أبريل الماضي ٠٠ وقد بدأ المصنع هذا الشهر في استخدام فرن اختزال الحديد المبـــاشر ٠

بداية المدينة

كل من تحدثت اليهم في مدينة أم سعيد أجمعـــوا على أنها لم تستمد أهميتها الا من التركيز الصناعي ٠

فقد كانت في الماضي مجرد منطقة مصب للبتـرول القادم عبر أنابيب من الحقول البرية في منطقة دخـان الواقعة في الشمال الغربي من مدينة الدوحة ٠

وكانت وقتها عبارة عن مدينة مغلقة ٠٠ لا يتعامل معها غير عمال وموظفي شركة نفط قطر المحدودة الذين لا يزيد تعدادهم عن خمسة آلاف نسمة هم كل سـكان المدينـــة !

غير ان هذا التعداد أيضا لم يستمر على حاله بعـد دخول الميكنة في تصدير النفط والاستغناء عن عدد كبير من العاملين وابقاء المصب وعليه عدد قليل من المشرفين لا يتعدى العشرات !

أما لماذا وقع الاختيار عليها كمنطقة لتصـــدير البترول ، فذلك يرجع الى عمق مياهها الساحلية التي تسمح برسو وتحميل الناقلات الضخمة بالنفط الـذي يندفع اليها عبر أنابيب تمتد في قاع البحر !

وهكذا نرى أن مدينة أم سعيد في بدايتها لم تكن أكثر من منطقة لتصدير البترول ٠٠ غير أنها بتحولها الى مدينة صناعية في السنوات الاخيرة ، تعود اليهـا الحياة من جديد ، فالعاملون يتدفقون بأعداد هائلة ، ومع تدفقهم نرى نـواد ومطـاعم ودور ســينما ومرافق الخدمات التي تعطي للمدينة أهميتها كمنطقة سكنية متوقع أن يصل تعدادها في عام ١٩٨١ الى حوالي ٢٠ ألف نسمة ، وذلك عندما يتم الاستخدام الامثـل لمجمـع البتروكيماويات والموانيء الصناعية ، وأيضـا عندما تكتمل كافة المنشآت الصناعية !

المياه العذبة

من يدخل مدينة أم سعيد اليوم يشعر أنه داخل خلية نحل تعمل ليل نهار ٠٠ فالمطلوب حتى عام ١٩٨١ حوالي ٤٤٠٠ وحدة سكنية بالاضافة الى المساكن القائمة ٠٠









تصوير: كمال راشد

مجموعة من اللقطات التاريخية لسمو الشيخ خليفة بن حمد والى جواره ولى العهد سمو الشيخ حمد بن خليفة ثم أثناء تفقد المصنع وتهنئة العاملين فى مصنع الحديد والصلب ٠

وهو رقم ليس بسيطا ٠٠ فالمسالة ليست مجرد اقامة مساكن ٠٠ فالمساكن تحتاج الى توصيل طرق ومرافق عامة وكافة الاحتياجات اللازمة كالمدارس والاسواق والمستشفيات !

وهذا ما يتم في المدينة منذ اختيارها فى بداية السبعينات كمركز للصناعات الثقيلة ٠

وفي دراسة فنية واقتصادية لمركز التنمية الصناعية فى قطر ، تاكد بصورة قاطعة اهمية هذا الاختيار وصلاحيته ٠٠ فالمدينة تتميز بسواحلها العميقة وقلة احجارها الصخرية واستجابة السواحل المواجهة لمواقع شريط الصناعات الثقيلة للتعميق باستخدام الحفارات الشافطة !

وعلى الرغم من أن موانىء أم سعيد تتميز بعمقها وامتدادها الذى يصل الى ٤ر٦ كيلو متر وضخامة الاعمال المدنية والتركيبات الميكانيكية ، فقد تم انجازها في فترة قياسية ، وافتتح الرصيف الاول في يناير عام ١٩٧٦ وانتهى العمل فى آخر رصيف فى الخطة فى يناير عام ١٩٧٨ ، أى قبل الموعد المحدد له بتسعة شهور !

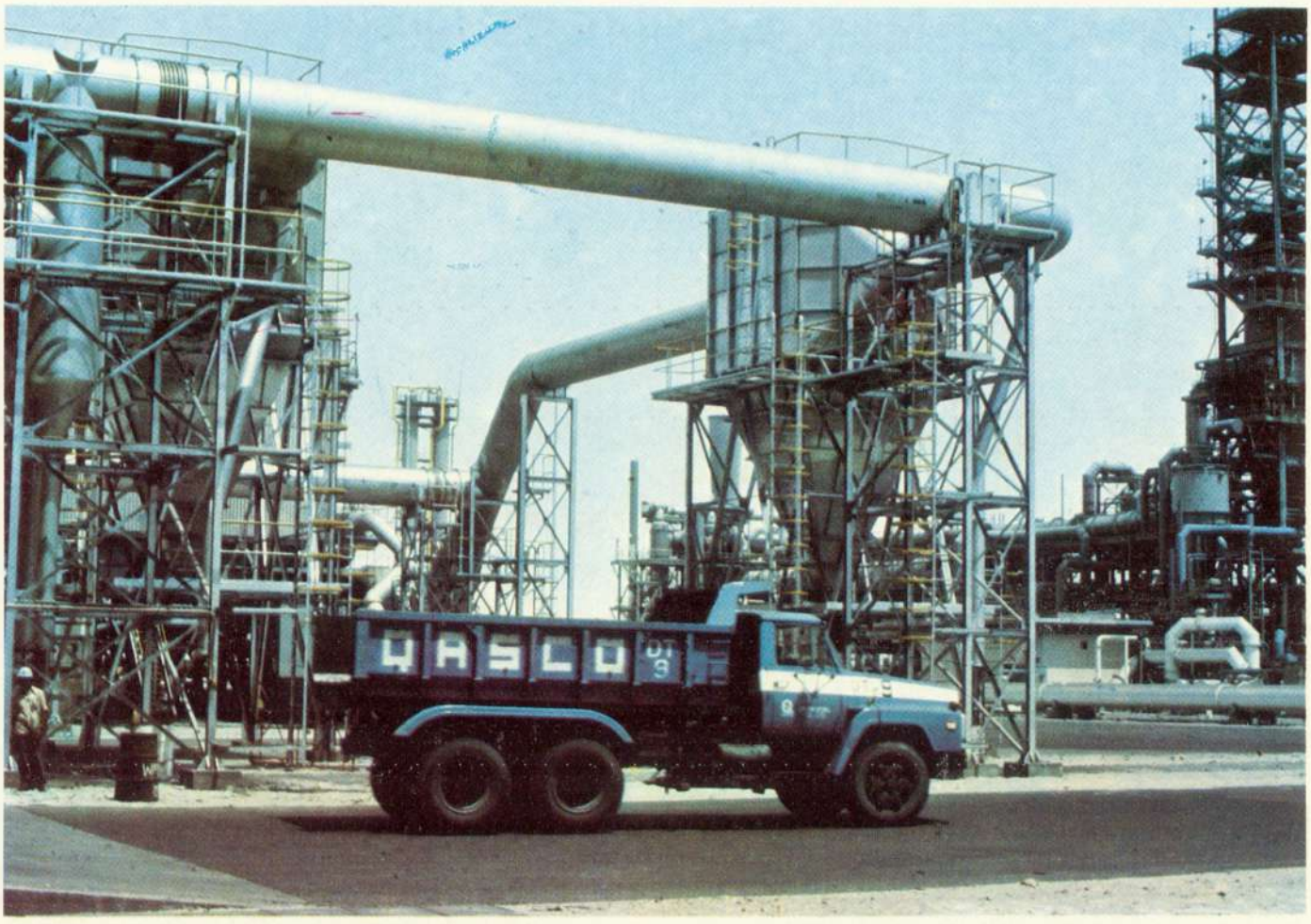
وقد نتساءل : ولكن مع تلك الحركة الهائلة : من أين تاتي المياه العذبة التى تغذى المدينة والمنطقة الصناعية ؟٠

والاجابة على ذلك السؤال لن تحتاج منا لاكثر من الذهاب الى رأس أبو فنطاس لمشاهدة محطة تحلية المياه التى تحملها أنابيب يصل طولها الى ٣٤ كيلو متر بينما يبلغ قطرها ٢٤ بوصة !

وحسب الجداول المعدة فان الاستهلاك اليومي للمياه وصل الى ١٧ الف و ٤٦٠ مترا مكعبا ، ويرتفع ذلك الرقم عام ١٩٨١ الى ٢٩ الف و ١١٠ مترا مكعبا من المياه العذبة !

أسواق الحديد

واذا كان الغوص على اللؤلؤ فى الماضي يمثل ظاهرة اقتصادية لها أثرها الكبير على المجتمع القطرى ومصادر


YASCO









رزقه الرئيسية ، فان عصر البترول الذى يفـــرض نفسه على الحياة فى الوقت الحاضر ، يندفع بكل طاقته ليحول مدينة أم سعيد الى منطقة انتاج صناعى يساهم مع غيره من الصناعات فى مدينة الدوحة الى ايجاد دخل جـديد للدولة خلال العشر سنوات القادمة يمثل ما لا يقل عن ثلاثين فى المائة من مواردها الكلية !

ولكن كيف يتحقق ذلك ؟

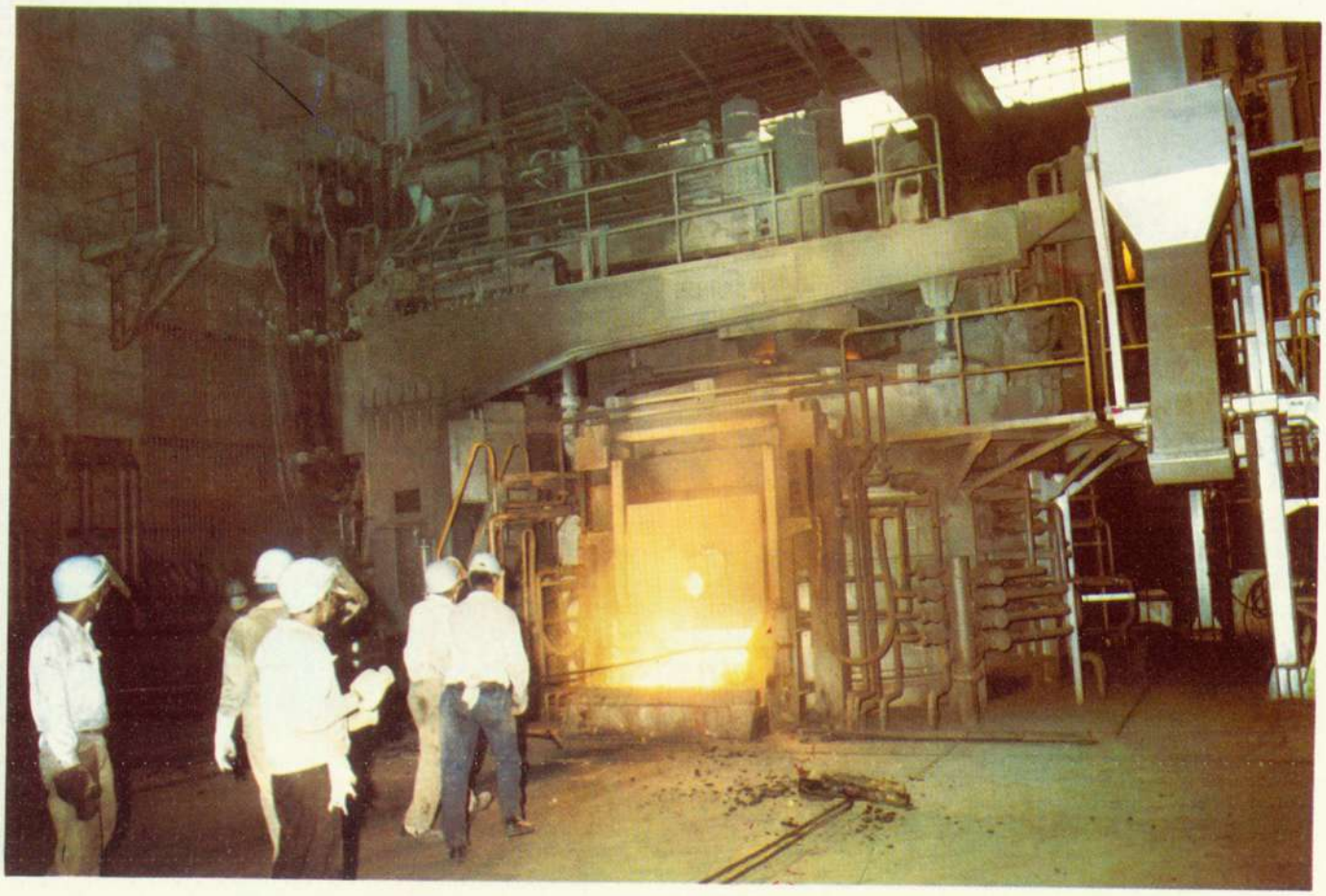
مجرد جولة فى المنطقة الصناعية تجعلك تدرك أن البحر الذى أوحى للصياد القطرى بهندسة السفن التى انطلق منها ليغوص بحثا عن اللؤلؤ الساكن فى بطون الاصداف الراقدة فى أغوار الخليج ، هو نفسه الـــذى يحاول أن يفيض بأهم الاكتشافات والصناعات لتشق عبابه ناقلات البترول والسفن المحملة بالحديد والسماد وغير ذلك من الانتاج الصناعى !

ان دخان المصانع وصوت الآلات المنسجم مـع رتم الزمن ، هو النبض الحى الذى يستعيد بـه العـــرب أمجادهم ليأخذوا مكانهم تحت ضوء العصر ويقـــوموا بدورهم الذى طالما أثروا به الانسانية على مر العصور .

ولذلك فان أول ضوء يبهرك فى مدينة أم ســعيد هو مصنع الحديد والصلب الذى افتتح فى ابـــريل الماضى ، ووصلت تكاليفه الى ألف ومائة مليون ريـال قطرى ، وينتج ٤٠٠ ألف طن من القضبان الحـــديدية سنويا ، ويعتبره خبراء الاقتصاد أول مصنع متكامل من نوعه فى الخليج ، كما أنه جعل قطر ثالث دولة بعـــد مصر والجزائر تمتلك تلك الصناعة وتستخدم أحدث مصانع الصلب فى العالم المعتمدة على طريقة الاختزال المبـــاشر !

وعقب افتتاح مصنع الحديد والصلب بشهرين كانت القطع البحرية تقوم بنقل بداية انتاجه الى ميناء الدمام بالمملكة العربية السعودية ، فقد حملت هذه القطع اليه ألفين ومائة وعشرة أطنان من أسياخ الحديد التى يبلغ طولهـــا ١٢ مترا بسمك يتراوح ما بـين ١٠ الى ١٨ ملليمتر .. فالمعروف ان بلدان الخليج والبلدان الاخرى المجاورة ستكون سوقا ثابتة لانتاج المصنع الذى يغطى

مدينة الفولاذ والثروة البديلة !



تكاليفه خلال خمس سنوات ، وذلك بالطبع الى جوار سد انتاج المصنع لاحتياجات السوق المحلى ووصـــوله الى أسواق العالم !

الثروة والبديل

واذا ما اردنا ان نعود الى الوراء لنتعرف على الوقت الذى ظهرت فيه الى الوجود فكرة اقامة هذا المصـنع ، فسندرك أنه عام ١٩٧٣ بالضبط ، حيث قدمت الفكرة، وعكف الباحثون على دراستها لتخرج الى حيز التنفيـذ فى عام ١٩٧٤ بتأسيس شركة قطر للحديد والصلب «فاسكو» براسمال ٢٠٠ مليون ريال تساهم فيها حكومه قطـر بنسبة سبعين فى المائة وكل من شركة « كوبى ستيل » و« طوكيو بوكى » اليابانية بالباقى ٠

وبدات عمليات بناء المصنع على أرض تبلغ مساحتها ٦٧٣ ألف متر مربع ، وذلك بخلاف تامين مساحة واسعة من الاراضى تبلغ ٣٧٥ ألف متـــر مربع حتى يمكـن توسيعه مستقبلا !

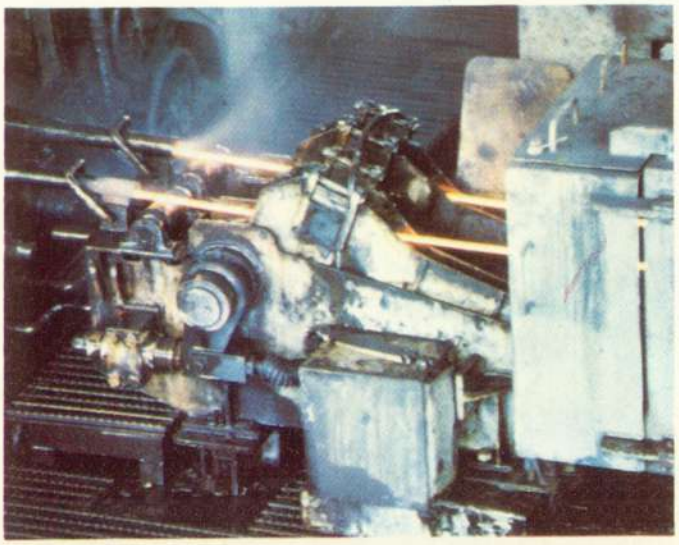
وأقيم المصنع بحيث يضم خمس وحدات أساسية هى : وحدة استقبال الخام ووحدة الاختزال المباشر ، ووحدة الصهر بافران الكهرباء ، ووحدة الصب المستمر ، ووحدة الدرفلة ٠٠ وخصص رصيفان فى ميناء أم سـعيد لاستقبال المواد الخام وخاصة خامات الحديد العاليـه التركيز التى تاتى من البرازيل وغيرها ، وأيضـا لتصدير منتجات المصنع بعد أن زود الرصيفان بمعدات التفريغ والشحن !

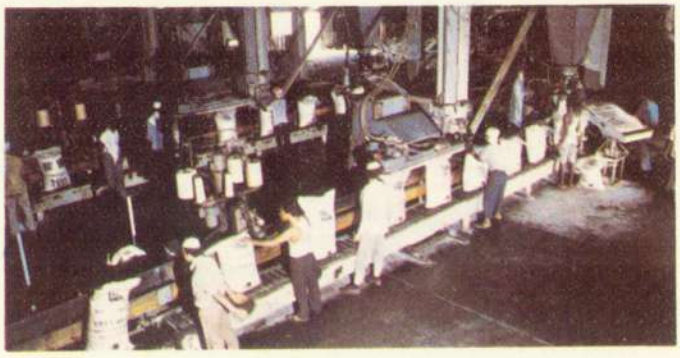
وباختصار فقد بلغ وزن المعدات التى تم تركيبهـا فى المصنع حوالى ٢٤ الف طن ، بالاضافة الى كميـات الخرسانة المسلحة التى بلغت نحو ٢٧ الف متر مكعب !

وتم تصميم المصنع على أساس استخدام الغاز الطبيعى فى اختزال خام الحديد بـدلا من الفحم ، ولتوليـد الكهرباء اللازمة لصهر الحديد ، وتم لذلك الغـرض تركيب خط أنابيب للغاز الطبيعى يصل الى المصنع من حقل دخان !

وبدأ انتاج المصنع بعمالة حوالى الف شخص ، بينهم عدد كبير من أبناء البلدان العربية ، وينفذ الآن برنامج لاعداد كوادر قطرية مدربة على احدث وسائل انتـاج الصـلب !

ذلك الانتاج الذى قال عنه سمو الشيخ عبد العـزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول فى حفل افتتاح المصنع : « ان التصنيع يطرح نفسه هنا مكملا قـويا وبديلا أساسيا فى نهاية المطاف لثروة الارض الناضبة





مهما طال عطاؤها ووفرتها ، ويعكس هذا الاهتمام تخصيص مجموعة ١٠ بلايين ريال لخطة التصنيع الحالية التى نفذت والتى هى قيد التنفيذ » .

سماد من الغاز

ولما كانت خطط التنمية في قطر تعتمد أساسا على الصناعات القادرة على الانطلاق فى النمو والمنافسة فى الاسواق الداخلية والخارجية ، فان مشروعات الاسمدة الكيماوية فى المنطقة الصناعية فى مدينة أم سعيد تجعلنا مطالبين أيضا بالتجوال للرؤية الدقيقة عن قرب .

وقبل جولتي فى هذه الترسانة الصناعية ، جلست انصت الى المسئولين فى شركة قطر للاسمدة الكيماوية وفى ذهنى عشرات الاسئلة التى تحتاج الى اجوبة .

أولا : لماذا مصنعين للسماد لا مصنع واحد ؟.

وتاتينى الاجابة باننى سارى فعلا مصنعين .. مصنع لانتاج الامونيا وهى التى تستخدم كمادة أولية فى عدة صناعات كيمائية وخاصة فى صناعة الاسمدة ، كما تستخدم كمادة مغذية ، وهذا المصنع ينتج ٩٠٠ طن يوميا ، والغاز الطبيعى الذى ياتى من حقول النفط فى دخان يمثل المادة الخام لانتاجه .



أما المصنع الثاني فهو مصنع اليوريا وهو السماد الكيماوى الذى بدات أهميته تتضاعف فى كل انحاء العالم ، وينتج منه يوميا ألف طن ، ويعتمد فى انتاجه على المواد الخام التى ينتجها مصنع الامونيا وثانى اكسيد الكربون الذى يتصاعد من مصنع الامونيا وكان المفروض أن يكون فى حكم المفقود لولا الاستفادة منه فى انتاج المصنع الثانى !

وأسال : ويا ترى كم تبلغ التكلفة الاجمالية لهذا المشروع ؟.

وياتينى الرد : ٣٦٠ مليون ريال قطرى ، مع ملاحظة أن للمشروع ميناء شحن يمكنه استقبال سفن تبلغ حمولتها ٤٠ الف طن مترى !

بعثات للنرويج

وتتوالى أسئلتى الاخرى ، التى كان بعضها داخل المكاتب او اثناء جولتى فى المصنعين ، لاتعرف على الحقائق التالية :

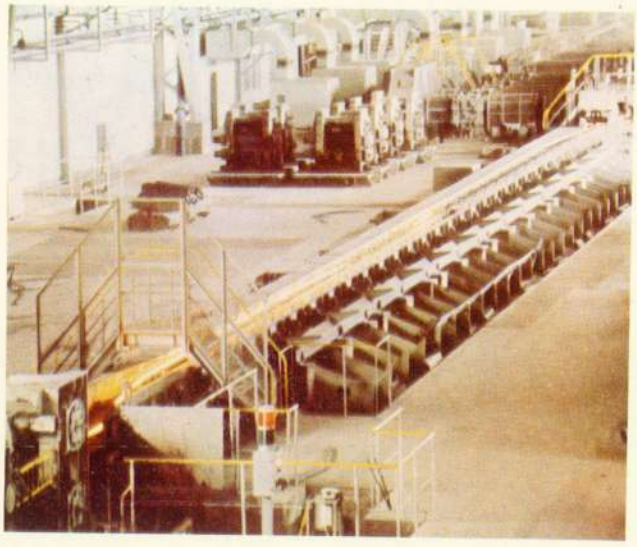
● ظهر المشروع الى حيز الوجود فى عام ١٩٦٩ . وذلك بناء على قرار وتوجيهات سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني .. وتم بناؤه بالتعاون مع الشركات العالمية النرويجية والبريطانية ليبدأ انتاجه فى مطلع عام ١٩٧٤ .

● يجرى العمل فى مشروع توسعة المصنع الحالى ببناء وحدات انتاجية مماثلة للوحدات القائمة حاليا بتكلفة تبلغ ٩٠٠ مليون ريال قطرى ، ويستكمل البناء عام ١٩٧٩ .

● يتضاعف انتاج المصنع بعد تلك التوسعات ليصل الى ١٨٠٠ طن أمونيا و ٣ آلاف طن بيريا يوميا !

● يبنى المصنع حساباته على أساس أن المنطقة الملائمة لتسويق انتاجه هى المنطقة الكثيفة السكان الواقعة شرقى قناة السويس ، وكذلك مناطق أخرى فى

مدينة الفولاذ والثروة البديلة !



بعثات للترويج من المدينة التى انطلقت منها أول شحنة من الزيت القطرى !

العالم ·· واتضح أن من أهم البلاد التى تتعامل مع انتاجه هى بنجلاديش وفيتنام والصين ، والسبب أن نوعية التربة فى تلك البلاد تحتاج الى المواصفات الانتاجية للسماد فى قطر ·· كما أنه احيانا يسوق الانتاج الى الولايات المتحدة الامريكية !

● يستخدم المصنع مياه البحر للتبريد ، وكذلك مياه الشرب تعلى داخله !

● العاملون فى المصنع هم من القطريين وأبناء الخليج والدول العربية والنرويج ودول جنوب آسيا ، وتنظم دورات لغوية وفنية للقطريين قبل عملهم فى المصنع ·· وفى هذا الصيف سيرسل عدد من أبناء قطر الى النرويج للتدريب على العمليات الفنية والادارية وسيكون ذلك على حساب الشركة ·

أول ناقلة

وتستمر جولتى فى المدينة التى تواجهها جزر الساحل الشرقى وهى الاسماط والبشيرية ، والتى كنت لا ترى فيها منذ عشر سنوات غير الشاطىء المهجور الذى ترتع فى ارجائه الطيور ونفايات البحر ، وكان لا يشاركه فى وحدته غير خط الانابيب الممتد الى المصب !

واتذكر أثناء جولتى يوما لا ينسى ، وهو ذلك اليوم الذى انطلقت فيه فى ديسمبر عام ١٩٤٩ أول شحنة من الزيت القطرى الى العالم ·

وأرى مصفاة البترول التى يعمل بها ٢٦٥ فردا ، ووصل انتاجها اليومى منذ عام ١٩٧٧ الى ٩١٥٠٠ برميل ·

وفى ذلك الوقع أعرف أنه الى جوار المصفاة الحالية ستنشأ مصفاة جديدة طاقتها اليومية ٥٠ ألف برميل من الزيت !

وانتقل من مصفاة البترول الى مشروع البتروكيماويات الذى أصبح رأسماله فى عام ١٩٧٧ بالضبط ٣٦٠ مليون ريال قطرى ، وتقدر المبالغ اللازمة لاتمام وحداته الانتاجية الى حوالى ٢٥٠٠ مليون ريال قطرى ، وسيعمل به حوالى ٦٥٠ شخصا ·

وهذا المشروع يتم انجازه فى عام ١٩٨٠ بالتعاون مع فرنسا ، وسيقدم انتاجا سنويا يصل الى ٢٨٠ ألف طن من مادة الايثلين و ١٤٠ ألف طن من البولى ايثلين و ٢٦ ألف طن من الكبريت و ٥ آلاف طن من البروبيلين ·

وأرى أيضا مصنع سوائل الغاز الطبيعى الذى بدأ العمل فيه هذا العام ، لنرى انتاج وحدته الاولى فى منتصف عام ١٩٧٩ ، وانتاج الوحدة الثانية فى أواخر عام ١٩٨٠ ·· والوحدتان ستنتجان آلاف الاطنان من الغازات الغنية بالميثان والايثان ، والتى سيستخدمها مصنع البتروكيماويات لانتاج الايثلين !

فالمعروف أن عمليات تسييل الغاز الطبيعى تأتى أهميتها من الحرص على ألا تضيع كمياته هباء بحرقها فى عدد من المشاعل المتناثرة على وجه الصحراء ، فبدلا من أن تأتى تلك المحارق على ثروة طائلة، يصبح الغاز الطبيعى علاوة على كونه مصدرا ناميا للطاقة ، أنسب وأرخص الخامات لصناعة البتروكيماويات

التراث والصناعة

وغير ذلك فهناك خطط طموحة فى مدينة أم سعيد تعتمد على اقامة عدد كبير من المصانع تغطى الاسواق الضرورية العطشى الى المنتجات الصناعية الحديثة ·

وهذه الخطة الطموحة جعلت الكاتب البريطانى « جون مورهيد » ما ان رأى أهميتها عن قرب حتى قال : عندما ينظر الانسان الى التاريخ القديم للمنطقة ، فانه سيتعجب لنجاح تلك المشروعات وبنائها على أسس اقتصادية سليمة ، ولذلك فان الصورة فى المستقبل ستكتمل وخاصة أن هناك جيلا من الشبان يتخرج من الجامعات والمدارس ليأخذ مكانه ويساهم بدوره فى بناء بلاده ·

نعم ·· سنرى مدينة أم سعيد فى السنوات القادمة عندما تكتمل كترسانة صناعية ·· وسنرى شباب قطر وهو يحتل المناصب القيادية فى تلك المصانع ·· الا اننى أقول للغائفين من الوثبة الصناعية الهائلة التى فتكت بروح الانسان فى كثير من المجتمعات وجعلتهم يتمسكون بالجانب المادى الجاف : لا تخافوا ·· فان قطر تتمسك بتراثها وتقاليدها وقوميتها وأصالتها ، وانها الى جوار التعمير والتصنيع تحرص على بناء الانسان اقتصاديا وثقافيا ووجدانيا ، فالروح الدينية والعلاقات الانسانية هما الاصل الذى تنطلق منه الثورة الصناعية هنا ·

كمال سعد

مصابك ياسودان



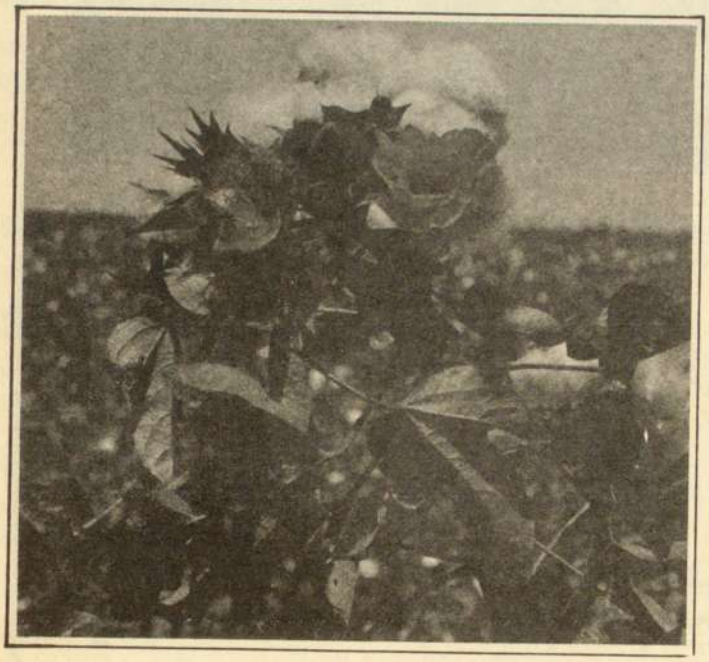
المدكتورة طلعت الرّفاعى
القاهرة - الجامعة العربيّة



بلاد السنا القدسى والسحر والعب
سلمت ووقاك الآله من الكرب
عشقتك صرحا للكرامة شامخا
تحوم عليه الشهب فى سبعة الشهب
يدير به الالهام راحا مقدما
تعتق منه النور فى المنهل العذب
تجلى بواحات المروءة سره
فكان المطاف الحق للعابد الصب

حنانيك يا سودان لن يعبث الدجى
لديك وأنت الفجر للملأ الرحب
حملت هموم العرب غضا ويابسا
ويا لجبال الهم فى غابة العرب
تجوب متاهات القطيعة والنوى
وتجرع مر الصاب فى غيهب الجدب
وكم كرمة هز الفتور جذوعها
حنوت عليها بالجنان وبالهدب





●●

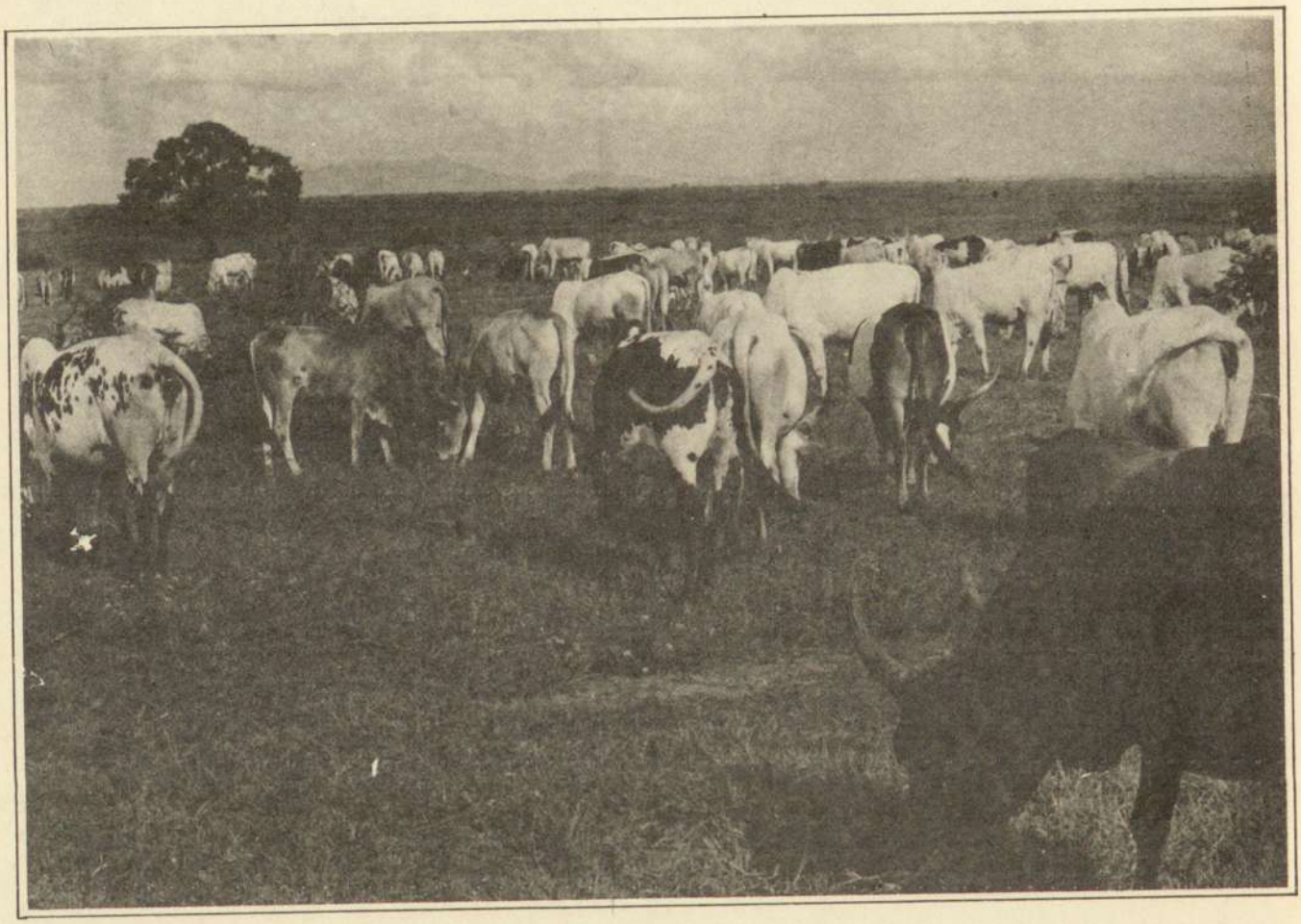
أقمت على أرض البطولة قلعة
لها تنحنى الهامات فى الشرق والغرب
زرعت جنان الود فى كل بقعة
فباح الرحيق البكر بالفنن الرطب
تريق وميض الروح فى كل ساحة
فيندى لهيب الجرح فى بلسم الذوب
حمتك عنايات السماء وخيمت
عليك بأغصان السلامة والحدب

●●

أنا اليوم يا سودان مثلك موجع
فؤادى الذى يدمى على الحجر الصلب
تمزقه حرب الاشقاء عنوة
ويشطره الاعصار فى غربة الدرب
بلادى عليها الطامعون تعاونوا
مع الخصم والاحقاد فى حومة النهب
عتبنا على من ينشد الصحو أفقه
فكان التمادى غلة النصح والعتب
تعبنا وكاد الموج يطوى سفيننا
فهل ساعد فى الليل تمتد للركب
فمن مخبر عن سيف دولة آخر
يجير وجيب الفكر فى ظلمة الجب

●●

بنى وطنى ان الدروس التى مضت
غدت فى مهب الريح أمثولة الهب
أضعنا بها أرضا ولو كان صفنا
منيعا لما عاثت قراصنة السلب
متى يشعر القومى أن نجيعه



دم واحـــد فى وحـــدة الارض والشعب
فنبنى حصـــونا لا تـــدك قلاعهـــا
ونغـزو الســـهى فى وحـدة العزم والقلب

●●

أنـا اليـــوم يا ســـودان مثلك خـافقى
يئـن ولـكن أيـن معجـــزة الطـــب
أفيض وتقتـــات الـــزوابع من دمـــى
وكل ســـيولى لا تهـــد ســـوى قلبى
تكـابد يا ســـودان فى ليل وحـــدة
وتنفق زيت العمـــر فى جلـــوة السحب
ومـــا فـاض فيـــك الغيث الا تفجـــرا
لمـــا فى حنـايا الـــروح من غضبة الحب

●●

مصـــابك يا ســـودان نحـــن لـه الفدى
ومن ذا من الســـودان أرفـــق فى الخطب
اليـــك ضـــمادات من الجفـــن غضة
ومهـــدا من الاكبـــاد منذورة الـوهب
تبـــاركت يا ســـودان لن تجـــرع الاسى
وطافت بك الالطاف من ســـدرة الـــرب
فيـــا أمـــة الالهـــام هبى لاهلنـــا
ولبـــى نـــداء النـــور يا أمتى لبـى

محمد جابر الأنصاري

مع ثلاث أطروحات تعالج أدبنا الحديث

(١)

الاطروحة : القضية العربية فى الشعر الكويتى ٠

المؤلف : الشاعر الكويتى خليفة الوقيان ٠

المشرف : د٠ شوقى ضيف ـ جامعة الكويت ٠

يبدأ بحث خليفة الوقيان عن القضية العربيـــة فى الشعر الكويتى بداية جيدة ، ولكنه لا يلبث أن يسقط بعد منتصف الطريق فى العرض المسطح والسرد الحدثى والاستشهاد الانتقائى بالنصوص ٠

وتتمثل بدايته الجيدة (الفصلان الاول والثانى) فى مقدمته التحليلية النقدية للتاريخ الكويتى بنظرات مستقلة تتميز عن منحى كتب التاريخ المدرسى ، وتتخذ موقفا تقويميا له وزنه من مجريات الاحداث التاريخية واتجاهاتها ٠ كما يضيف تحقيقه فى بدء ظهور شعر الفصحى بالكويت شيئا جديدا الى ما كتب من قبل فى هذا الموضوع من تعميمات غير صحيحة او غير دقيقة ٠ وتجىء آخر اضافاته الجيدة فى اللمحات شبه المختصرة التى أوردها عن الصراع بين القديم والجديد ، وبين المحافظة والحداثة ، فى الحياة الثقافية بالكويت خلال عشرينات هذا القرن ، كما تتمثل فى تتبعه للنقـــدات التى وجهها الشعر للمجتمع الحديث والمدينة الجـــديدة بسبب افتقادهما للاصالة ٠ ولو انه عكف على دراســة هذه الجوانب الخاصة بوظيفة الادب الكويتى فى بيئته التاريخية الواقعية بمزيد من التعمق والتوثيق لاغنى بحثه وانقذه من تراكم العرض الكمى الذى وقع فيه مع بداية الفصل الثالث ٠

نتيجة بدهية

فلقد تحول بحثه فى هذا الموضـــوع الى سرد تاريخى للاحداث العربية العامة من مقاومة الاستعمار الى نكبة فلسطين الى قضايا الوحدة مع تغطية كل حدث عـــربى بنص شعرى او اكثر لشاعر كويتى يتحدث عن المناسبة ويعبر عن شعوره القومى تجاهها ٠ ويبدو ان حمـاس الشعر قد غلب على لهجة الباحث فجاء تاليفه منفعـــلا بجو الشـــعر والاحداث ومفتقرا بالتالى الى الحيـــدة الموضوعية الهادئة ٠

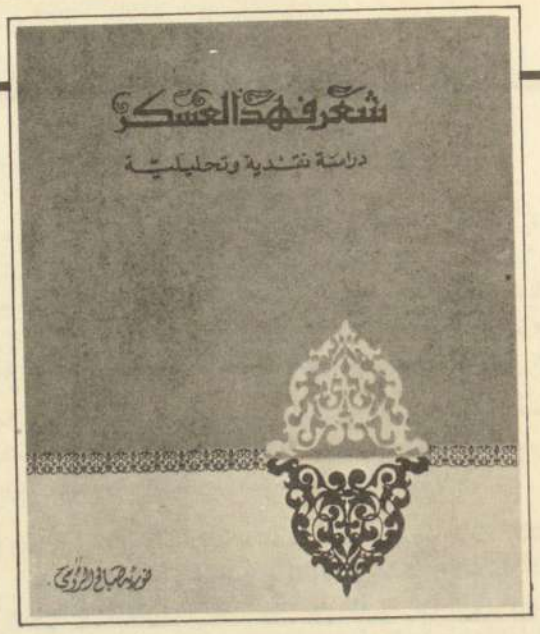
والنتيجة التى نخرج بها من هذا البحث مؤداها ان شعراء الكويت قد تفاعلوا مع احداث أمتهم العربية ٠ وهذه فى الواقع نتيجة بديهية معروفة سلفا وتنطبق على شعرآء كل قطر عربى ٠ أما الخصوصيات التى أبرزها الباحث للشعر الكويتى فى هذا المجال فقد تحتمل مقالة ولكنها لا تحتمل اطروحة ٠

ولو ان الباحث درس هذا الشعر السياسى على ضـــوء مواقف اصحابه فى بيئتهم المحلية والخليجية وعلى ضوء التزاماتهم وانتماءاتهم ومسارهم الشعرى المكتمل دون تجزئة للجانب القومى المجرد ، لربما استطاع أن يحفر مجرى اجتماعيا تحليليا أفضل لمسار بحثه ٠

ولعل النتيجة الصحيحة التى توصل اليها الوقيان فى الفصل الاخير عندما حكم بالرداءة الفنية المتناهية على هذا الشعر السياسى الخطابى ، تتضمن الحكم ضمنا على طريقته هو ايضا فى تناول هذه النصـــوص من حيث معانيها المجردة العامة لا من حيث دلالتها الواقعيـــة المرتبطة بحياة اصحابها ونتاجهم وظـروفهم الذاتيـــة والبيئية ٠

نظرة صادقة

ولكن على الرغم من هذه النواقص والهنات المنهجية فيجب القول ان خليفة الوقيان قد كتب بحثه بـــروح عربية متجردة ومبرأة من مبالغات الروح الاقليميـــة الضيقة التى تنسب كل ابداع وتفوق لاقليمها وتنفى عنها كل قصور ، وانه نظر الى أدب بلاده وواقعه نظرة



نقدية اقرب الى الصرامة منها الى اللين فتميز كتابه بذلك عما يكتب من ادبيات سائرة .

(٢)

الاطروحة : شعر فهد العسكر .

المؤلف : نورية صالح الرومى .

المشرف : د. ابراهيم عبد الرحمن محمد ـ جامعة عين شمس .

اما نورية الرومى فى بحثها حول شعر الشاعر الكويتي فهد العسكر ، فانها على عكس خليفة الوقيان تبدا بداية ضعيفة مرتبكة فى مقدمات الكتاب ثم لا تلبث أن تتمكن من موضوعها وتسيطر عليه تحقيقا وتحليلا .

ولعل تركيزها على حياة شاعر واحد ونتاجه قد أعانها على استيفاء البحث ، واستقصاء المصادر ، والخروج بنتائج محددة تتصف بالابتكار والجدة .

مقدمة مرتبكة

في الفصل الاول الذى خصصته لتصوير الخلفية الثقافية التاريخية الاجتماعية لشعر فهد العسكر تبدو الباحثة مفتقرة الى التحديد المنهجي ومتارجحة مشتتة بين الاقتصار على الفترة الزمنية التى سبقت فهد ومهدت لظهوره ، وبين امتداد التاريخ الكويتى وتطوره حتى زمننا الراهن . وبالنظر الى هذا التارجح وعدم القطع فى تحديد الزمن التاريخى تراوح هذا الفصل بين اشارات الى بدايات التاريخ الادبى للكويت وبين استطرادات واضافات مقحمة تصل الى حدث تاسيس الجامعة الكويتية عام ١٩٦٦ واثره ، وقيام الحركة المسرحية الحديثة فى الكويت وبروز المدرسة الشعرية المعاصرة هذا بالاضافة الى رأى الباحثة الشخصى في جدوى أو لا جدوى التيارات التى شهدتها الكويت (انظر ص ٢٥) وغنى عن البيان ان ذلك كله خلط وحشو لا يدخل منهجيا ضمن تصوير البيئة الثقافية الاجتماعية التى نشا فيها فهد العسكر الذى تخبرنا المؤلفة انه ولد عام ١٩١٦ . وكان الاجدى بها ان تركز مقدمتها التاريخية حتى فترة ما بين الحربين على أكثر تقدير وهى الفترة التى شهدت فتوة الشاعر وشبابه . ولن يضير بحثها اغفالها لمعالم النهضة المعاصرة فهذا موضوع من اختصاص أجهزة الاعلام لا جهات البحث التاريخى فى الادب .

أما البحث العقيقي الجيد من عمل الباحثة فيبدأ فى الواقع مع الفصل الثانى (حياة فهد العسكر) ثم يتدرج صعودا وجودة مع اعادة تحقيقها لمجموعته الشعرية التى اهمل تهذيبها من سبقها من دارسيه ، ويبلغ غايته بتوجهها فى القسم الثانى والاهم من الكتاب لدراسة شعر فهد العسكر دراسة موضوعية وفنية صححت العديد من الانطباعات والاحكام التى شاعت عنه على أيدى الكتاب والنقاد فى الصحف والمجلات تاثرا بما أشيع عنه ونسج حوله من انطباعات منقولة متداولة تمس معتقده وسلوكه .

تفسير مقبول

وبغض النظر عن صحة الاحكام التى توصلت اليها الباحثة نورية الرومى ، فانها قدمت موقفا متكاملا ومتماسكا عن فهد العسكر يصلح كتفسير مقبول لظاهرته الشعرية الفريدة . كما اهتمت فى الخاتمة بمناقشة مختلف الآراء الاخرى عنه وتقويمها ، الامر الذى جعل بحثها عن هذا الشاعر المتميز فى التاريخ الادبى لمنطقة الخليج والجزيرة ، بمثابة اجمال لكل الدراسات السابقة عنه بالاضافة الى جهدها الذاتى فى التنقيب والتعليل .

ولعل من أبرز نتائج هذه الدراسة نفيها تهمة الشك والمجون عن فهد العسكر فى عقيدته وسلوكه ، واعادة حادث حرق ديوانه الى حجمه الحقيقى بلا مبالغة ، وتفسيرها شعره تفسيرا رمزيا لا يتمسك بالحرفية . هذا بالاضافة الى كشفها عن البعد الاجتماعى لقصائده الغزلية ودلالتها الرمزية المرتبطة بمجرى الصراع بين التقليد والتجديد فى البيئة الكويتية . وفى ذلك اضاءة اجتماعية جديدة لشعر فهد الذى شاع عنه الميل الى الفردية والعزلة ، والهروب من معالجة الواقع الاجتماعى .

ان ظهور مثل هذه الدراسة حول عدد أكبر من شعراء الخليج سيكون المدخل الامين للتوصل الى أحكام أكثر دقة ونضجا عن مجمل أدب المنطقة فى دراسات تالية أكثر شمولا واحاطة .

(٣)

الاطروحة : الشعر المعاصر فى البحرين ١٩٢٥ ـ

مع ثلاث أطروحات تعالج

أدبنا الحديث

١٩٧٥ (الطبيعة ـ المرأة ـ الوطن ـ الانسان) ٠

المؤلف : الشاعر البحريني علوى الهاشمى ٠

المشرف : الدكتورة سهير القلماوى ـ جامعة القاهرة٠

هذا البحث يختلف نوعيا عن البحثين السابقين فابعاده اغزر وآفاقه ارحب ٠ ولكنا مع ذلك نواجه اشكالية معينة فى تقييم هذه الاطروحة من وجهة النظر المنهجية الاكاديمية ٠ فانت اذا نظرت اليها من حيث كونها نقدا ادبيا ذاتيا انطباعيا ترفده اضاءات الثقافة الادبية والفكرية المعاصرة ، فانها تمثل بلا ريب عملا جيدا ، وعملا متفوقا ذا طبيعة ابداعية خاصة ٠ أما اذا نظرت الى الاطروحة باعتبارها بحثا اكاديميا ودراسة علمية منهجية موضوعية ـ كما هو منتظر من الاطروحة الجامعية ـ فان تحفظات عديدة وهامة تتكون لديك تجاه القبول باحكامها ونظراتها ونتائجها ، بل وطريقة بنائها ٠

لقد جاء علوى الهاشمى من ساحة الشعر الى ميدان البحث العلمى ٠ وعلى الرغم من انه دخل هذا الميدان بثقافة نقدية ومطالعات فكرية متنوعة تظهر آثارها بوضوح فى تاليفه ، الا ان الشاعر فى ذاته ظل متغلبا الى النهاية على الباحث والناقد الموضوعى المحايد الذى لم يستطع أن يكونه ، فجاءت أطروحته مقالة نقدية انطباعية مطولة فيها الكثير من النظرات الجمالية والتحليلات الذاتية الطريفة ، ولكنها تحوى القليل مما هو فى عداد البحث العلمى الدقيق وحقائقه الصلبة ٠

واخشى ان الباحث اقام تصورا نقديا نظريا واسعا ومتشابكا فى حقيقته اكبر واوسع مما يحتمله واقع الشعر المعاصر فى البحرين ونوعية نتاجه ٠ فلقد حاول ان يجد كل ما قراه من تصورات وعلاقات وقضايا فى النقد العالمى متجسدا فى شعر بلاده الذى لا يتجاوز عمره اكثر من نصف قرن ، ولا يتجاوز عمر حركته الجديدة ـ التى ركز عليها الشاعر ـ اكثر من عشر سنوات ٠

وبعبارة أخرى ، فان علوى الهاشمى ـ متأثرا بمطالعاته التى هى خصبة وجيدة فى ذاتها ـ قد فصل ثوبا فضفاضا وفخما مهيبا لفتى يافع ما زال فى طور النمو ـ وأعنى به شعر البحرين المعاصر ـ فلم يتحقق التوافق تماما بين اللابس والملبوس ٠ وعلى سبيل المثال فان موضوع الزمن فى شعر البحرين قد تفرع على يديه الى : الزمن الاسطورى ـ الزمن التجريدى ـ الزمن التخيلى العام ـ الزمن النفسى الخاص ـ والاحساس الثورى بالزمن ٠ وقد يكون فى هذا التقسيم للزمن طرافة وعمق ومحاولة جادة لفهم ابعاده ، ولكن هل يحتمل الواقع الفكرى لشعر البحرين هذا التقسيم والتعميق ؟ وهل اقنعنا الكاتب بوجود نماذج شعرية تتوازى مع تلك العناوين ؟ تلك هى المسالة ٠

وهذا ما ادى الى تلك التقسيمات والتجزيئات الكثيرة التى نجدها فى كل موضوع ، والى تلك الاستطرادات والايضاحات المتكررة المتوالية بين فقرة واخرى وبين فصل وآخر تنبيها للقارىء واقناعا له ليرى مع الشاعر التطابق المفترض والمفروض بين فرضياته النقدية النظرية وبين واقع النصوص التى اختارها بشكل انتقائى من الشعر البحرينى على سبيل المثال لا الاحاطة ٠ (مع ان الاحاطة هى الشىء المتوجب فى البحث العلمى) ٠

افتراض غير وارد

وكنموذج على ابنيته النظرية الافتراضية التى لا تنطبق على واقع النصوص ـ والذى اعترف الباحث نفسه بفسادها بعد قليل ـ ما افترضه فى بداية درسه لملحمة ابراهيم العريض « ارض الشهداء » ٠ فلقد بدا بحثه فيها على أساس ان شخصية « الراعى » فى الملحمة هى رمز للمواطن المقاتل أو الفدائى ، بل سارع الى اعتبارها ارهاصا بظهور العمل الفدائى الفلسطينى (الملحمة مكتوبة عام ١٩٥٠) ـ كما اعتبر « الجميزة » فيها رمزا للارض والوطن ٠ وراح يتامل فى مختلف انواع العلاقة بين الفدائى والارض ٠ ذلك كله قبل أن يتناول نصوص الملحمة ذاتها بالدرس معتمدا فى هذا النوع من التحليل على ما أسماه : « قوة هذا الافتراض فى قناعتنا الخاصة واستنتاجاتنا الموضوعية »؟

ولكنه بعد بضع صفحات ، وعندما اقترب من معنى النصوص الشعرية وروحها توصل الى الاقتناع « بسقوط اهم معادلين فنيين فى الملحمة (الانسان والارض) ـ أو الراعى والجميزة : « وتتحول الملحمة بذلك الى عمل قصصى يحكى قصة فرد واحد من افراد الامة ٠٠ الخ » ٠

اذا كان هذا واقع الملحمة كما وجده الباحث ، فلماذا اذن تعقيد البحث بفرضية الرموز ، وما هى الضرورة المنهجية التى استدعت التقديم لدرس الملحمة بتصورات غير واردة فى صلبها أصلا ؟

قد نقول لربما أحب الباحث ان يجد فى الملحمة هذه الايحاءات الرمزية كشاعر وناقد متذوق ٠ ولكن هذا شىء ، والبحث العلمى الملتزم بحدود النص شىء آخر ٠

النخلة والبحر

وكمثال آخر على ذلك ، نجد ان علوى الهاشمي يتوصل الى الاقتناع ذاتيا ولاسباب مرتبطة بتركيبة مجتمع البحرين الى ان « النخلة » يجب ان تكون الرمز الاول والاكبر فى الشعر البحرينى (هذا تصوره المثالى للامر) ، وان رمز « البحر » وحده ـ الذى شاع فعلا فى الشعر ـ « لا يستطيع ان يطرح قضية الانسان كاملة » (ص ٣٢٢) .

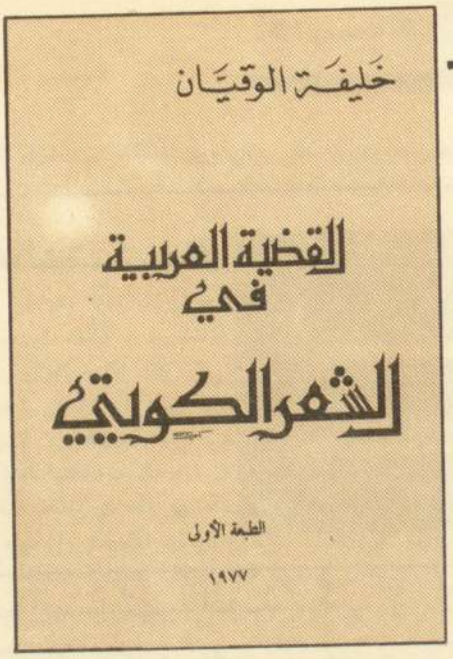
هذه قناعة أدبية ذاتية يمكن ان نتقبلها ونحترمها ونطرحها على بساط البحث كرأى من الآراء . ولكن الباحث اتخذها منطلقا اساسيا من منطلقات بحثه ، معتمدا فى تعزيز رأيه على اشارة عن اهمية النخلة فى طبيعة البحرين أوردته أستاذته المشرفة الدكتورة سهير القلماوى فى بحث لها .

ويجهد الباحث نفسه ، ويجهد معه نصوص الشعر لاثبات هذه النظرية ـ أو الرأى الشخصى ـ وفرضه على ماضى الشعر وحاضره مقسما شعراء البحرين الى اهل ريف واهل بحر (علما ان البحرين جزيرة صغيرة يحيط بها البحر من جميع الجهات ويطل ريفها بنخيله وزراعته على شاطىء البحر مباشرة ويشتغل أهل الريف بالاعمال البحرية كصيد السمك واللؤلؤ اشتغالهم بزراعة الارض) .

ثم يتوصل من ذلك الى نتائج وأحكام نقدية ذات طابع شخصى خالص كقوله ان النخلة فى شعر علي خليفة (ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣) لم تبلغ تلك الاصالة النفسية والفنية التى بلغتها فى شعر قاسم حداد لان الثانى ينتمى أصلا الى بيئة الزراعة ، بينما ينتمى الاول الى بيئة البحر . وهو فى هذه المحاولة يستشهد بأبيات قليلة لهذا الشاعر او ذاك ويعمل على نثر معناها بالشكل الذى يقرب من فرضيته ويغفل ديوان (عطش النخيل) لعلي خليفة مكتفيا باشارة هامشية عنه باعتباره مكتوبا باللغة الدارجة ، لان هذا الديوان فى الحقيقة يهدم ما يحاول اقامته من افتراض . ويواصل اصراره على خصوصية الصلة بين شعر قاسم والنخلة رغم اعترافه ان هذا الشاعر من سكان المدن لا الريف وانه لم يذكر النخلة الا لماما .

جمالية تنقصها الموضوعية

والخلاصة ان البحث فى كثير من مواضعه يستند الى اختيار نصوص معينة من الشعر مجتزئة من أماكنها الاصلية ثم ربط هذه الجزئيات المتباعدة بتفسيرات افتراضية ذاتية فى الاغلب ـ وبصورة انتقائية ـ فى



اطار المخطط الذى وضعه الباحث سلفا بشكل لا يلزم القارىء بقبولها كتفسير موضوعى للادب . وهكذا فتحت لدينا من ذلك سلسلة طويلة من التفسيرات الذاتية للشعر قد تكون أجمل منه أحيانا وأعمق ، وقد تكون مقبولة كنقد ذاتى انطباعى فى حد ذاتها ، ولكنها فى مجملها وشمولها لا تمثل رصدا موضوعيا للكائن الشعرى . هذا على الرغم مما يتخللها بين حين وآخر من نظرات ثاقبة وأحكام صحيحة كان يمكن أن تمثل العمود الفقرى لبحث منهجي أكثر تماسكا لو تم التركيز عليها وتشذيب الانطباعات الشخصية المتشعبة المحيطة بها والمتداخلة معها .

من الزاوية الاخرى : اضافة مؤكدة

هذا ما يجب قوله من الوجهة المنهجية الاكاديمية .

ولكن هذه الاطروحة لا يمكن انهاء الحكم عليها بالمنهج الاكاديمى وحده . فالجامعات ايضا يمكن ان تكون ، بل ويجب أن تكون ، مكانا للابداع الذاتى . وعلينا الا نحارب الابداع باسم الاكاديمية ، (بعد أن نعطى للاكاديمية حقها) . ومن هذه الزاوية الاخرى فان كتاب علوى الهاشمى فى شعر البحرين يعتبر اضافة هامة الى تراث البحرين الادبى . لقد اكتسبت أشعار عديدة فى هذا الكتاب ابعادا جديدة وتفسيرات خصبة وطريفة بعد أن تناولتها ريشة علوى بالتلوين والاضاءة .

ويبقى ان أية محاولة بعد الآن لفهم أدب البحرين وتذوقه ستكون ناقصة اذا أغفلت كتاب علوى الهاشمى ولم تضعه فى حسبانها .

لقد أصبح اضافة لا غنى عنها .

محمد جابر الانصارى

رجاء النقاش

اعراس محمود درويش

- عندما يُستشهد الفلسطينىّ.. لايلقاه أهله بالدّموع وإنما بالزغاريد
- الشاعر لا يعبأ بالألم والذبح والتشريد.. فهى موجهة للهيكل الخارجى
- هو يبنى قصيدته على العزف والتّغنّى بموقف إنسان يصارع ويقاوم

« اعراس » هو اسم الديوان الجديد الذى أصدره الشاعر الفلسطينى المعروف « محمود درويش » ، وفى هذا الديوان تبلغ قدرة محمود درويش الابداعية أعلى ما وصلت اليه ، فهذا الشاعر الذى بدأ حياته الشعرية فى فلسطين المحتلة منذ أوائل الستينات يتطور باستمرار ، ولا يتوقف عن النمو الفنى ، ولا يدور فى دائرة شعرية مغلقة ، فقد كان شعره فى البداية ، كما نحس من ديوانه الاول « عصافير بلا أجنحة » شديد التأثر بشعر نزار قبانى ، وكان من الناحية الفنية نسخة « بالكربون » من نزار ، مع اختلاف واحد له أهميته ، هو أن موضوع محمود درويش كان – وما يزال – هو الجرح الفلسطينى ، وهو جرح ملىء بالشعر لانه ملىء بالاسى والشجن والمواجهة اليومية القاسية ، ولم يكن هذا الجرح بالنسبة لمحمود درويش جرحا عاما فقط ، بل كان جرحا شخصيا وذاتيا فى نفس الوقت ، ذلك لان محمود درويش عاش حياته حتى سنة ١٩٧١ فى داخل اسرائيل ، وعرف هناك الاب الذى يطرد من أرضه ، والبيت الصغير الذى تهدده اسرائيل بالليل والنهار ، وعرف المحققين الاسرائيليين الذين يفتشون بالاضواء الكاشفة خبايا عقله ووجدانه ، ليبحثوا فيهما عن فكره متمردة أو نبضة حب للارض الفلسطينية وللانسان الذى تعذب وتالم كما لم يتعذب انسان آخر فى العصور الحديثة ، وعرف العمل المتواضع ، والطرد من هذا العمل ، وتحديد الاقامة ، والمنع من دخول مدن غير مدينته ، وشارع غير شارعه ، وعرف سجون اسرائيل القاسية ، وسار فى الطرقات بدون بطاقة هوية ، وخرج أحيانا من البلاد ومعه « باسبور » مكتوب فيه قدره وعذابه ، ففى هذا « الباسبور » كتبوا لهذا الفتى الفلسطينى أمام خانة الجنسية انه : « اسرائيلى » ... هذا الجرح الفلسطينى بكل تفاصيله وألوان عذابه ، جعل شاعرية محمود درويش تتميز حتى فى تلك الايام الاولى التى كان يقلد فيها نزار قبانى ، ويكتب على مذهبه الفنى .

على أن محمود درويش بعد أن نضج وأعاد النظر فى شعره كله ، حذف من أعماله الكاملة ، ذلك الديوان الاول – عصافير بلا أجنحة – والذى كانت روح نزار قبانى ترف على صفحاته وتسكن فى أبياته .

السعى الى الاستقلال

ان محمود درويش لم يتوقف منذ البداية عن النمو الفنى السريع والسعى الى الاستقلال بقصيدته ، حتى تصبح منه وحده بغير شبح آخر يسكن فيها . وها هو فى ديوانه الجديد « أعراس » يصل الى قمة عالية فى نضجه الفنى .

وعنوان الديوان يستحق منا وقفة سريعة ، فنحن عندما نقرأ قصائد الديوان تدركنا فى البداية رجفة مندهشة لهذا الاسم ، ففى الديوان حديث عن الذين قتلوا فى تل الزعتر ، أو الذين تمزقوا على مسرح التراجيديا الفلسطينية فى أماكن متعددة من الارض ، ولذلك فقد كان الاحرى بالديوان أن يكون له اسم آخر مثل « الدموع » أو « الجنائز » ، ولكن الدهشة تختفى بعد تفكير قليل . فمحمود درويش فى هذا الديوان يحمل فى قلبه كل الوفاء لتقليد فلسطينى معروف ، فعندما يموت الفلسطينى فى معركة من معاركه ضد العدو ، لا يلقاه أهله بالدموع وانما بالزغاريد والافراح ، ذلك لان « الشهيد » فى الوجدان الفلسطينى يكون قد نال أعلى الاوسمة والنياشين ، اذ أنه بهذا الاستشهاد يحقق أجمل أفراحه وأفراح أهله ، فهو فى عرس من أعراس الدم وليس فى موت عابر لا قيمة له ولا أهمية ، والاحتفال بالشهيد الفلسطينى عند أهله هو نفسه الاحتفال بالشاب الفلسطينى فى يوم زفافه الى عروسه . هذا هو التقليد الفلسطينى الذى استفاد منه محمود درويش ، فالاعراس فى ديوانه كلها أعراس على الطريقة الفلسطينية ، أى « أعراس دم » وزغاريد للشهداء وموسيقى

محمود درويش



راشد حسين



تعزف للارواح التى عبرت الاسلاك الشائكة المكهربة من اجل الحرية ٠

أشياء ثابتة

واذا كان محمود درويش فى ديوانه « أعراس » قد تغير وتطور ونضج فنيا بالقياس الى بدايته ، فقد ظلت فى شعره مع ذلك أشياء ثابتة محددة أهمها أنه فى أعماقه ليس « سوداويا متشائما » بل هو متفائل رغم آلوان العذاب التى يتعرض لها مع قضيته أو جرحه الفلسطينى ، ويحضرنى هنا نموذج آخر من نماذج الشعراء الفلسطينيين هو « راشد حسين » الذى مات منذ أكثر من عام معترقا فى حجرته « بنيويورك » حيث كان يعمل هناك فى مكتب من مكاتب الاعلام الفلسطينية ، لقد كان راشد حسين فى أعماقه يائسا متشائما ، امتد اليه اليأس كالسهم القاتل فى كل عروقه ، ولم يستطع راشد أن ينتصر على أساه ، فظلت أموره المعنوية تتدهور يوما بعد يوم ، وظل يعانى من اغماءات تعاوده بين الحين والحين ، حتى أصيب باحدى هذه الحالات يوما ، ووقعت من يده سيجارة مشتعلة فاحرقته وأحرقت الغرفة التى كان يقيم فيها قبل أن يصحو من الاغماءة ، لقد أضاف راشد حسين الى أعدائه عدوا جديدا هو اليأس ، وكان هذا العدو شرسا وقاتلا فقضى عليه فى الاربعين من عمره على التقريب ، أما محمود درويش فهو يقف على الضفة المقابلة لراشد حسين أو على الضفة المقابلة لليأس ، وهو يحس ـ صادقا ـ أن العاصفة سوف تهدأ حتما ، وأن نهاية « ملحمة العذاب » هو أن يتحقق العدل ، ولذلك فالقتل والتشريد والالم عنده كلها مجموعة من الاعراس فى الطريق الى محطة الوصول الاخيرة ، والانسان عنده ليس هذا الجسد والدم ، ولكنه روح لا تموت ، واذا كان الانسان العادى يتعرض للموت ، فان صاحب القضية يستعصى على الموت ، لانه ـ حتى وان مات ـ يظل يصرخ ويصرخ حتى يأتى يوم الصفاء ، وتشرق الشمس على أرض يطمئن فيها صاحبها ولا يخاف ٠

الرؤية والحضور

ومن هنا فان محمود درويش لا يعبأ بظواهر الحياة العادية ، ولا يعبأ بالالم والذبح والتشريد ، فتلك كلها موجهة للهيكل الخارجى وليست قادرة على أن تنال من « الرؤية » و « الحضور » والقضية العادلة ٠ واحيانا يبدو لى أن فى شعر محمود تسليما بنظرية علمية معروفة وهى أن « المادة لا تفنى » ، لان المادة « طاقة » قد تتغير من حال الى حال ، ولكنها أبدا لا تموت أو تتلاشى ، والشاعر لا يقصد الى ذلك أو يتعمد التعبير عنه ، فتلك رؤيته الروحية ، حيث يحس أن الانسان والاشياء جميعا هى طاقة حية لا تنتهى ولكنها قد تتعرض لتحولات مختلفة ، ومن هنا أيضا تولد الاعراس والزغاريد فى شعر محمود درويش ٠

وسوف نجد هذه المعانى والمواقف جميعا فى القصيدة الاولى « أعراس » وهو نفس الاسم الذى اختاره الشاعر للديوان ، ففى هذه القصيدة امتزاج كامل بين الحب والاستشهاد والزغاريد والدماء ، والرقص والطائرات التى تقصف الناس ، انها ـ بصورها الكثيرة المتناقضة ـ تمثل « وحدة وجدانية وفنية » كاملة ٠٠٠ انها فى حقيقتها هى المشهد الفلسطينى ، أو العرس الكامل على الطريقة الفلسطينية :

عاشق يأتى من الحرب الى يوم الزفاف
يرتدى بدلته الاولى ويدخل
حلبة الرقص حصانا
من حماس وقرنفل

.....

وعلى حبل الزغاريد يلاقى فاطمة
وتغنى لهما
كل أشجار المنافى ومناديل العداد الناعمة

.....

ذبل العاشق عينيه
وأعطى يده السمراء للحناء
والقطن النسائى المقدس
وعلى سقف الزغاريد تجىء الطائرات
طائرات
طائرات
تخطف العاشق من حضن الفراشة
ومناديل العداد
وتغنى الفتيات :
قد تزوجت

نزار قباني



سميل تيلر كولردج



اعـــــراس

محمود درويـــــش



تزوجت جميع الفتيات
يا محمـــد !
وقضيت الليلة الاولى
على قرميد حيفا
يا أمير العاشقين
يا محمـــد !
وتزوجت الدوالى
وسياج الياسمين
يا محمـــد !
وتزوجت السلالم
يا محمـــد
وتقـــاوم
يا محمـــد
وتزوجت البلاد
يا محمـــد
يا محمـــد

انسان يقاوم

هذه هى القصيدة التى تصور لنا العرس الفلسطينى ، ونستطيع أن نلاحظ كثيرا من عناصر الفن الشعرى عند محمود درويش ، ففيها هذه « الغنائية » المؤثرة التى تميز محمود درويش بوضوح ، فهو لا يبنى شعره على اسطورة رمزية ، او قصة ، او حادث معين يصوره ، ويتركه ليبعث الى نفوسنا بما يوحى به ، ولكنه ليبنى قصيدته على « العزف » و « الغناء » فهو « يتغنى » بلحظة او حالة او موقف او انسان يصارع ويقاوم ، ومن ناحية اخرى نجد هنا ظاهرة « التكرار » التى تتركز فى هذا النداء : « يا محمد » ، وهذا التكرار يكشف عن الحرارة والتوتر واللهفـــة ، ويناسب « الحالة الشعورية » التى يعبر عنها الفنان ، فهى حالة حرب وحب واختطاف وعلاقات حارة بين الاحياء وامتزاج بين المـــرأة والوطن وبين قلوب الفتيات وارض البلاد ، وتختلط الزغاريد بصوت الطائرات ، ومن هنا فالتكرار يعطينا هذا الجو المتوتر وهذا الايقاع الذى يمس كل شىء فى ذلك العرس الفلسطينى .

وفى القصيدة نجد تلك الصـور التى ينبعث ســـعرها من « التناقض » ، فالعاشق « يأتى من الحـــرب الى يوم الزفاف » و « على سقف الزغاريد تجىء الطائرات » والزوج العاشق يقضى ليلة زواجه الاولى ، لا على فراش ناعم سعيد ، وانما على « قرميد حيفا » والعاشق « يتزوج » و « يقـــاوم » : « ... وتزوجت السلالم ، يا محمد ، وتقاوم » ، هذه كلها صور للتناقض العنيف بين الاشياء والمواقف ، ومن هذا التناقض تتولد شرارة الفـــن الجميل .

وفى القصيدة ايضا نجد نوعا من التجسيد يتركز فيه الموقف الانسانى كله ، فرغم أن القصيدة أصلا هى تصوير للعـــرس الفلسطينى بتناقضاته العنيفة العادة ، ورغم أن الاسلوب الذى يعبر به الشـــاعر هو اســـلوب « غنـــائى » غير « قصصى » ولا « ملحمى » الا أن القصيدة مع ذلك تجسد لنا الموقف كله فى شخصية رئيسية هى « محمد » وفى شخصية ثانوية هى « فاطمة » ، وهذا التجسيد يجعلنا أكثر اقترابا من عالم القصيدة واكثـــر ارتباطا بتجربتها الانسانية ، فالشاعر يرسم لنا فى عذوبة وسحر بطلا للموقف هو محمد ، وحول هذا البطل تتجمع مشـــاعرنا وينساب من قلبنا تيار من المشاركة والتعاطف .

أحمد الزعتر

وهذه الخصائص الفنية التى نجدها فى قصيدة « أعراس » لمحمود درويش هى نفسها التى نجدها فى كل قصائد هذا الديوان ، فالغنائية ، والصور المتناقضة ، والتكرار والتجسيد هى العناصر الفنية الاربعة التى يقدم محمود درويش من خلالها كل قصـــائد هذا الديوان . واذا اردنا تطبيقا أوضح لهذا المنهج نفسه فاننا نجد مجالا واسعا لذلك فى احدى روائع محمود درويش فى هذا الديوان ، وهى فى نفس الوقت احدى روائع الشعر العـــربى المعاصر كله ، واعنى بذلك قصيدته « احمد الزعتر » ، وفى هذه القصيدة حديث عن ماساة مخيم « تل الزعتر » فى الحرب الاهلية اللبنانية ، وبالطبع فان الشاعر يتجاوز « تل الزعتر » ليتحدث عن المأساة الفلسطينية كلها من خلال أحد الذين استشهدوا فى

● كلمة «آه» كثيرة الورود فى شعر محمود درويش .. ولا يخفى علينا معناها

المغيم وهو « أحمد الزعتر » وكلمة « الزعتر » ليست اسما للشهيد ولكنها رمز لارتباطه بتل الزعتر وارتباطه بفلسطين كلها .

على اعتبار أن الزعتر نبات منتشر فى فلسطين ، وهو من تلك النباتات التى يستخدمها أبناء الشعب فى فلسطين فى طعامهم بكثرة ـ كما فهمت من بعض الاخوة الفلسطينيين ـ فاحمد الزعتر اذن هو رمز للانسان الفلسطينى ورمز للماساة كلها .

هنا نجد الغنائية فى أجمل صورها واحلاها ، فالشاعر يعزف ويغنى على أوتار المحنة ، بل انه يستخدم احيانا كلمة « آه » التى ستخدمها المغنى الشعبى ، والتى يستخدمها كل مغن حزين يعزف على جرحه ، وكلمة « آه » كثيرة الورود فى شعر محمود درويش ولا يخفى علينا مغزاها فى شعره وفى النفس الفلسطينية والنفس العربية على العموم ، يقول محمود درويش :

« .. نازلا من نحلة الجرح القديم الى تفاصيل البلاد وكانت السنة انفصال البحر عن مدن الرماد وكنت وحدى .

ثم وحدى

آه يا وحدى ؟ واحمد

كان اغتراب البحر بين رصاصتين

مغيما ينمو ، وينجب زعترا ومقاتلين »

ان الغنائية هنا واضحة تماما وها هى تتضح لنا اكثر فى المقطع التالى من نفس القصيدة :

« كلما آخيت عاصمة رمتنى بالحقيبة

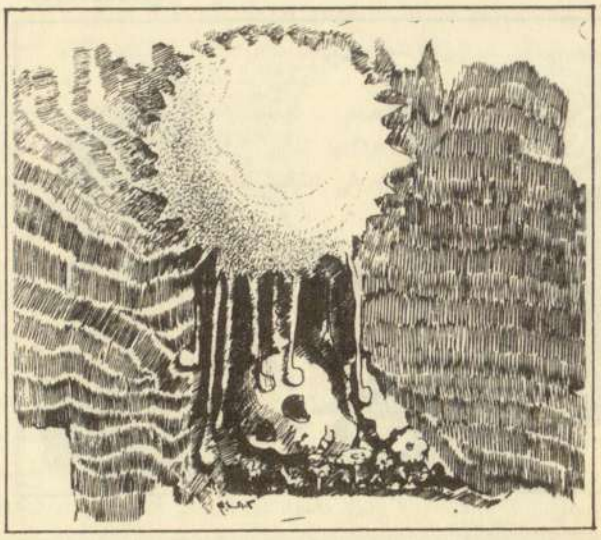
فالتجات الى رصيف الحلم والاشعار

كم أمشى الى حلمى فتسبقنى الخناجر .

آه من حلمى ومن روما !

جميل أنت فى المنفى

قتيل أنت فى روما



وحيفا من هنا بدات

واحمد سلم الكرمل

وبسملة الندى والزعتر البلدى والمنزل »

الصور المتناقضة

والى جانب هذه الغنائية العذبة ، التى تتحول الى غنائية عنيفة غجرية فى بعض الاحيان ، نجد الصور المتناقضة التى تصدمنا وتوقظنا وتهز وجداننا وتثير فينا أعمق الرؤى والاشجان :

« أنا أحمد العربى ـ فليات العصار جسدى هو الاسوار .

فليات العصار »

.....

« وهو الرصاص البرتقالى .. البنفسجة الرصاصية »

.....

يا أيها الولد المكرس للندى

قاوم !

يا أيها البلد ـ المسدس فى دمى

قاوم !

.....

يا أحمد اليومى

يا اسم الباحثين عن الندى وبساطة الاسماء

يا اسم البرتقالة

يا أحمد العادى !

كيف محوت هذا الفارق اللفظى بين الصخر والتفاح ،

بين البندقية والغزالة »

« فالرصاص البرتقالى » و « الصخر والتفاح » و « البندقية والغزالة » و « البلد ـ المسدس » كلها صور متناقضة متقابلة بعيدة عن المالوف ، وهى صور ترفض التناسق والانسجام بين الاشياء ، ففن محمود الشعرى لا يتم بناؤه على قيمة التناسق بل على قيم أخرى هى التضاد والصراع والمواجهة .

أما « التكرار » الملهوف فهو ينتشر فى القصيدة ويعطيها ذلك الايقاع السريع اللاهث العنيف :

وتقول : لا

يا أيها الجسد الذى يتزوج الامواج

فوق المقصلة

وتقول : لا

وتقول : لا

وتقول : لا

وقبل هذا المقطع بقليل نقرأ هذا المقطع الذى تتكرر فيه كلمة « الصعود » وكلمة « الصمود » :

اعـــــراس

محمود درويـــــش

« واصعد من جفاف الخبز والماء المصادر
من حصان ضاع فى درب المطار
ومن هواء البحر اصعد
من شظايا ادمنت جسدى
واصعد من عيون القادمين الى غروب السهل
اصعد من صناديق الخضار
وقوة الاشياء اصعد
انتمى لسمائى الاولى وللفقراء فى كل الازقة
ينشدون
صامدون
وصامدون
وصامدون »

وفى هذه القصيدة نفسها وهى قصيدة « احمد الزعتر » تجسيد كامل للتجربة كلها فى شخص « احمد » الذى يرف بجناحيه على كل حرف فيها ، وتسقط منه على ابيات القصيدة قطرات من الدم كانها الندى على جناحى عصفور غمس نفسه فى الماء .

بورتريهات من الداخل

ان الشاعر فى هذه القصيدة وفى معظم قصائد ديوانه « اعراس » يرسم لوحات او ما يسمى فى فن الرسم باسم « بورتريهات » ، ولكنه لا يرسم هذه « البورتريهات » من الخارج ، وانما يرسمها من « الداخل » ، فهى « بورتريهات » للروح لا للجسد ، وهى لا تهتم بالطول والقصر وسعة العيون ولون البشرة ، ولكنها تهتم بالعذاب والجراح ولحظات الاسى والفرح والمقاهى والسجائر والحوارات العميقة ، والحوارات العابرة ، ونحن نخرج من ديوان « اعراس » ومعنا هذه اللوحات او « البورتريهات » ، تسكن ارواحنا كما تسكنها الذكريات العزيزة الدافئة ، فهذا « محمد » وهذا « احمد الزعتر » وهذا راشد حسين ، وهذا ابراهيم مرزوق « الفنان الذى قتل فى الحرب الاهلية اللبنانية » ... كلها صور لا تنسى حفرها محمود درويش بقصائده على لوحات صدورنا من الداخل .

من الجرح الفلسطينى

ولن تجد فى هذا الديوان كلمة فلسطين الا على نطاق محدود ضيق ، ومع ذلك فالديوان نابع من الجرح الفلسطينى ، ذلك لان فلسطين تبدو فى هذا الديوان وفى كل حرف منه قائمة بالاوصاف والعناصر التى تتكون منها ، فهى الانتظار والقتل والمقاومة والرحيل والتشرد والياس والامل ، واذا جمعنا هذه العناصر فى « اناء معنوى » واحد فسوف تتفاعل جميعها وتنتهى بنا الى خريطة فلسطين ، فهذه العناصر هى فى جملتها التى تتكون منها الخريطة الفلسطينية .

واهم ملامح الخريطة الفلسطينية فى ديوان « اعـراس » هى الكلمات التى تدل على الرحلة والتنقل والمطاردة والقلق ، مثل كلمات « العقيبة ـ الميناء ـ المطارات ـ القطارات ـ المقهى ـ الجبال ـ الارصفة ـ المنفى ـ المخيم ـ الخريطة ـ المناديل » :

« كان اغتراب البحر بين رصاصتين
مغيما ينمو ، وينجب زعترا ومقاتلين
وساعدا يشتد فى النسيان
ذاكرة تجىء من القطارات التى تمضى
وارصفة بلا مستقبلين وياسمين »
.....
« ورمت معاطفها الجبال وخباتنى »
.....
« كلما آخيت عاصمة رمتنى بالعقيبة
فالتجات الى رصيف الحلم والاشعار »
.....
« ومن المقهى الى المقهى
لماذا يهرب الشعر من القلب اذا ما
ابتعدت يافا ؟ لماذا تختفى يافا اذا
عانقتهـا ؟
لا ، ليس هذا زمنى »
.....
« انا ولد الكلمات البسيطة
وشهيد الخريطة »
.....



● التجربة الروحية لها السيادة الأولى أولا وقبل كل شيء

« وتموت وحدك • سوف تتركك البحار على شواطئها وحيدا كالعصى • ستفر منك المكتبات ، السيدات ، الاغنيات ، شوارع المدن ، القطارات ، المطارات ، البلاد تفر من يدك التى خلقت بلادا للهديل » •

.....

« اننى اذكر
او لا اذكر
العمر تبخر
فى محطات القطارات
وفى خطوتها »

هذا هو القاموس الذى يتكرر فى شعر محمود درويش . وفى ديوان أعراس على وجه الخصوص ، وكل كلمات هذا القاموس الفاظ تدل على القلق وعدم الاستقرار والرحلة الدائمة .... الوطن الفلسطينى قد تحول ـ فى المحنة ـ الى مطارات وقطارات ـ ومناديل ووداع وخرائط ومخيمات ، فالارض غائبة ، والباقى للفلسطينى هو انتظار هذه الارض فى كل مواقع الانتظار •

قصائد فى الحلم

ومحمود درويش فى ديوانه الجديد « أعراس » حاد كالسكين ، ناصع كانه نصل سيف ، فهناك رؤية تسيطر عليه سيطرة كاملة ، وهذه الرؤية التى فى وجدانه هى وطنه وهى واقعه الحقيقى بعيدا عن اى واقع خارجى آخر ، ويخيل الى احيانا أن محمود درويش يكتب وهو عريان ، او يكتب وهو يعلم ، ونحن نعرف فى تاريخ الادب العالمى أن الشاعر الانجليزى الكبير « كولردج » « حلم » بقصيدته المشهورة « كوبلاخان » التى جاءته باكملها فى هذا الحلم ، وعندما استيقظ ، كتبها كما « جاءته » كاملة فى الصباح، ولكن قصيدة « كوبلاخان » حلم مستقيم متناسق واضح ، ولا غرابة فى هذه القصيدة الا فى الطريقة التى ولدت بها فى حلم الشاعر ، وكثيرا ما يبدو أن قصيدة محمود درويش قد جاءته ـ فى الحلم ـ على طريقة « كوبلاخان » ، ولكن حلم محمود درويش يظهر لنا وكانه نوع من « الكوابيس » ، ولولا ما أشرنا اليه من أن محمودا فى اعماقه متمرد ومتفائل ، لجاءت « كوابيسه » الشعرية قاتمة سوداء معتمة ، ولكنها للعق كوابيس جميلة ـ اذا صح التعبير ـ ، كانها تُحرك فى القلب شهوة الحياة والكفاح وليس فيها سم اليأس والقنوط •

والوحدة الفنية فى قصائد محمود درويش فى ديوانه « أعراس » تنبع من تجربته الروحية ، أما الفن نفسه ، فالشاعر يستخدم فى قصيدته كل الاساليب المعروفة فى القصيدة الجديدة ، من « التدوير » اى المقطع الكامل المتصل ، والذى يمثل فقرة شعرية كاملة ، لا فرق بينها وبين « النثر » الا الايقاع والوزن وهذا هو نموذج من نماذج ما يسمى « بالتدوير » وهو فى رأيى اصطلاح من اردأ الاصطلاحات الفنية وينبغى أن نبحث عن اصطلاح آخر أجمل وأكثر دقة ... يقول محمود درويش فى قصيدته : « وتحمل عبء الفراشة » :

« ويجيئك الفقراء • لا خبز لديك ولا دعاء ينقذ القمح المهدد بالجفاف • تقول شيئا ما عن الغضب الذى زف السنابل للسيوف، تقول شيئا ما عن النهر المخبأ فى عباءات النساء القادمات من الخريف ، فيضحكون ويذهبون ، ويتركون الباب مفتوحا لاسئلة العقول » •

الشواطىء والحدود

هذا هو « التدوير » الذى يستخدمه محمود درويش فى قصائده ، وهو لا يستخدمه من باب « الموضة الفنية » السائدة ، ولكنه يستخدمه للتعبير عن موقف وجدانى او حركة شعورية لاهثة متلاحقة تجرى فى النفس كموج البحر فتتجاوز الشواطىء والحدود • ومحمود درويش يستخدم سائر الاساليب الفنية الاخرى المعروفة فى الشعر الجديد ، فيستخدم الشطرة الواحدة ، و « التفاعيل » غير المتساوية ، والبيت الكامل ، والسيادة الاولى والكبرى فى عمله الفنى هى للتجربة الروحية أولا وقبل كل شيء ، واللحظة الشعرية فى أعراس محمود درويش هى تلك اللحظة التى تنبع من الحلم ، ومن حافة الجنون ، ومن الغضب ، ومن فوهة البركان ، بمعنى أن القصيدة لا تترابط ابدا بذلك الرباط العقلى المعهود ، ولكنها مجموعة من الشظايا المتناثرة والتى لا نستطيع أن نعرف مصدرها بدقة الا اذا تاملنا هذه الشظايا ولمسناها حتى نعرف انها صادرة عن هذا البركان او ذاك •

العاصفة سوف تهدأ

ومحمود درويش فى « أعراسه » يحس أن العاصفة التى يعبر عنها ، سوف تهدأ حتما وتنتهى باشراق صباح جميل ، وهو يحمل هذه الفكرة فى وجدانه لا كعقيدة قابلة للمناقشة والجدل ، وانما يحملها كعلم لا يمكن الفكاك منه ، انه هنا صوفى له « رؤية خاصة » ليست فى نظره موضع أخذ ورد ، وليست بحاجة الى تحليل او تعليل او تبرير • يكفى أن يقول لنا الصوفى أننى أرى اناسا تتكلم حولى وتخاطبنى حتى ندرك انه يرى ذلك فعلا ، انه يشاهد حتى لو لم نكن نحن « نشاهد » ، والرؤية التى يراها هى أن فلسطين ستتحرر يوما ، وأن الفلسطينى سوف يعود ، وأن طريق العذاب والالم والاستشهاد آخره جنة العودة الى الارض والاستقرار والطمانينة • وقصيدة محمود درويش فى ديوان « أعراس » اشبه بسفينة فى بحر يتعرض لعاصفة قاسية ، فتهتز المركب أشد الاهتزاز ويصبح الموج عنيفا شرسا ، وتتكسر بعض اشياء السفينة ، ويحاول الربان فى لحظات الخطر ان يعلن تعليماته فى كلمات متقطعة سريعة ، وأن يلقى بالزيادات غير الجوهرية الى البحر ، وقد تكون هذه الزيادات فى أيام الصفاء عزيزة وجميلة ، ولكنها فى العاصفة عبء ، حيث لا ينبغى أن يبقى فى السفينة غير الجوهرى ، ثم يعود الصفاء بعد العاصفة ، فيهدأ البال ، وتعلو اشعة الشمس وقطرات الماء ، وقد ينطلق بحار بالاغانى والاناشيد ، ويتمدد على سطح السفينة ، ويتحول الايقاع المضطرب الى هدوء وانسجام وتناسق ، وفجاة تهب العاصفة من جديد ، فتعود الصورة

● لكى نفهم أعراس محمود درويش، علينا أن نضع أنفسنا فى العاصفة

اعراس

محمود درويش

الى ما كانت عليه ، فاذا تخيلنا هذه العاصفة نفسها على سطح الارض لا على سطح الماء ، فاننا سوف نجد الصورة ـ فى العاصفة ـ عصفورا متجمدا وآخر يبحث فى عناء عن غصن يقف عليه ، وسوف نجد اوراقا تتطاير من الشجر ، وسوف نجد الارض نفسها ترابا وذرات تتناثر فى الهواء وتسفع وجوهنا بعنف ، وسوف نجد الاشجار وقد انكسرت اغصانها ، ومالت الاشجار نفسها وقد هدتها العاصفة بالاقتلاع .

وانت فى العاصفة لا تستطيع أن ترى بوضوح مهما كنت حاد البصر ، انك « تخمن » وتستعين بالذاكرة اذا كنت مررت على هذا الطريق من قبل او لم تمر ، وانت تجرب وتصطدم بشىء وتقع احيانا وتحاول النهوض .

واجمل ما فى العاصفة امران : الاول انها تشحذ كل حواس الانسان ليرى بدقة ويسمع بدقة ويحس احساسا دقيقا بكل شىء ، كما انها تشحذ مشاعر الانسان فيصبح خائفا وشديد التحدى ايضا ـ دفاعا عن النفس ـ وما اجمل وابدع واشرس الخائف الذى يتحدى دفاعا عن فرصة محدودة فى الحياة يعطيها كل قواه لعله ينجو .

ما بعد العاصفة

والجمال الثانى فى العاصفة هو ما بعد العاصفة ، فالجمال تاج على رؤوس المشاهدين لا يراه الا الذين عانوا العاصفة وواجهوا اخطارها مواجهة كاملة .

ونحن قد نرى العاصفة فى السينما او نقرأ عنها او نشاهد رسما من رسومها ، فتنفعل ولكن بعقولنا وحدها لا بحواسنا كلها ، اما اذا عشنا فى قلب العاصفة ، فاننا نصبح جزءا من الصراع ... وبعض الناس يقرأون محمود درويش كما لو كانوا يشاهدون عاصفة فى فيلم ، اى انهم يشاهدون من الخارج او ينفعلون من الخارج ولديهم دائما احساس اخير بالاطمئنان ، وهؤلاء يصعب عليهم ان يفهموا محمود درويش او يحسوا بحقيقة تجربته الانسانية والفنية ، ولابد للفهم الصحيح والاحساس الصحيح باعراس محمود درويش ان نضع نفوسنا فى العاصفة ، او ان تضعنا الظروف فيها ، هذا وحده هو الذى يتيح لنا ان نفهم تماما ما يعنيه الشاعر بعواصفه او بقصائده ، وهذا هو الذى يمكن ان يفسر لنا هذا التناثر او التمزق الذى يصيب الاشياء فى قصائد محمود درويش ، وهو الذى يعطى قلوبنا ومشاعرنا احاسيس مشابهة لما تعبر عنه قصائده من احاسيس .

صيحات بحار

هذه هى صورة القصيدة عند محمود درويش فى « اعراسه » ، انها دنيا من العاصفة ، ولكن العاصفة لا تدوم ، فقصائد الشاعر هنا هى دنيا ما قبل العاصفة ، ودنيا العاصفة ، ودنيا ما بعد العاصفة :

انك الاخضر • لا يشبهك الزيتون ، لا يمشى اليك الظل •
لا تتسع الارض لرايات صباحك •
ونشيدى لك ياتى دائما اسود من كثرة موتى قرب نيران جراحك •
فلتجدد ايها الاخضر موتى وانفجارى •
ان فى حنجرتى عشرة آلاف قتيل يطلبون الماء ،
جدد ايها الاخضر صوتى وانتشارى •

.....

وفى العاصفة ايضا يقول محمود درويش او يصيح بالحق الذى يتردد فى أعماق الضمير العربى :

ان الشعوب ستدخل هذا الكتاب وتافل شمس اريحا بدون طقوس•
فيا وطن الانبياء ... تكامل
ويا وطن الزارعين ... تكامل
ويا وطن الشهداء ... تكامل
ويا وطن الضائعين ... تكامل
فكل شعاب الجبال امتداد لهذا النشيد
وكل الاناشيد فيك امتداد لزيتونة زملتنى

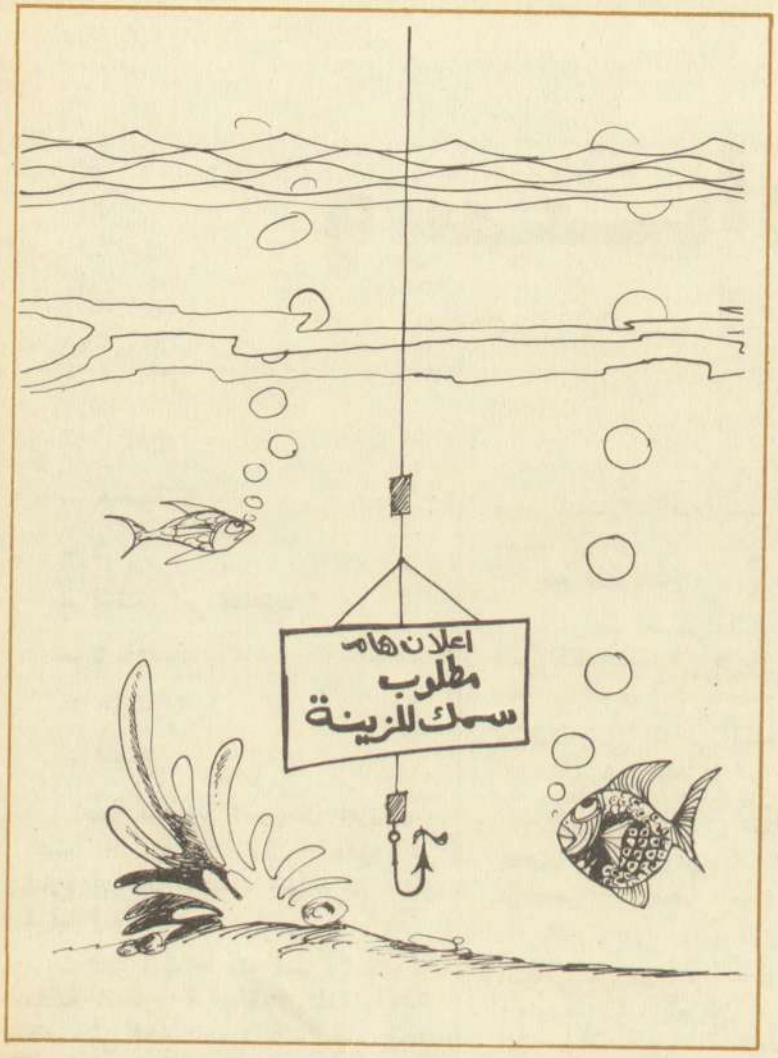
.....

اليست هذه حقا صيحات بحار على سفينة فى العاصفة ؟! وما اقسى العاصفة ولكن ما اجمل البحار الشاعر واعذب اغانيه وهو يواجه الغرق ويتحدى الموت بالشعر والكلمات النابضة بالارادة والعزم على الحياة .

رجاء النقاش

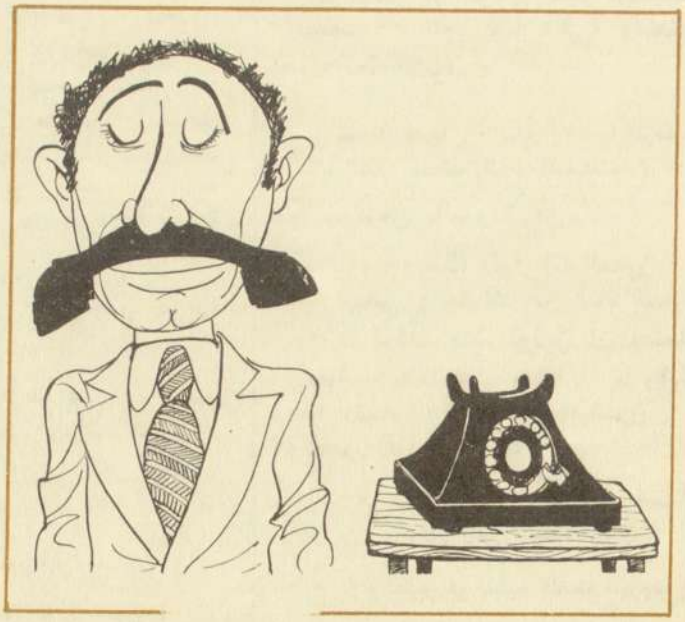
العدد القادم
موقفنا من الآداب الشرقية
رجاء النقاش

نابحث









وينبت الصبار

بقلم : أم أكثم

ـ غاضبة ؟

ـ لا ..

ـ أتظنين أنى خدعتك ؟

ـ لا ..

ـ حزينة ؟..

ـ قليلا .

(تنهمر حبات المطر كدموع طفل لتغرق وجه المساء .. تضيء .. تبرق .. وهى تلثم شارع الاسفلت كنجيمات مبعثرة على عباءة شرقية) .

ـ لماذا أنت صامته منذ أن غادرنا محطة القطار .. لم تقولى كلمة واحدة .. حتى قطع الحلوى التى تشترينها فى كل محطة كعادتك نسيتها هذه المرة .

(يستبيعنى الحزن) .

ـ لم يبق على سفرى سوى أيام معدودة .. قد لا نلتقى .. لماذا تثيرين فى كل هذا البؤس ؟ لم أخدعك .. أحببتك بصدق منذ أول يوم للقائنا .. لم أرغب فى خداعك .. كان بامكانى أن أعيش معك كل سنوات الدراسة فى هدوء .. أدعك تعيشين الوهم .. وافاجئك بالرحيل . .لكنك أغلى من مجرد فتاة جميلة عابرة .. و ..

ـ لم أتهمك بالخديعة .

(يبعث عن يدى .. اشيح بوجهى .. ابتلع غصة متوثبة فى صدرى .. اغرق فى معطفى السميك .. احكم وضع الشال الشاحب كايام .. ى حول عنقى .. تلسعنى برودة الشتاء يتراكم الجليد على مشاتل الضوء فى جفونى .. تنطفىء عذوبة المساء .. يغبو دفء الشموع وبوح الموسيقى) .

ـ شرحت لك مرارا جميع الاسباب التى تقف عائقا فى طريق زواجنا .. وقد أبديت لى انك تفهمت الامور .. ورغبت مثلى أنا فى استمرار العلاقة .. فلم هذا الحزن ؟

(كقط برى متوحش تقفز الوحدة من الحانات والمراقص والواجهات لتنشب اظفارها فى وجهى .. واغمض عينى) .

ـ ان والدى انتظر بفارغ الصبر انتهائى من دراستى للعلوم السياسية .. وهو كما تعرفين من أكبر الشخصيات السياسية هناك .. وانا سادخل الانتخابات القادمة فى منطقتنا معتمدا على اسم والدى .. وتاريخ اسرتى العريق .. وزواجى من فتاة من غير منطقتنا سيهبط بأسهمى .. وربما يقضى على مستقبلى السياسى .. كما أن والدى قد اتفق مع واحد من اكبر حلفائه على زواجى من ابنته .. لقد شرحت لك كثيرا طبيعة المجتمع هناك .

ـ افهم ذلك .. لا أطلب مزيدا من الشرح .

(يغفو المساء .. تزحف الرمال .. تواصل اقتلاع العشب من حقول .. وينبت الصبار)..

ـ لقد تعدينا المطعم الاسبانى .. الست جائعة ؟

ـ احتاج لفنجان قهوة ساخن .

ـ آه .. الجو يزداد برودة .. هذه المدينة الملعونة .. لا يستطيع شرقى التأقلم كثيرا مع بردها وضبابها .

(ينتشر الضوء الاحمر كالعطر .. تتلوى ظلال الشموع كافعى ساحر هندى .. تقهقه « ماريا » الممتلئة الوجنتين .. تعدو تجاهنا بثوبها المزركش المتناغم الالوان .. ترحب بنا .. قادتنا الى زاويتنا اليومية .. وعلى المائدة زهرة بلون الشفق .. يزداد خفوت همس الرواد .. تتلاحم العيون فى اغنية .. تهبط كالرحمة يد حانية على كتفى .. التفت .. آه .. « فريناندو » العجوز) .

ـ كيف حالك اليوم يا ابنتى ؟ وانت يا صديقى ؟

ـ بخير .. وانت .. ماذا ستعزف لنا هذا المساء ؟

ـ لماذا لم تنزعى عنك هذا المعطف .. الجو هنا دافىء ومنعش مع رائحة الشواء .

(تضحك ماريا .. تبدو ملامحها المرسومة بطلاء كثيف صاخب كوجه البلياتشو) .

ـ أشعر بالبرودة .

ـ آه .. ماذا أقول أنا العجوز .. هيا انهضى . يا لك من فتاة كسولة .. ما قولك كنت تودين أن أعلمك رقصة «الفلامنكو» .. آه .. ما رأيك هذا المساء .. الرواد قليلون .. والعمل أقل .

ـ فريناندو .. دع هذا لمساء آخر .. أشعر أننى لست بخير .

(يبزغ القلق فى عينيه كلحظة الغروب)..

ـ هل ذهبت للطبيب يا ابنتى ؟



وينبت الصبار



(اتسقط حنانك أيها الرجل العجوز ·· تذكرنى بامى ·· واذكرك بابنتك العاقة فى غرناطة ·· كلانا يبحث عن دفء مفقود ·· آه ماذا تفعلين هذا المساء يا امى وحيدة مثلى ·· حزينة مثلى ·· تعرفك الشمس والجفاف ·· وانا كشجرة صنوبر مستوحدة يجللنى الضباب والجليد الناصع كالكفن) ·

ـ ما هى مشروعاتك للمستقبل ؟ « يسالنى رفيقى » ·

ـ لا شىء ·

ـ ماذا تقصدين ؟

(تنمو ظلال الحيرة على وجهه) ·

ـ بقى لى عام وانهى دراستى ·· سأواصل عملى كمترجمة للمرضى العرب حتى أتخرج ·· ومن ثم سأحاول أن أعثر على عمل أفضل ·

(ارشف القهوة ·· ارتجف) ·

ـ وبعد ذلك ؟··

(قبل ذلك وبعد ذلك ·· وحدة مزمنة كالداء ·· وحزن كشبكة صياد ماهر ·· لا فرار منها ولا مامن ·· قبل ذلك ·· وبعد ذلك ·· لا شىء ·· منذ أن اكتشفت اننى كعود الثقاب لا اشتغل الا مرة واحدة ·· هربت من مدينتى الظالمة ·· هربت من رجل كنبات الظل ·· تقتله الشمس ووضوح الرؤية فى النهار) ·

ـ هل هناك شىء آخر يجب أن اقوم به ؟

ـ انك فتاة جميلة ·· فى السابعة والعشرين من عمرك ·· لا شك أن هناك كثيرين يطمعون بك زوجة ·· ولا شك أيضا أنك تطمعين لبيت وزوج وأطفال ·· ألن تفكرى بالعودة الى مدينتك وأمك ؟

(فى صباح ممطر ·· لاذع البرودة كالقسوة ·· وانا اتكوم أمام المدفأة ·· يطرق باب غرفتى ·· انها « جيسى » الممرضة ·· تسكن فى الغرفة المجاورة ·· رسالة لى ·· تضحك ·· تلك الضحكة الافريقية المميزة وانا اجذب بلهفة الغلاف الازرق كلون غرفتى المهجورة ·· رسالة لى ·· « عذبنى هروبك المفاجىء ·· قتلنى ·· اكتب لك وانا على فراش المرض ·· انا امك ·· رعيتك منذ وفاة والدك وانت فى الثانية من عمرك ·· رفضت كل عروض الزواج وانا الجميلة ·· لاحتفظ بك وامنحك الحب كله ·· عودى ·· انى اتوسل اليك ·· انت وحيدتى ·· وملجاى ·· وسلوتى ·· عودى انى اتوسل ·· يمكننا اصلاح كل شىء ·· انى أعدك » · اصلاح كل شىء ·· اخدع رجلا آخر ·· كما خدعنى الرجل الذى احببت) ·

ـ يجب أن تفكرى بالعودة ··· لا يمكن أن تقضى عمرك كله فى مدينة باردة وغريبة ·

ـ آه ·· سأفكر بالعودة ·

(تنداح الموسيقى الحزينة فى انفاس مبللة بحزن فريناندو ووحدة امى ·· يعد يده ·· يسقط الشال ·· يتدفق شعرى كعزمة شمس لاهبة ·· يحتضن أطرافها ·· يلثمها بعينيه) ·

المرأة في العالم

صدق أو لا تصدق ··

٤٩ر٩ في المائة من سكان العالم من النساء ، وتعيش من هذا الرقم نسبة ٧٠ في المائة في الدول النامية !

والبحوث الدولية تؤكد ان عدد العاملين في العالم وصل الى بليون و ٦٣٧ نسمة . وان ثلث هذا الرقم وبالتحديد ٥٦٢ مليون من النساء !

وقد اتضح ان النساء يشكلن ٣٤ في المائة من عدد العاملين في الدول النامية و ٢٦ في المائة من العاملين في المناطق المتقدمة !

وفي بحث عن التعليم في العالم وجدوا ان هناك ٤٦٨ مليون امراة امية من بين ٧٨٣ مليون من الاميين في كل انحاء العالم !



العدد القادم

عبّاد الشّمس

قصّة قصيرة

بقلم الأديب السّوداني : يوسف العطا

ـ لماذا أنت حريصة على صبغ شعرك باللون الذهبى ؟ أعتقد أن شعرك الاسود أكثر جمالا مع ملامحك الشرقية الفاتنة .

ـ لا أدرى .. لكنى أفضله هكذا .

ـ لماذا ؟

ـ بعد عدة أشهر من قدومى شعرت بحاجة ملحة لتغيير اللون الاسود .

ـ محاولة للتأقلم ؟

ـ لا أدرى .

(فنجان قهوة آخر .. ماريا تمازج المغنى العجوز ذا الصوت الاجش) .

ـ محاولة التحام مع مجتمع يشعرك بغربتك ؟

ـ جائز .

ـ أما تراها محاولة هروب جديدة ؟.

(يندلق فنجان القهوة على مفرش « الدانتيلا » المشرق كامسية بلا وجع .. يهرول فرينانديو بعطف يمسح يدى والمفرش وأطراف ثوبى .. آه .. أتسقط حنانك أيها الرجل العجوز) .

ـ أعتذر .. لم أقصد جرح مشاعرك .. أعتذر بصدق .

(يهمس رفيقى وعيناه تسقطان على شفتى) .

ـ لم يحدث شيء .

(يدس ذراعه خلف عنقى .. يداعب وجنتى .. تقترب أنفاسه .. أشيح بوجهى).

ـ لماذا أنت مكتئبة هذا المساء .. أعدك بأن أملأ حياتك فى أيامنا الاخيرة هذه بالفرح والسعادة وساكتب لك دائما .

ـ .....

(أمزق الرسالة العشرين .. عاجزة عن الكتابة .. الساعة الثانية صباحا .. أمامى ثلاثون دقيقة فقط لاكتب رسالة الوداع لامى والعق بالطائرة .. الجو خانق .. افتح النافذة .. صبى يجمع أعقاب السجاير المتناثرة فى الشارع .. وآخر يعدو معتضنا صعف الصباح .. صوت طفل ياتى باكيا من بعيد .. وقرقعة العاقلات تثير السام والخوف فى نفسى .. اكتب الرسالة من جديد .. أحمل حقيبتى .. ألقى النظرة الاخيرة على أمى .. أغلق الباب بهدوء .. أعدو فى الشارع .. تسبقنى دموعى .. كشلال تطمرنى .. وأختنق) .

ـ لماذا هذا الصمت ؟

ـ يجب أن أعود الآن للمنزل .

ـ الآن .. لم نتناول العشاء بعد .

ـ لست جائعة .

(قرقعة العاقلات تثير السام والخوف فى نفسى) .

ـ لماذا تتعجلينى العودة ؟ متى أراك فى الصباح ؟ أمامنا يوم حافل ومبهج .

ـ يجب أن أسرع بالخروج الآن .. الوقت ضيق .

(والزمن لا يتوالد كالفئران .. بل يموت .. ونتلاشى نحن) .

ـ لقد أعددت حقيبتى للسفر .. يجب أن أكون فى المطار خلال ساعات ثلاث .

(تنمو من جديد ظلال الحيرة على وجهه) .

ـ حقيبتك .. المطار .. لا أفهم ..!!

ـ قررت الهجرة الى كندا للعمل والدراسة هناك .. أنهيت الاجراءات منذ أيام .. وسارحل هذا المساء .

(يغفو المساء .. تزحف الرمال .. تواصل القلاع العشب من حقولى .. وينبت الصبار) .

أم أكثم

درويش مصطفى الفار

بحث عن سيناء

أين دك الجبل وخر موسى صعقا؟

الاســـم من أيـن ؟

وردت كلمة « سيناء » فى أسفار العهد القـــديم من الكتاب المقدس كما يلى :

١) فى سفر الخروج : فى الجملة الاولى من الاصحاح السادس عشر ، والاولى ، والثانية ، والحادية عشرة ، والثامنة عشرة ، والعشرين ، والثالثـــة والعشرين ، والرابعة والعشرين ، والسادسة والعشرين ، من الاصحاح التاسع عشر ، وفى الجملة الثامنة عشرة من الاصحاح الحادى والثلاثين ، وفى الجملة الثامنة والرابعـــة والتاسعة عشرة والثانيـة والثلاثين ، من الاصحاح الرابع والثلاثـــين .

٢) فى سفر اللاويين : فى الجملة الثامنة والثلاثين من الاصحاح السابع وفى الجملة الاولى من الاصحاح الخامس والعشرين وفى الجملة الرابعة والثلاثين من الاصحاح السابع والعشرين .

٣) فى سفر العدد : فى الجملة الاولى من الاصحاح الاول والجملة الاولى والرابعة عشرة من الاصـــحاح الثالث ، وفى الجملة الاولى والخامسة من الاصـــحاح التاسع وفى الجملة الثانية عشرة من الاصحاح العاشر وفى الجملة الرابعة والعشرين من الاصحاح السادس والعشرين وفى الجملة السادسة من الاصحاح الثـــامن والعشرين وفى الجملة الخامسة عشرة والسادسة عشرة من الاصحاح الثالث والثلاثين .

٤) سفر التثنية : فى الجملة الثانية من الاصحاح الثالث والثلاثين وهى التى تقول « وقال جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم » .

٥) سفر القضاة : فى الجملة الخامسة من الاصحاح الخامس .

٦) سفر نحميا ، فى الجملة الثالثـــة عشرة من الاصحاح التاسع .

٧) سفر المزامير فى الجملة الثامنة من الاصحاح الثامن والستين « وهى التى تقول » الارض ارتعدت والسموات ايضا تقطرت أمام وجه الله سينا نفســـه من وجه الله .....

ثم ورد ذكرها فى كتب العهد الجديد كما يلى :

١) أعمال الرسل : فى الجملة من الاصحاح السابع التى تقول « ولما كملت أربعون سنة ظهر له ملاك الرب فى برية سينا فى لهيب نار عليقة » .

٢) رسالة النبى بولس لاهل اغلاطية : فى الجملة الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين من الاصحـــاح الرابع وفيهما :

« وكل ذلك رمز لأن هذين هما العهـدان احدهمـــا من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر لان هاجر جبل سيناء بالعربية » .

وذكر كلمة « حوريب » كمرادف لكلمة « ســيناء » فى الكتاب المقدس كما يلى :

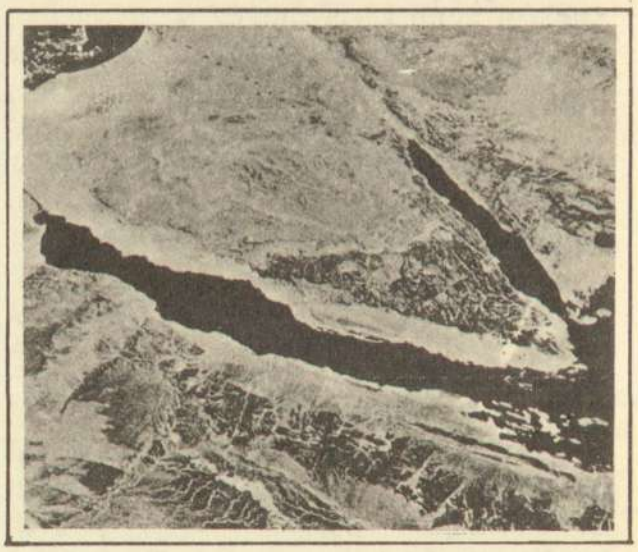
١) سفر الخروج : ، فى الجملة الاولى من الاصحاح الثالث والسادسة من الاصحاح الاول والعـــاشرة من الاصحاح الرابع والثانية من الاصحاح الخامس والثامنة من الاصحاح التاسع التى تقول « حتى فى حـــوريب أسخطتم الرب ففضب عليكم ليبيدكم » والسادسة عشرة من الاصحاح الثامن عشر والاولى من الاصحاح التاسع والعشرين .

٣) سفر الملوك الاول : فى الجملة التاســـعة من الاصحاح الثامن وفى الجملة الثامنة من الاصـــحاح التاسع عشر .

٤) سفر الايام الثانى : فى الجملة العاشرة من الاصحاح الخامس .

● جاء ذِكر سيناء فى القرآن الكريم مرّتين : فى سُورَتى "التّين" و "المؤمِنُون".

● سيناء مشتقة من كلمة سين .. ومعناها "إله القمر" فى الدّيانات الوثنية البائدة.



٥) سفر المزامير : فى الجملة التاسعة عشرة من الاصحاح السادس بعد المائة ٠

٦) سفر ملاخى : فى الجملة الرابعة من الاصحاح الرابع ٠

ولم ترد كلمة « حوريب » فى كتب العهد الجديد ٠٠

ثم وردت كلمة « سين » فى العهد القديم كما يلى :

١) سفر الخروج : فى الجملة الاولى من الاصحاح السابع عشر ٠

٢) سفر العدد : فى الجملتين الحادية عشرة والثانية عشرة من الاصحاح الثالث والثلاثين ٠

٣) سفر حزقيال : فى الجملتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من الاصحاح الثلاثين وهما تقولان ٠

« واسكب غضبى على سين حصن مصر واستأصل جمهور « نو » واضرم نارا فى مصر ٠ وسين تتوجع توجعا « ونو » تكون للتمزيق ٠٠٠٠ »

ولم ترد كلمة « سين » فى العهد الجديد ٠٠

كذلك نجد فى (سفر أشعيا) من العهد القديم نص الجملة الثانية عشرة من الاصحاح التاسع والاربعين يذكر كلمة (سينيم) هكذا : « هؤلاء من بعيد ياتون وهؤلاء من الشمال ومن المغرب وهؤلاء من أرض سينيم » ٠

وبعد ذلك نجد كلمة « صين » كما يلى :

١) سفر العدد فى الجملة الحادية والعشرين من الاصحاح الثالث عشر وفى الجملة الاولى من الاصحاح العشرين وفى الجملة الرابعة عشرة من الاصحاح السابع والعشرين وفى الجملة السادسة والثلاثين من الاصحاح الثالث والثلاثين وفى الجملتين الثالثة والرابعة من الاصحاح الرابع والثلاثين ٠

٢) سفر التثنية : فى الجملة الحادية والخمسين من الاصحاح الثانى والثلاثين ٠

٣) سفر يشوع : فى الجملتين الاولى والثالثة من الاصحاح الخامس عشر ٠

هذه الكلمات الخمس التى وردت فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد سيناء ، وحوريب ، وسين ، وسينيم ، وصين ، كلها تحوم حول تخوم مصر الشمالية الشرقية مقترنة بموضوع خروج سيدنا موسى بمن تبعه من الموحدين الهاربين من عبادة الاصنام فى مصر أبان القرن الثالث عشر قبل الميلاد ٠

ومن المحتمل أن التفكير فى اطلاق اسم « سيناء » على القسم الشمالى الشرقى من مصر جاء نتيجة لهروب المسيحيين الاوائل الى الصحارى ومنها جنوب سيناء بدينهم من بطش الرومان وطغيانهم ثم نتيجة اهتمام المتدينين من المسيحيين الاول بتحقيق ما جاء فى الكتاب المقدس :

١) نعلم ان القديسة هيلانه أم القيصر قسطنطين الاكبر قد اعتنقت المسيحية (٢٥٠ ـ ٣٣٠ م) وبنت فى بيت المقدس كنيسة شهيرة ، ودفعتها شدة تدينها الى البحث عن جبل سيناء وحوريب فاشار عليها خبراء امبراطورية ابنها آنذاك بزيارة منطقة (دير كاترينا) الحالية استنادا الى ما ذكره (ديودور الصقلى) المؤرخ المعروف (سنة ١٠ ق ٠ م) عن وجود كتابات (سريانية) على الصخور فى تلك المناطق كان قد اشار اليها كل من المؤرخ (اجاثا رشيدس) (سنة ١٦٠ ق ٠ م) والرحالة (ارتيميدوروس) (سنة ١١٠ ق ٠ م) ظنا منهم انها تتعلق بسيدنا موسى عليه السلام ، فزارت هيلانه تلك البقاع وبدا ترجيح الظن انها مناطق الوصايا العشر وتجلى الرب لموسى عليه السلام ٠

٢) تلا ذلك (سنة ٤٠٠ م) رحلة الحاجة « اثيريا » الاسبانية الى تلك المناطق ايضا بحثا عن « سيناء »

٣) ثم جاءت رحلة « كوزماس » الباحث الهندى المسيحى (سنة ٥١٨ م) الى تلك البقاع فى صحبة من اكدوا له أن منطقة جنوب سيناء هى مكان (سيناء وحوريب) وان النقوش هى نقوش اتباع موسى عليه

٤) وتوج هذا كله بما قام به الامبراطور (جستنيان) اذ بنى ديرا للرهبان والنساك (سنة ٥٢٧ م) وسماه دير طور سيناء ، حيث هو اليوم تخليدا لذكرى زوجته الفاتنة « تيودورا »

ومنذ ذلك التاريخ اصبح المتواتر عرفا الى اليوم أن (سيناء وحوريب) الكتاب المقدس هما هنالك فى قلب الجنوب الجبلى من محافظة سيناء

ولم يؤثر عن الرومان فى خرائطهم العديدة اطلاق اسم سيناء على هذه البقعة من مصر ٠ انما سموها أرابيا بتيرا

وخلال القرون منذ بنى جستنيان دير طور سينا

لا جواب على السؤال :

أين ذلك الجبل وخر موسى صعقا ؟ ولم يستطع أحد أن يثبت حتى الآن اثباتا علميا قاطعا أن سيناء وحوريب الواردتين فى الكتاب المقدس (وسيناء وسينين والطور) الواردة فى القرآن الكريم ، تقع فى هذه المحافظة الخامسة والعشرين من البلاد

اله القمر

« سيناء » مشتقة أصلا من كلمة « سين » ومعناها « اله القمر » فى الديانات الوثنية البائدة التى كانت شائعة فى بلاد بابل وآشور (قبل سنة ٢٠٠٠ ق ٠ م) وكانت الكلمة باللغة الاكادية القديمة (زو ـ أين) وتكتب مقلوبة (أين ـ زو) وترمز للقمر بانه « رب الحكمة » وكان مركز هذه الديانة القمرية فى « حران » وفى منطقة الحدود بين العراق وسوريا وكذلك لدى الحيثيين فى تركيا والاناضول ٠ وكانت هذه الديانة تقوم على ثلاثة آلهة « شمس » رب الشمس و « عشتار » كوكب الزهرة المعروف و « سين » هذا الذى نحن بصدده ٠

وكان الاله « سين » يصور على هيئة شيخ وقور ذى لحية طويلة وعلى رأسه عمامة ذات قرون يتوجها فوق الجبهة هلال ، وهذا ثابت فى أثر من آثار الملك البابلى « او ـ نعمو » سنة ٢١٣٠ ق ٠ م كما ان وجود الهلال فى تاج الملك « سنفرو » تاسع ملوك الاسرة الثالثة المصرية دليل على تبادل احترام المعبودات بين مصر وبابل ، وقد تحول الهلال الى رأس (بقرة ذات قرنين) يصنعان معا شكل الهلال فى تمثال الملك السادس من الاسرة الثانية عشرة « امنمعت الثالث ») ١٨٤٠ ـ ١٧٩٢) ٠٠

وقد بلغت عبادة القمر فى بابل شأوا عظيما حتى أن أسماء كثير من ملوك بابل وآشور كانت تحمل كلمه (سين) نذكر على سبيل المثال : (أبيل ـ سين) و (سين موباليت) وهما اللذان سبقا حمورابى العمورى

لم يكملوا تعليمهم

● جوزيف تشمبرلين رجل السياسة البريطاني ٠٠٠ غروفر كليفلاند رئيس امريكي ٠٠٠ جوزيف كونراد كاتب انجليزي ٠٠٠ خليل جبران كاتب ورسام لبناني ٠٠٠ ارنست همنجواي كاتب امريكي ٠٠٠ ابراهام لنكولن رئيس امريكي ٠٠٠ جون د٠ روكفلر مليونير امريكي ٠٠٠ اليانور روزفلت كاتب ومحاضر امريكي ٠٠٠ جورج برنارد شو كاتب وناقد انجليزى ٠٠٠ ديلون توماس شاعر انجليزي ٠٠٠ هاري ترومان رئيس امريكي ٠٠٠ فريجينيا وولف كاتبة انجليزية

● الشجَرة هى الـزيتونة .. والطور هو الجبل الذى به شجر . وكذلك طور سيناء وطور سينين .



صاحب الشرائع المشهورة (حوالى سنة ١٧٠٠ ق ٠ م) وقد عاصر حمورابى نفسه ملك « لارسا » المسمى (ريم ـ سين) وهزمه فى احدى الحروب فاصبح بذلك سيد العراق جميعا ٠

ويرجح العلماء أن المعبد الذى اكتشف بين اطلال أريحا القديمة بفلسطين والذى يرجع تاريخه الى سنة ٦٠٠٠ ق ٠ م كان معبدا للاله « سين » ويرجحون ان اسم أريحا باللغة الكنعانية « يريحو » معناه مدينة القمر ٠

وكان الآراميون كذلك يعبدون القمر ويسمونه (سهر) وربما كانت هذه الكلمة مصدر كلمة « شهر » العربية اذ أن الشهر لدى العرب قمرى ، كما كان الانباط (فى القرن الرابع قبل الميلاد) يعبدون آلهة القمر ويسمونها (اللات) ، واستمرت عبادة اللات حتى ظهر الاسلام واكتشف الباحثون فى « تيما » بشمال الجزيرة العربية حجرا منقوشا باللغة الارامية ترجع كتابته الى القرن الخامس قبل الميلاد وفيه اشارات الى الاله « سين » باسم « شين ـ جالا » أى سين الاعظم وكان للفراعنة صنم يسمى « تحوت » وآخر لاهل سبا أصحاب سد مأرب المشهور يسمى « الموقاة » يرمزان للقمر وعبادته ٠

وكان لسكان شمال افريقيا آلهة تسمي « تانيت » أو آلهة الطبيعة وام الارض وهى على هيئة تمثال قبيح المنظر يشبه أبا الهول ولها رسوم على مسلات قرطاجنة كامرأة تتعلى بهلال ٠

وموضوعنا اليوم أن السؤال الصعب هو : من أين وكيف انطبع اسم المعبود البابلى سين على محافظة سيناء ؟ يقول بعض الباحثين انهم اكتشفوا آثار معبد فوق سطح جبل « حمام فرعون » الى الشمال من « أبى زنيمة » يظنون انه كان خاصا بعبادة الآله « سين » « آله القمر » ٠

ثم أن كلمة حوريب المرادفة لكلمة (سيناء) فى الكتاب المقدس ترجع أساسا الى جبل كان نفر من العرب الانباط يسمون « الكينيون » يعتقدون أن آلههم « يهواه » يسكن فيه وكان هؤلاء الناس يعيشون فى شمال غرب الجزيرة العربية وعلى تخوم محافظة سيناء الشرقية وجنوب الشام ، آى أن جبل (حوريب) كان معروفا قبل كتابه العهد القديم

ومن الثابت ان الديانات الوثنية القديمة كانت تقدس الاماكن المرتفعة وتعتبرها مساكن للآلهة ومواطن لتقديم الضحايا من البشر والقرابين من الحيوانات ارضاء لتلك الآلهة المزعومة ٠٠ فهل ترجع قدسية جنوب سينا أصلا الى قرون عديدة خلت قبل الاديان السماوية المعروفة لرهبة جبالها وعظمة قممها ؟

سيناء في القرآن الكريم

١) جاء ذكر سيناء فى القرآن الكريم مرتين ، احداهما فى سورة « والتين والزيتون وطور سينين » ، ويروى أن سيدنا عمر بن الخطاب كان يقرأ فى صلاته « والتين والزيتون وطور سيناء » والمرة الثانية فى الآية العشرين من سورة « المؤمنون » القائلة « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » ٠

٢) جاء ذكر كلمة « الطور مقصودا بها طور سيناء » فى عشرة مواضع من القرآن الكريم ، كلها فيما عدا الآية الثانية من سورة « التين » والآية العشرين من سورة « المؤمنون » مذكورة فى الآيتين الثالثة والستين والثالثة والتسعين من سورة « البقرة » ، وفى الآية الرابعة والخمسين بعد المائة من سورة « النساء » وفى الآية الثانية والخمسين من سورة « مريم » وفى الآية الثمانين من سورة « طه » وفى الآيتين التاسعة والعشرين والسادسة والاربعين من سورة « القصص » وفى الآية الاولى من سورة « الطور » ٠

٣) كذلك جاء ذكر « الجبل » في القرآن بما يفيد انه جبل طور سيناء فى سورة الاعراف فى الآية الثالثة والاربعين بعد المائة : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك ، قال لن ترانى ، ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين » ٠

وقد اتفق علماء تفسير القرآن الكريم على أن « سينين » هى « سيناء »

١) القرطبى :

أ) قال فى تفسيره لسورة « المؤمنون » طور سيناء هو الجبل الذى بارك الله فيه وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، والطور الجبل فى كلام العرب

ب) وقال فى تفسيره لسورة « التين » روى ابن نجيح عن مجاهد طور معناها جبل وسينين كلمة سريانية معناها مبارك وقال ابن عباس الطور هو الجبل وسينين معناه حسن ، وقال قتادة سينين هو المبارك الحسن ، وقال مقاتل والكلبى فى سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط ٠

٢) البيضاوى :

يقول فى تفسيره ان طور سيناء هو جبل موسى ويقع بين مصر وايله وقيل بفلسطين ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التانيث على تاويل البقعة وهو من السناء بالمدأى الرفعة وبالقصر أى النور ، وان سينين وسيناء شىء واحد وهو الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه ٠

٣) ابن كثير :

يقول فى تفسيره لسورة « المؤمنون » الشجرة هى الزيتونة والطور هو الجبل الذى فيه شجر ، وطور سيناء وطور سينين بمعنى واحد هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التى فيها شجر الزيتون ٠

٤) ابن منظور :

يقول فى قاموسه « لسان العرب » ان الطور هو الجبل وطور سيناء جبل بالشام وهو بالسريانية (طورى) والنسب اليه طورى وطورانى ، والطور فى كلام العرب الجبل وسيناء الحجارة وقيل انه اسم مكان ٠ ثم ينقل عن الفراء قوله ان الطور هو الجبل الذى بمدين (خارج محافظة سيناء) الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام ٠ ثم نجد ابن منظور والفيروزبادى فى قاموسيهما يذكران تحت كلمة «الزبير» انه اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، ومن العجيب ان أعلى قمم جبل كاترينه وهى أعلى قمة مصرية (٢٦٤١ مترا فوق البحر) يسميها البدو اليوم (جبل الزبير) ايضا بفتح الزاى وكسر الباء ٠

بين بابل وسيناء

ليس من المؤكد أن اشتقاق كلمة « سيناء » التى فى الكتب السماوية جاء من « سين » اله القمر البابلى وذلك لبعد الشقة بين بابل ومحافظة سيناء من ناحية ، ومن الناحية الثانية لان اله القمر ذلك البابلى الاشورى اتخذ أسماء اخرى منها « سهر » ونانار « وريعو » « وشنجال » ومن الناحية الثالثة انه ليس هنالك برهان علمى كامل على أن سكان سيناء القدامى كانوا يعبدون القمر بدرجة تجعل شمال شرق مصر هو « سيناء » بينما لا يخلع هذا اللقب على مقاطعة فى العراق أو سوريا مثلا

ولقد يكون من الارجح أن معنى « سيناء » الواردة فى الكتب السماوية هو الحسن أو المشجر أو « المبارك » كما قال بعض مفسرى القرآن الكريم ٠

ثم ان ورود كلمة « سين » فى سفر حزقيال بمعنى أنها حصن مصر جعل بعض الباحثين يظن أن المقصود بها حصن « بلوزيوم » أو الفرما وهذه لم تكن لها علاقة فيما نعلم ، بعبادة القمر بل أن رمزها فى مصر القديمة كان فرس النهر ٠

كما أن تتبع ما جاء فى سفر العدد بشأن مراحل ومحطات خروج سيدنا موسى من مصر ومنها سين وسيناء وصين وبحر سوف ، قد حير الباحثين من قبلنا حيرة لن تجد حلا علميا الى الابد ، فعلى سبيل المثال : نجد أن بحر « سوف » الذى عبره موسى عليه السلام الى برية سين وجبل سيناء يكون مرة عند مشارق بورسعيد الجنوبية ثم ينتقل فجاة الى الساحل الغربى لخليج السويس عند الزعفرانة ، وأحيانا يكون بحيرة التمساح أو البحيرات المرة الكبرى أو سبخة البردويل ، آراء غير مستقرة ولن تستقر بل ان الجملة السادسة والعشرين فى الاصحاح التاسع من سفر الملوك الاول تؤكد أن (بحر سوف) يقع عند خليج العقبة أى أن « سيناء »



العدد القادم

سيناء أرض مصرية منذ ما قبل التاريخ

بقلم: درويش مصطفى الفار

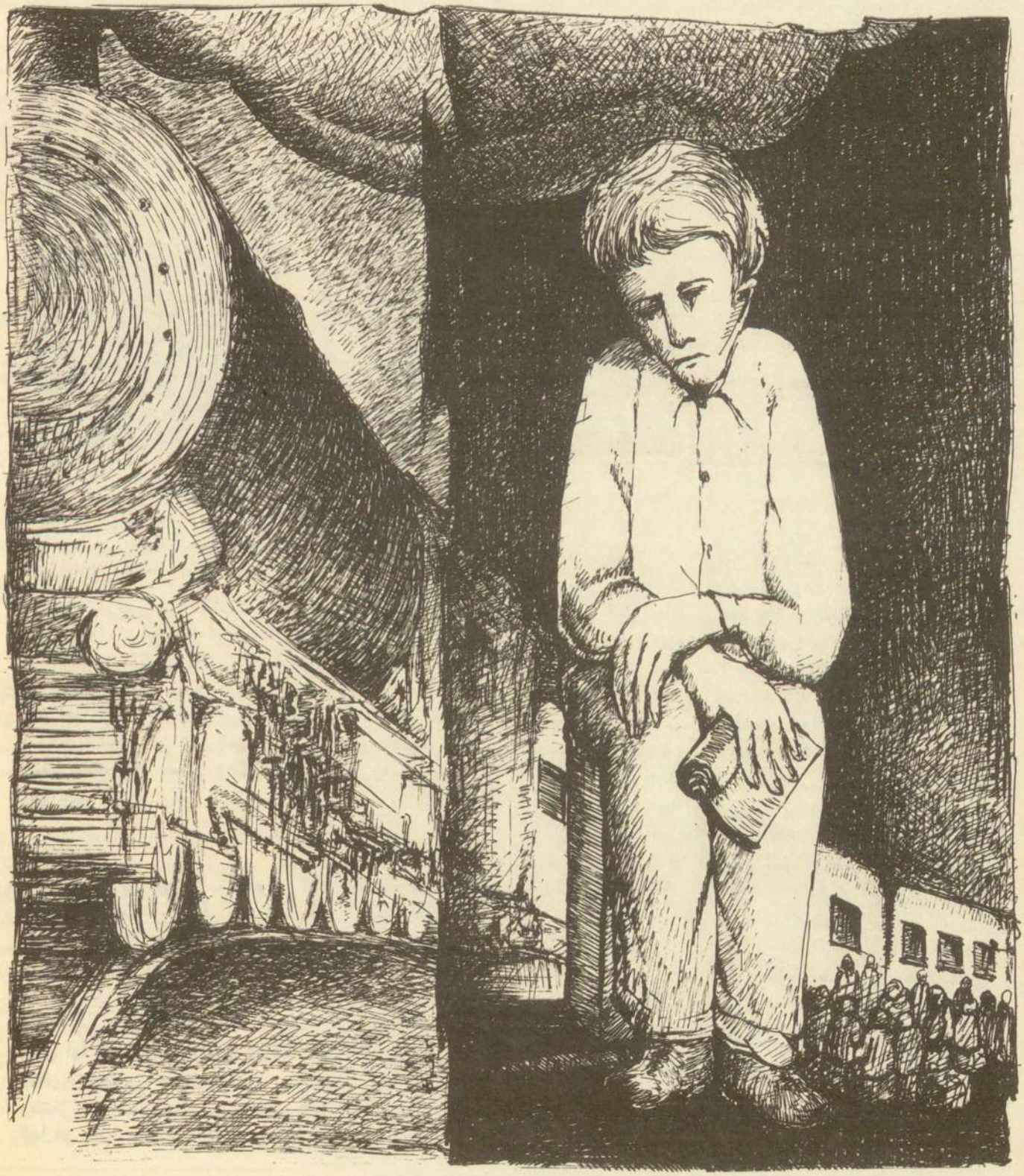
المقصودة فى العهد القديم وما تلاه من الكتب السماوية تقع خارج محافظة سيناء المصرية .

كما أنه ليس فى الكتاب المقدس تفريق واضح بين « حوريب » وسيناء معنى ومكانا ، وهذا ما حدا بكثير من الباحثين وأنا منهم الى انكار وجود جبل سيناء المقدس فى محافظة سيناء المصرية على الاطلاق واعتباره أحد قمم جبال الشراة شرق خليج العقبة أو احدى القمم الى الشمال الشرقى من هذا الخليج أو حتى عند « البطراء » حيث هناك واد يسمى وادى موسى وجبل يطلق عليه اسم جبل هارون وآخر يسمى جبل هور أو حور .

جبل الحلال

وحتى الذين يقولون بوجوده فى تلك المحافظة مختلفون كل الاختلافات فى الموقع فهو عند قوم « جبل الحلال » فى شمال سيناء وعند آخرين جبل أم شومر أو جبل سربال أو جبل كاترين أو جبل موسى أو رأس الصفصافة أو جبل أم علوى فى جنوب المحافظة . وكل المواقع التى وردت فى سفر العدد عن قصه سيدنا موسى عليه السلام ليس لها أى ذكر فى أرض محافظة سيناء الا فى خيال بعض الباحثين ممن يعتمدون او يتعمدون ، التصحيف والتخريف ومحاولة الباس اللفظ ثوبا غير ثوبه الاصلى كما هو حادث مثلا فى الظن بأن وادى فيران هو « فاران » والحضيرة هى « حظيرات » وعين قديس هى « قادش برنيع » وكل هذا كلام وتصورات ليس لها من سند علمى يقينى مؤكد ، ولكن العلم اليقينى المؤكد عندنا ، مع كل الاحترام والاجلال لكل ما جاء فى الكتب السماوية عن « سيناء » من معان سامية ، هو أن تلك المساحة من الارض التى تبلغ واحدا وستين الف كيلو متر مربع من السباخ والرمال والحجارة والصخور ، والوديان والتلال والهضاب ، والجبال الشامخات ، والتى تسمى اليوم لدى الجغرافيين بعد حفر قناة السويس « شبه جزيرة سيناء » أو محافظة سيناء والتى كانت تنقسم فى القرون السابقة لحفر القناه الى منطقة « الجفار أو رمل مصر أو صحراء البرزخ فى شمالها الرملى » ومنطقة « التيه » فى الوسط الحجرى الرسوبى ومنطقة « طور سيناء » فى الجنوب الصخرى السامق الذرى ، هى أرض مصرية عربية منذ بدأ الانسان يعيش على هذه الارض . أى أن قدسية محافظة سيناء العربية المصرية لا ترجع عندنا الى احتمال انها أرض الالواح والوصايا العشر ولكن لانها تراب عربى مصرى لابد وأن يعود ، كما ولابد أن يعود كل شبر من أرض العروبة الى أهله وأصحابه .... طال الزمان أم قصر ...

درويش مصطفى الفار



ابواب الليل.. ابواب النهار

قصة بقلم
عبد الرحمن مجيد الربيعي

- ١ -

يصفر قطار متباطىء طويل · قادم من هناك ، من تلك اللجج المدلهمة السوداء التي تحيل المدى الصحراوي الى كابوس يصعب الانعتاق منه · وكان الركاب المنتظرون مبعثرين على الارض · يجلس بعضهم على حقائبه ، وآخر فوق حجرة لا أحد يدري من جاء بها الى هذه الارض الجائعة · وبداوا يتحركون ليجمعوا حوائجهم ، ومازال قسم منهم يمضغ طعامه الذي لا يمكن ارجاعه الى احدى الوجبات الثلاث التي اعتاد الناس تناولها وأخذ بائع الشاي يجمع أوانيه بسرعة والركاب ينقدونه الثمن ·

الساعة تقترب من العاشرة ليلا ، عرفت هذا بعد ان القيت نظرة على عقربي ساعتي اللاصقين ، انتزعت جسدي من فوق حقيبتي الصفيحية التي تضم ملابسي ومجموعة من كتبي الجامعية اضافة الى قصة عاطفية ذات غلاف ملون فكرت انني سأذاق ليلتين في قراءتها ومعايشة احداثها متمنيا ان اعيش تجربة شبيهة بتجربة بطلها ، فعمري قد تجاوز العشرين وما زالت امي المرأة الوحيدة التي عرفتها عن كثب وكلمتها اكثر من اي انسان آخر على وجه الارض ، أما ما عداها فلم اعرف امرأة ، امي التي طوقتني بتلك العاطفة النادرة ، أغرقتني بها ، واشعرتني بانني مازلت ذلك الصبي الذي تمسك به من يده بقوة وهي تعض عباءتها حتى لا يطيرها الهواء ، وتراقب الشارع بعينين حذرتين حتى تتأكد من خلوه ، ثم تسرع لاهثة بجسمها الناحل المطول الذي لا ادري كيف استطاع ان يختزن ذلك الحب النادر المتفاني · وبعد ان نعبر تسلمني حقيبتي التي خاطتها من قماش ثوب قديم يعود لوالدي ، وتعلن متنفسة بارتياح :

- الله معك ، انتبه الى طريقك ، الى دروسك ، اياك والشجار ، اسمع كلام معلميك .. لا ..

نصائح ونواه كثيرة تصبها، ثم تراقبني وانا أدلف الى مبنى المدرسة ، وتظل واقفة هناك ، مغروسة في الحر ، مغروسة في البرد ، لا تتأخر عن موعد ، ولا تفكر انني قادر على ان افعل كل شيء بنفسي، وبعد ان تسمع رنين الجرس تقفل راجعة الى بيتها ·

كانت اما رائعة تلك ، لكن من يعيد لي وجهها الضائع ؟ من يعيد لي ايامها وحكاياها ؟ لقد سحقتني واودعت في قلبي خنجرا منذ موتها ، حملوها الى قبرها في تلك الارض البعيدة ، وحشرت مع ملايين الاموات ، بكيت اياما ثم اخذت انسحب من مواقع تلك الذكرى · تأخذني دروب وهموم اخرى ، ملعون هذا الراس كيف تسنى له ان يبرأ من تلك الحكايا ؟ وهذا القلب اية صخرة صلدة حلت مكانه ليكف عن الوجيب ، وتخفت في حناياه جراح الشوق الى ذلك الوجه الذي حرمت منه ؟

يقترب القطار الطويل · همهمة الركاب، وصراخ الاطفال ، لغط يتكثف وصفير يشق صمت الصحراء ، وعندما توقف فتحت ابوابه وبدا يوم الحشر ·

ظللت متمهلا انا وحقيبتي وسيكارة ادخنها بلا اشتهاء واحاذر من ان ابتلع دخانها حتى لا ينفجر صدري بالسعال ·

تململ رجل عجوز وهو يراقب ما يجري ايضا من تدافع بالمناكب وحقائب تصعد بالايدي وعلى الرؤوس وفوق الاكتاف ، وصرر كبيرة واقفاص واكياس ، اطفال وشيوخ ، جنود وطلبة ، رجال حاسرو الرؤوس وآخرون بيشاميغ وعقل سميكة ، نساء بعباءات سوداء وخرفان صغيرة ضمنت انها نذور تحمل الى مراقد الائمة في النجف وكربلاء ·

التفت الي الرجل العجوز وقال :

- القطار يأتي محملا من البصرة ، لا أحد يفكر بالركاب هنا ، الناصرية وحدها تحتاج الى قطارين في اليوم · وأرد عليه :

- ليس امامنا غير الوقوف ، مهما تدافعنا لا مكان لنا وسط هذا الزحام ·

وكان الرجل العجوز قد اطمأن الى حديثي واقترب مني اكثر ، وأخذ السيكارة من يدي ليؤرث بها سيكارته التي لم انتبه اليه عندما استخرجها وغرسها في فمه ·

واضاف :

- يقولون ان الحكومة ستنشيء سكة حديد جديدة تمر بالناصرية راسا ، ولا

نحتاج لهذا الانتظار في اور ؟ وهززت راسي وانا اجيب :

ـ صحيح ، ولكن لا احد يدري متى سيتم ذلك ؟ وبعد ان اخذت نفسا من سيكارتي واصلت القول :

ـ ستمر سكة القطار من وسط الاهوار ويتساءل وهو غير مقتنع بما تفوهت به :

ـ كيف تمر السكة بالاهوار ؟

ـ حتى يكون الطريق اقرب ولا يحتاج لكل هذه الدورة الطويلة ·

ـ ولكن الاهوار عميقة فكيف تمر عليها سكة الحديد ؟

ـ وهل هناك من مشكل ؟ يدفنون الارض بالصخر وابوك الله يرحمه ، يا عمي ، الم تسمع ان الناس في امريكا وروسيا يحاولون النزول على القمر ؟ فهل يجدون صعوبة في مد سكة حديد وسط الهور ؟

ويزداد استنكاره لما تفوهت به حيث يتمتم بكلمات لم اسمعها جيدا ثم يطلق صوته عاليا مستغفرا ربه على هذا الكفر الذي سمعه مني ، ويقول :

ـ سيقلب الله الدنيا بنا ،صاحب الزمان سيخرج ، عمي انت ولد شاب فما حاجتك لمثل هذا الكلام ؟ الناس ستنزل على القمر ؟ استغفر الله !

ويحمل صرته على كتفه ويبتعد عني وهو يتلفت بين فترة واخرى ليتاكد من انني لا اتبعه ، فكانني وباء يخافه ·

اطلقت ضحكة عالية ثم انحنيت لاحمل حقيبتي واخطو نحو باب القطار ·

ـ ٢ ـ

وقفت قرب النافذة وحقيبتي جواري ارفع ساقي اليمنى لاضعها عليها ثم استبدلها باليسرى ، وهكذا اراوح لئلا يتسرب الخدر الى قدمي فما زال امامي طريق طويل ، والمسافة مابين « اور » و « بغداد » تحتاج الى ساعات طوال ، حيث ينزل ركاب ويصعد اخرون ، يتوافد باعة ومتسولون وقراء بخت باسراب لا تنتهي ، حركة وصفير ، ينطلق صوت بغناء ، واخر بنواح ، لا احد يفكر بمن معه في هذه العربة المثقلة التي تختض بانوارها الخافتة ماضية ببطء الى محطتها الاخيرة ·

هذه « اور » اذن ، صحراء بلا نهاية، ورمل بارد نقي ، في النهارات القائظة يتحول الى جحيم لاهث ، وفي ايام القر الى درجة توغل في العظام ، لا شجر ، ولا نهر ، ولا حتى نخلة صغيرة ، فهذه الرمال تاكل كل شيء ولا تبقي الا على هذه البيوت الوطنة المشيدة من الطابوق لتاوي عمال المحطة وبعض موظفيها · واتساءل بحيرة : وتلك الحضارة القديمة كيف ولدت هنا ؟ كيف انبثقت حضارة « سومر » وسط هذا الخلاء المميت الذي لا يحتضن غير الثعالب وبنات آوى والثعابين ؟

يتوقف التساؤل في صدري وابتلعه بغصة ، بقايا ذلك المجد مجرد تل صغير ، محاط بالرمل ايضا ، رايته مرة واحدة عندما كنت في المدرسة الابتدائية حيث اصر مدرس التاريخ على ان ياتي بنا الى هنا ، جمعنا من كل طالب ربع دينار ، وجلبنا معنا صررا مليئة بالخبز والبيض المسلوق والعنب الاسود والتمر ، وحملتنا سيارة خشبية عتيقة في درب صحراوي، وقد اختار بعضنا ، الكبار خاصة ان يجلسوا فوق سطحها وهم يطلقون الاناشيد ، وكان معلمنا يوقف السائق بين فترة واخرى ليتاكد من ان الذين فوق السيارة يجلسون بهدوء ، وان لا خوف عليهم من السقوط ، اما السائق فلا ينفك يردد :

ـ لا تخف عليهم ، اولاد هذه الايام مثل الشياطين ·

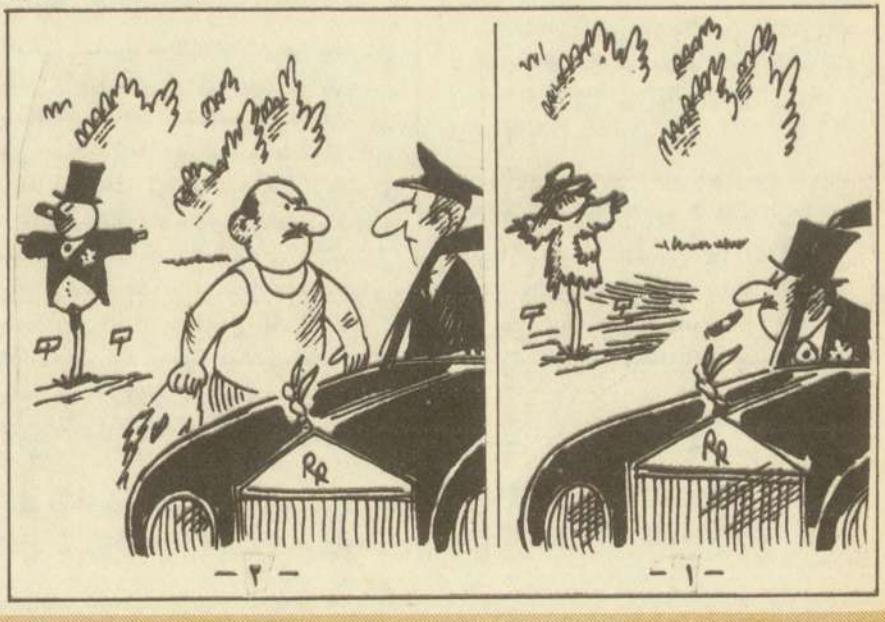
ولكنا صدمنا عندما وصلنا الى التل حيث استقبلنا حارس مصدور ، اكلت الرمال وجهه وجعلته باهتا كخرقة قديمة ، ولم نجد « شبعاد » بانتظارنا ، تلك الملكة الجميلة التي تزين كتاب التاريخ ·

واخذ الحارس يطوف بنا في المكان وهو يحذرنا من ان لا نمد ايدينا في الشقوق فالافاعي والعقارب كثيرة ، وقد انتهينا من التطواف في التل مسرعين ثم عدنا الى لهونا وطعامنا ·

اتذكر ذلك وقد مرت عليه سنوات ، فهذه الاشياء الصغيرة تبقى نائمة هناك وسرعان ما توقظها اشارة ناعمة لتنسكب طرية مثل كاس ماء في عز اللهيب · لقد انفقنا بقية وقتنا في اللعب ونسينا « اور » و « شبعاد » ، اما معلمنا فقد جلس على بساط صوفي حمله معه ، وكان لا يكف عن التثاؤب وقد اعتذر عن ذلك بانه معتاد على النوم ولو ساعة بعد الغذاء ثم يردد بسخط :

ـ لعن الله هذه العادة النجسة ·

امد راسي من النافذة ، ثمة انوار باهتة بعيدة ، لعله قطار حمل قادم من



ـ ١ ـ

ـ ٢ ـ

البصرة يجرجر عرباته الحديدية الصدئة، او سيارة تائهة ، أو لصوص ضل بهم الطريق ·

وأتساءل : اين التل الاثري ذاك ؟ وفي أية جهة هو الآن ؟ كان قريبا من المحطة كما اذكر حيث راينا سكة حديد وعربات مهملة وحديدا ملقى وعمالا يحفرون ·

وأخذ القطار يصفر ، وكان هذا ايذانا بقرب توقفه في احدى المحطات ، أمد رأسي من النافذة وأقرأ القطعة التي تتصدر المحطة الكابية لأعرف اسمها ·

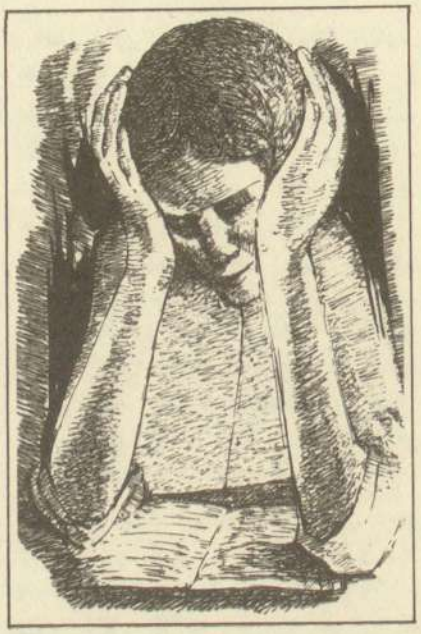
- ٣ -

اسماء كثيرة تتعاقب ، وانا مرهق . استبدل رجلا بأخرى لتستكين فوق حقيبتي الصفيحية والتي وجدت لها مكانا بصعوبة وسط الصرر والحقائب والقفف والصناديق والاطفال ·

تمر بي الوجوه والمحطات وصرخات الباعة التي تحتفظ بحيويتها رغم تقدم الليل ، وخمنت انهم ينفقون نهاراتهم في النوم والا كيف تتدفق اصواتهم بهذا الرنين الديكي ؟

انادي على بائع مبردات وأشتري منه زجاجة هي الرابعة منذ ان وقفت ، أحسست بأن معدتي تتجرح وتصطفق من انسكاب السائل البارد في جوفها الخاوي، لقد أجلت جوعي حتى يصل القطار الى محطة « السدة » لأتمتع بالقيمر اللذيذ الذي يباع بأوان فخارية ، بطبقاته السميكة وبلونه الابيض النقي ، ومعه رغيف خبز ساخن، آنذاك سيتقلص تعب الليل وسأنهي ما تبقى منه بساعتين من النوم المتواصل في القسم الداخلي ·

المحطات والناس ، الوجوه والاتعاب ، كانت امي تتحدث عن القطارات وكأنها تتحدث عن قوى خفية ، لقد عاصرت دخول أول قطار الى الناصرية ، وكان سكان القرى الواقعة على جانبي سكته يفرون منه وهو يصفر ويرسل بخاره الكثيف ليعانق الاعالي ظنا منهم انه شيطان مارد يريد ان يلتهمهم ، وبعد ان اطمأنوا اليه ترددوا في ركوبه وهم الذين اعتادوا ركوب صهوات الجياد والحمير أو المشي على أقدامهم في الفسح الطليقة · كانت



المسافات عندهم تقاس بالايام وكانت سهلة واذا ما قيل عن مكان « مسيرة يوم » فهذا يعني قربه لان هناك اماكن تحتاج الى مسيرة اسابيع ، ويهيؤون انفسهم لها بحبور ، كيس من الصوف على الظهر فيه الطعام وقربة ماء وعصا ، هذه هي عدة الرحيل ، وتكبر اللذة كلما وصلوا المكان الذي يقصدونه، وكانت القرى على الطريق تأويهم كلما تعبوا أو جاعوا، و «المضائف» التي تتصدر بيوت القرى تنادي عليهم ان انيخوا رحلكم ايها المسافرون ·

وكانت امي تتحدث عن الثواب العظيم الذي سيحصل عليه زائر المراقد المقدسة اذا ما مضى الى هناك مشيا على قدميه، وأصرت على ان تفعل ذلك حتى اواخر عمرها ، ولم يقعدها عنه الا المرض ، وكنت معها في اول رحلة لها بالسيارة الى المراقد المقدسة ، وعندما امسكت بشباك « الحسين » الذهبي اخذت تهمس بكلمات الاعتذار لانها حضرت بدون ان تكابد مشقة الطريق ·

كانت اما عظيمة ، نبتت بصدق كما تنبت عشبة في برية ، وما أروع الهدوء الذي يستكين اليه قلبي وانا اضع راسي على ركبتها لتلامس باصبعها شعري ، وتحدثني عن الناس والدنيا ، والخطأ والصواب ، واشم اريج العشبة البرية فتأخذني عوالم من الضوء والندى والصحو ·

- ٤ -

يصرخ رجل بابنه ، ينهره على عمل اقدم عليه والطفل ملموم مثل خرقة ، الوسخ يغطي وجهه ، وشعره لم يعرف المشط يوما بينما امتد خيط من المخاط من انفه ·

مدت الام يدها ، رفعت اذيال ثوب الطفل المقلم ، ومسحت انفه ، ثم طلبت منه ان يتمخط ففعل ذلك بصعوبة اذ ان البكاء ما زال ممسكا بصدره أما الاب فقد رفع عقاله ويشماغه عن رأسه ووضعهما على زنبيل جواره ، ولم يبق على رأسه غير طاقية باهتة اللون ، اركن ظهره بعد ذلك الى صرة كبيرة واغمض عينيه ·

كانت هذه العائلة تجلس على ارض القطار ، في الممر بين المقاعد ، وكان افرادها يضطرون للتحرك، خاصة الام والاب كلما مرق من المكان عابر · مفتشون ورجال شرطة وركاب يذهبون الى دورة المياه ، ولكنهم لم يبدوا اي ضيق ، فكانوا ياكلون تارة ، ويتشاجرون تارة اخرى، والقطار ماض في سيره ·

يفتح الرجل عينيه ، يمد يده في جيب « صايته » الجانبي ويستخرج كيس التبغ ويبدأ بلف السيكارة ، وعندما ينتهي من ذلك يشعلها ، ويواصل تدخينها بتمهل ·

بعد ان يفرغ الرجل من تدخين سيكارته يتكلم مع زوجته ثم مع رجل يجلس خلفه ويتزحزح حتى تمر امراة ، واخيرا يلتفت الى طفله فيحمله ويضعه على ركبته بعد ان يقبله ·

كان ابي يفعل ذلك ايضا ، يغضب مني بسرعة ويصالحني بسرعة ايضا، يضربني بيده أو بحجر أو عصا ، بالوسادة أو النعال ، بأي شيء تقع عليه يده عندما تتفجر غضبته ، وكان يفعل ذلك عندما يكون متضايقا ، يداه خاليتان ، ولم يجد ما يبيعه أو يشتريه في تجارته الكاسدة بالجلود والصوف حيث يستيقظ في ساعة مبكرة من النهار ، وبعد ان يصلي يخرج باتجاه مدخل المدينة الجنوبي المسمى بـ « باب الشطرة » ومعه عصا سميكة ،

مليئة بالحزوز ، في احد طرفيها حديدة ثقيلة وقد تثقبت من المنتصف ليدس فيها خيطا سميكا، هذه العصا هي الميزان الذي يشتري بواسطته جزز الصوف التي يحملها الرعاة والفلاحون القادمون الى المدينة للتسوق ، وعند الظهر يحمل مشترياته الى تجار الجملة في منطقة « الصفاة » ليبيعها ولو بربح بسيط · وكان يخسر في بعض الاحيان اذ يظهر تمزق في الجلد ، او وساخة في الصوف حيث يلجأ البعض الى رش الصوف بالرمل قبل بيعه حتى يثقل وزنه ·

لكن ابي تزوج بعد وفاة امي بشهر من امراة قريبة له ، وتصغره بكثير ، وهكذا تهدم شمل عائلتنا الصغيرة ، اخذت كتبي وذهبت الى بيت عمي ، ولم تبق معه غير اختي الصغرى التي سرعان ما زوجها لاول خاطب · كانت في الثانية عشرة كما اتذكر عندما تزوجت ، فكان ذلك الزواج انطفاء لها ، حيث بدا جسمها بالضمور ، وفقد وجهها الاسمر نضارته، واخذت تبدو وكانها عجوز هرمة وهي محاطة باطفالها التسعة الذين ولدوا تباعا واظنهم قد اصبحوا عشرة الان ، كانوا يحيطون بها ، واحد يرضع في ثديها واخر يمسك باطراف ثوبها وثالث يسحب عباءتها ، وهكذا ولكنها تبدو لمن يراها راضية مذعنة ، بكيت وقررت ان لا اراها بعد ·

كانت امي ـ ما اوجع ان اتحدث عن ذلك الوجه الالهي الرؤوم الذي كان ولم يعد بيننا اليوم : ـ حتى صوره فوتوغرافية لم احمل لها معي ، فهي ترى ذلك حراما، وان الصور للشياطين والكفرة ، وعندما ارادوا صورتها لتوضع في دفتر النفوس طلبت منا ان نكتب عنها محجبة ·

ولكنها في قلبي تلك الام ، ذلك الصدر العالم الواسع ، الدافيء والجميل ، اراها في وجه كل ام صابرة ، تقاتل المستحيل من اجل ان لا يلحق باولادها حيف ·

الليل ما اطوله ، وهذا القطار مابطاه، كانه يمشي على بيض ، يتوجس حتى لا يهرسه ، ما اكثر المحطات · وما اكثر الناس ، الى اين هم ذاهبون ؟ لا يوقفهم حر ولا برد ، كما لا يوقفهم ليل ولا نهار، الى اين ايها الناس ؟ لماذا لا تهجعون في مراقدكم ؟ لماذا لا تاوون الى بيوتكم ؟

يصفر القطار ، ومن النافذة التي الصق عليها خدي يلوح الشفق الاحمر ، وهو يعانق مدى واسعا لا تظهر في نهايته الا بيوت بعيدة يعلو منها دخان التنانير فاترا وكثيفا ·

وشعرت بالاطمئنان وانا اراقب المنظر انها الولادة الاولى ، ما اروعها ! كان عيني تراقبان طفلا يطلق صرخته الاولى ليثبت وجوده في هذا العالم الواسع اللا متناهي ·

ويسحرني ما اراه ، يشدني الى تلك الايام حيث كنت احمل كتبي واعبر السدة الترابية التي تمنع مياه هور «ابو جداحة» من ان تجتاح الناصرية كلها ، وكان معي اقراني ، صغار حالمون ، وامامنا الخلاء الواسع المرصع بالعشب الاخضر، وكانت معنا حيواناتنا ، مشعل معه جرو صغير ، ابيض اللون مع بقعة سوداء تحتل نصف وجهه الايمن، كان يلتصق به طول الوقت وعندما يجلس يدس راسه في حضنه ، ونادرا ما يفارقه ليتمطى ويركض قليلا مطلقا نباحه الوادع · أما انا فاخذ معي خروفي الصغير « شنان » ، واتركه يرعى وانا اراقبه بحنو ، عين عليه واخرى في الكتاب ، أما جبوري فكان يقود معه معزى عجوزا بأثداء كبيرة شدت بحمالات من القماش وعندما نستقر في مكاننا يربطها في وتد يثبته في الارض حتى لا تبتعد عن ناظريه · هذه المعزى يخافها خروفي وجرو مشعل ولا يقتربان منها اذ انها قادرة على بقر بطنيهما بقرنيها الطويلين ورأسها السميك · واكثر ما يزعجنا فيها ثغاؤها المفزع المبحوح الذي يناقض تماما ثغاء خروفي ونباح كلب مشعل حيث يعكر علينا استغراقنا في القراءة وتأملنا للمدى الساحر ·

وكان جبوري يتركها ليجلس على حافة جدول جاف ، يضع كتابه في حضنه ويمدد ساقيه على طولهما بينما يطرح نعاله على الارض جواره ·

كان جبوري طويلا ، عنقه طويل ، وكذلك ساقاه رغم عمره الذي يقارب عمري وعمر مشعل · شعره اشقر وطويل كذلك يتحرك مع ابسط هبة هواء وعيناه ممتلئتان بالهدوء والحلم، ونادرا ما ينبس بحرف فكانه قد ترك المهمة لمعزاه وثغائها· ولكن هذا الوديع تحول فيما بعد الى رجل قاس ، قاد الصدام ضد الجهات المناوئة للحزب الذي انتمى اليه ، ومازالت هذه المسالة احد الاسرار التي يصعب على ادراك كنهها ·

ان تلك الايام يظل وقعها ، في القلب · والذاكرة ، وقع الحلم الصافي الذي تفجر

الزمن بالثانية

- تستغرق القنبلة الذرية للانفجار او الارتداد ، هذا الجزء من الثانية : ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ر
- يستغرق التسخين والضغط بواسطة اشعة ليزر هذا الجزء من الثانية : ١٠٠٠٠٠٠٠٠ر
- يستغرق انفجار خرطوشة الرصاصة هذا الجزء من الثانية : ١٠٠٠٠٠٠ر
- فقاعة الصابون تنفجر في هذا الجزء من الثانية ١٠٠١ر
- يخفق قلب الانسان مرة كل ثانية ·

في الرأس بعد لحظات من الود السعيد، حيث الموسيقى والهمس والكلام الجميل · وما زلت مغروسا فيها ، في الانسراح الذاهل ، في الصفاء والخضرة ، والمدى والرعاة ونباح جرو مشعل وجبوري برقبته الطويلة وقدميه اللتين تزيدان طولا على قدمي فلاح عجوز ، ومعزاه الجبارة وهياجها ، وخروفي « شنان » ورائحته العبقة وهو يشمشم ثيابي ·

ها هو مدى آخر امامي ، ولكن الايام تلك قد مرت ، جبوري لم التقيه منذ فترة طويلة ، ومعزاه قد فطست اثر اكلها لكيس كبير من الشعير ، وخروفي « شنان » ذبحه والدي بعد ان سمن وتكدس الشحم في اليته العريضة · ولكن مشعلا بقى كما هو ، تقلب في الاهواء والانتماءات ، ثم يعود الى الله والصلاة · وعندما يكون في حالة الوجد هذه يفح منه اطمئنان ، ويقرأ عن المتصوفة والنساك ، عن بوذا وزرادشت، ويدهن جسمه بالزيت ويبحث عن ماء الورد ليحتفظ به في قنان، ويعطر به وجهه وابطيه وشعر صدره الكث ، وقد حفظ الكثير من آيات القرآن اضافة الى احاديث الرسول والصحابة واخبارهم ·

ما اروعه وهو يرفع رأسه الى اعلى مرددا : الله ، الله · كلما طرب لشيء او رضي عنه · وتأخذه نشوة غريبة ·

مشعل كان زهرة ومازال ، امي كانت عشبة برية، رائحتها عبقة ونقية ، وعمرها قصير ، التقطها اليباس عندما توقف المطر وضن عليها الندى فاصبحت قشة ناعمة حملتها الريح الى ارض الجنة ·

ـ ٥ ـ

يدلف مفتش القطار ويتبعه شرطي ، ويبدا بتفتيش التذاكر وايقاظ الركاب النائمين وهو ينادي بصوت آلي دون ان ينظر لاحد :

ـ بطاقتك ، بطاقتك ·

وتمتد اليه الايدي بالتذاكر ، يتلكأ شاب بوجه كامد وقميص خلق ، ويتظاهر بتفتيش جيوبه ، يتأفف ، يحمر لونه ، يزرق ، ينظر الى الارض ، يمد يده تحت المقعد ، بين الصرر · المفتش يتأمله



بهدوء فلقد اعتاد على مثل هذا المشهد الذي يعالجه بسهولة حيث يلتفت الى الشرطي ليقوده الى اقرب موقف في الطريق أو يدفع ثمن التذكرة مضاعفا ·

يتقدم الشرطي من الشاب فينهض ، قامة ضامرة ، بنطلون من الكاكي المهترىء ونعل مطاطي ، يطأطىء رأسه خجلا من العيون التي تراقبه ، يمسك به الشرطي من كتفه ويدفعه امامه ·

اتأكد من تذكرتي في جيب سترتي الامامي ، اقدمها للمفتش، يقطعها ويعيدها الي ، ثم يقطع تذكرة امرأة حبلى كانت جالسة على المقعد القريب مني ، تنهض المرأة بعد ذلك لتأخذ مكانها في الطابور الذي ينتظر دوره في دخول المرحاض ·

اجدها فرصة لان احط عجيزتي على المقعد ، اشعر بأن ظهري قد عزل عن جسدي وساقي لم تعودا لي ·

امد يدي وأبدأ بتدليك ساقي ، اضغط عليهما بقوة وسرعة ، ثم ادس يدي الى الخلف لاسند بها ظهري ، انحني الى الامام قليلا ثم الى الوراء ، تتأملني عجوز ملفعة بالسواد ولا يبدو منها الا عيناها وقسم من انفها ، تدفع نقابها الى اسفل وتقول :

ـ ساعدك الله يا ولدي ، الليل طويل والوقوف لا يحتمل · واجيبها :

ـ ماذا افعل ؟ ليست هناك وسيلة غير القطار ، السيارات صعبة ، الطريق ترابي وطويل والجو ساخن في النهار ·

وينقطع الحوار بيننا ، المرأة الحبلى مازالت في الطابور ، اظنها جاءت برفقة العجوز، ربما هما ذاهبتان الى «الكاظمية» او الى اقارب لهما في بغداد ، ان حي « الشاكرية » يعج بمثل هذه الوجوه التي حملتها مضايقات الاقطاعيين واعوانهم على الهروب الى المدينة والانغماس في عالم مهنها الصغيرة ، بحثا عن راحة البال والنوم في امان » على حد ما تفوه به العم جاسم حارس القسم الداخلي عندما سألته عن سبب وجوده في بغداد ·

اما سبب وجودي انا فلتحقيق بعض من تلك الاحلام اللعينة ، لا احلام امي الراحلة ، ولا احلام ابي الذي لم اره الا لماما منذ وفاة والدتي ، ولكن احلامي انا التي ولدت هناك في تلك الايام السالفة ، حيث الخلاء الواسع وخروفي « شنان » وكتابي ، حيث مشعل وجبوري مشعل الذي ما ان امسك بشهادة التخرج من المتوسطة حتى دخل دورة للتضميد اقيمت في مستشفى المدينة ، تخرج وتوظف وعين في « الرفاعي » ، ثم تزوج وانجب وسمن واصلع رأسه وكثرت ديونه وهمومه ولكنه لم يتخل عن الزيت وماء الورد وقراءة الكتب حتى انه كان ينشر في بعض الاحيان مقالات قصيرة في الصحف يناقش فيها مقالات سبق وان نشرتها الى كتاب معروفين ، وغالبا ما كان يكشف عن المغالطات الكثيرة التي تغطي عليها شهرة اسماءالكتاب وعلاقاتهم ·

اما جبوري فقد ازداد طولا ، ربما اصبح طوله اكثر من مترين ، وازداد طول عنقه وقدماه كذلك ، واخذ يقص شعره بطريقة جميلة ، وعندما التقيته قبل ايام عاد طفلا امامي ، كانيبه يقود معزاه

العجوز بدشداشته البيضاء ونعاله الجلدي ، وتعانقنا بمودة ، تنفسنا في بعضنا اريحا قديما اضعناه ، ثم قادني الى مقهى « صالح » حيث شربنا الشاي وتحدثنا بعض الوقت ·

لقد ولى الليل ، وها هو القطار ينهب الدروب المشمسة ، وتحاصره هبة السخونة وهو يصافح المحطات الاخيرة قبل وصوله الى بغداد ·

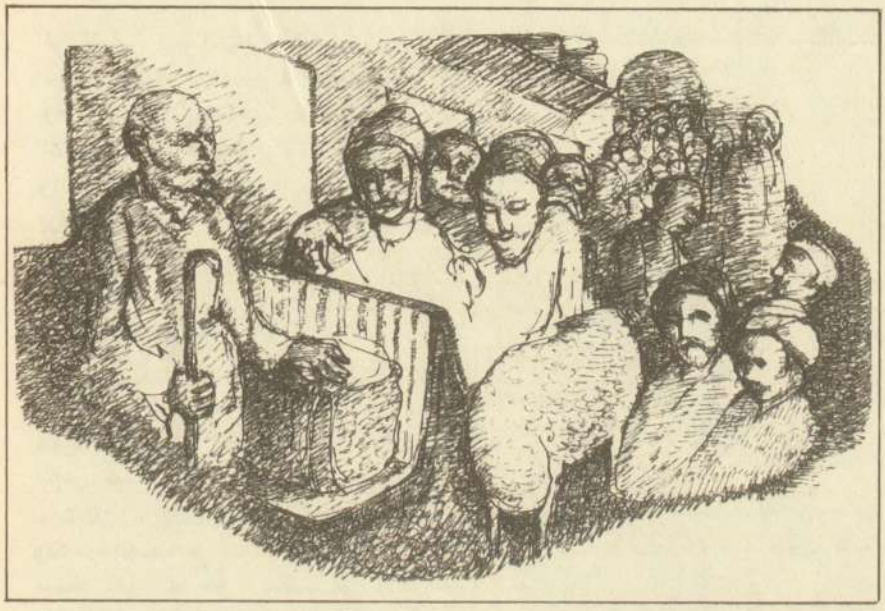
جاءت المراة الحبلى · ونهضت لاخلي لها مكانها ، وعندما فعلت ذلك قالت بحرج :

ـ وليدي خذ راحته ·

فشكرتها وعدت الى مكاني لاراقب سير القطار من النافذة ·

ـ ٦ ـ

صبيحة بنت عبيد الشيخ راضي هذا هو اسم امي ، صبيحة الباقية في ذاكرة العشيرة تسببت في مقتل ثلاثة رجال وفك اواصر كانت متينة · صبيحة مصدر الفتنة وموئل الالم الكظيم ، لم يكن لها ذنب الا وجهها الاسير ، ووجهها الذي تقطر سمرته بخمرة قانية · تقدم لخطبتها الكثيرون ولكن والدها رفضهم ، ثم جاءها ابن عم لها فوافق الاب لان شريعة العشيرة تقر هذا ، ولكن ابن عم آخر لها ارادها لنفسه ، وقرر ان يقتل الخطيب ان جرؤ على الزواج منها ، وقد مضى التحدي الى نهايته ، وفي ليلة الزواج قتل الزوج واجهز شقيق القتيل على القاتل.



كما قتلت رصاصة طائشة شابا غجريا جيء به ليغني في العرس ·

وهكذا حملت ثلاث جثث من مضارب العشيرة، وظلت صبيحة غارقة في حزنها، تحاذر الاعين والهمسات ، صبيحة التي لا ذنب لها فيما جرى ، كان دورها ان لا تختار ، وان ترضى بمن يجيء به والدها زوجا لها ·

وعاشت في عزلتها القاحلة سنوات الى ان جاء ابي على ظهر جواده لزيارة خالة له تقطن قريتها ، وعندما رآها سال خالتي عنها ، ولم يرجعه عن عزمه على الزواج بها مصير الرجال الثلاثة · ويوم تقدم لابيها لم يمانع ، وقد زفت في السر وبرحيلها عن القرية تنفس سكانها الصعداء ·

صبيحة ماتت · الرجال الثلاثة ماتوا، وابي لم يمهلها حتى يجف تراب قبرها · فتزوج من قريبته الصغيرة · لكن اسم صبيحة وليلة عرسها المرعبة ظلا بقيت في ذاكرة الناس ، يرويها الاباء للابناء ، ويضيفون اليها الكثير ليحيلوها الى اسطورة ·

واتذكر ان امراة قد سالتها يوما :

ـ اانت صبيحة بنت عبيد الشيخ راضي؟

فاجابتها امي ببساطة :

حقائق في حياة الكبار

● ان « نابليون » الذى عرف بذكائه النادر اجمع كل اساتذته وهو تلميذ ان مستواه اقل من المتوسط

● ان «تشرشل» رئيس الحكومة البريطانية ايام الحرب العالمية الثانية وبطل الانتصار على النازية كان مهملا في دراسته بقدر ما كان بارعا في تدبير المقالب والمعاكسات لمدرسيه ·

● ان « انيشتين » عبقرى الرياضيات لم يستطع الالتحاق بجامعة زيورخ لانه لم يحصل على المجموع المطلوب ·

● ان « فولتا » مخترع البطارية لم يكن يتكلم حتى سن الرابعة لذلك وضعوه في عداد الاطفال المتخلفين ذهنيا ·

● ان « جي دى موباسان » الكاتب الفرنسي قال اساتذته لوالدته في يأس ان ابنك غبي لن يستطيع ان يكتب كلمة واحدة في حياته ·

● ان « فيردى » عملاق الاوبرا الايطالية ومؤلف اوبرا عايدة حرموه من دخول مدرسة الموسيقى في ميلانو لانه كان يرسب دائما ولم يستطع الحصول على الشهادة الابتدائية ·

ـ نعم انا هي ·

فاخذت المراة تتفحصها بعينيها اللتين اكل الرمد جل بصرها وهي تتمتم بكلمات اغاظت امي وجعلتها تصرخ بالمراة :

ـ وهل قيل لك ان لي ذيلا او اربعة رؤوس ؟

فولت المراة متعثرة بطرف عباءتها دون ان تجد جوابا ·

صبيحة المراة الصالحة · النقية · الورعة · الصائمة · المصلية · المؤدية لكل فروض الدين ولكل الوصايا · والمبتعدة عن كل النواهي والمحرمات · وفي ليلة كل جمعة تدخل غرفتها الطينية منقلة وحبات من البخر تعطر البيت كله بذلك الاريج الذي ينقي القلب ويصفي الراس من صداعه وبلواه ·

ـ ٧ ـ

بدا الركاب يتهيأون · يجمعون حوائجهم ويشدون الصرر جيدا · وكانت ايديهم تتحرك ببطء أخذ التعب والسهر مأخذهما منها · كما احتقنت العيون وامتدت الى الافواه عدوى التثاؤب ·

ليس لدى ما ارتبه قبل النزول الا انني احسست بمثانتي تحتقن لكثرة ما كرعت من مبردات · ولوقوفي الطويل وانا الصق ظهري على جدار القطار والهواء يعب في رقبتي ·

اوصيت المراة الحبلى بان تحافظ على حقيبتي ومضيت الى المرافق حيث بدا الازدحام يخف على بابها · وعندما عدت كنت احس بشيء من الراحة اذ غسلت وجهي من التراب العالق به ، وازاحت برودة الماء شيئا من التعب المتكدس في عيني ·

وازداد صفير القطار كما ازدادت مطاردة الغبار الكثيف له مما اضطر الركاب لغلق النوافذ الزجاجية ·

وبعد ان توقف قفزت خارجا من بابه وحقيبتي في يدي ·

واخذت اخطو على رصيف المحطة شاقا طريقي بصعوبة وسط جموع المستقبلين · طاطات راسي ثم حثثت خطواتي لابتعد عن الزحام ، وكلما احسست بمقبض الحقيبة يحز في يدي نقلتها الى اليد الاخرى وانا اواصل الخطو خارجا ·

ـ ٨ ـ

كانت امي تعيش في الماضي · تتذكر وجوه اهليها ومرابع قريتها وتبكي · وكم دخلت بيتنا وفاجاتها في وضعها المؤلم ذاك · وعندما اضع راسي في حضنها تبدا الحديث عن قرى نائية · اهلها يزرعون الحنطة والذرة ، ويشربون الماء من القرع، ولديهم ابقار وشياه وخيول وحمير ، بيوتهم من القصب والبواري ، وأغراضهم يشترونها من باعة يطوفون بين القرى على ظهور حميرهم، ويأخذون من القرويين قمحا وطحينا وسمنا وصوفا ويعطونهم سكرا وشايا وبخورا وصابونا وحلوى واقمشة ذات الوان زاهية ·

وتأخذها نشوة نادرة وهي تواصل حديثها ذاك وعندما تفرغ منه تطلق من قلبها حسرة لائبة اذ لا احد يستطيع ان يرد لها تلك الايام ·

لم يواصل زيارتنا احد من اقرباء امي كانت زيارات عابرة لا تدوم الا ساعات واحيانا بضعة أيام يقوم بها القريب او تلك عندما ياتون الى المدينة للتسوق او التطبيب · ولكن خالة امي الحاجة صافية هي الوحيدة التي تواصل زيارتنا وخاصة بعد ان مات والدا امي ، الاب اخذه العمى اول الامر ثم جاء موته طبيعيا ، والام اخذتها امراض عدة ، تناهبتها شهورا وأحالتها الى شبح لا يستطيع الوقوف



على قدميه ، وعندما ماتت نطقت الافواه بارتياح : أحسن لها ، حتى ترتاح ، المسكينة تعذبت كثيرا ، والاطباء لا فائدة منهم ·

تاتي الحاجة صافية فتورق امي بالعافية والبشر ، تذهبان سوية لزيارة المراقد المقدسة القريبة ، وتحضران بعض المآتم الحسينية التي تقام في المدينة وكنت ارافقهما انا واختي ، ولكنني تخليت عن ذلك فيما بعد ·

كانت الخاجة صافية تجلب معها وعاء جلديا مليئا بالسمن وصرة كبيرة ملأى بـ « البثيث » ، الله ما اطيبه ! انه اللبن المخثر الذي يجفف بعد تعرضه للشمس حيث يتحول الى فصوص صغيرة تدق وتمزج مع التمر · وكنت أخذ قسما منه الى المدرسة لأملأ به جوفي كلما احسست بالجوع ·

امي كم كانت تحب « البثيث » هذا ، تستخرجه من الصرة وتضعه في علبة صفيحية ذات غطاء ، وتستخرج حفنة منه بين وقت وآخر، تستنشق رائحته ثم تضعه في فمها بدون ان تمزجه مع التمر وتترك اسنانها لتلوكه بالتذاذ · واسمع طقطقة تكسره فاود ان اجاريها ، لكن اسناني التي خربتها الحلوى لا تقدر على ذلك فتطلق امي من قلبها ضحكة ممزوجة طيبة ·

صبيحة بنت عبيد الشيخ راضي لم تر قريتها منذ ان غادرتها الى قرية زوجها ومن ثم الى الناصرية حيث تخلى ابي عن الفلاحة وأراد ان يجرب حظه في مهن اخرى ·كانت تحاذر من ان توقد الفتنة النائمة ، ويحمل قتلى آخرون بعد ان هدأ الناس وأخذتهم همومهم في الزرع والسقي ومطاردات الاقطاعيين وأزلامهم ورجال الشرطة الذين كانوا يدخلون القرية على ظهور خيولهم وبيدهم السياط التي لا تتوانى عن لسع ظهر اي عاص لا يمتثل لامر الاقطاعي ·

ومرة اجلستني الحاجة صافية في حضنها وأخذت تداعب شعري وتقول :

ـ كان وجود امك يجلب الخير والرزق للقرية ، وما ان رحلت عنا حتى حل

المحل والبياس ، وجفت ضروع الاغنام والابقار ، الناس لم ينسوها ، وبداوا يحلفون باسمها وكانها « علوية » من اصل كريم ·

ولكن صبيحة بنت عبيد الشيخ راضي ماتت · كانت تحمل معها موتها دوما ، فتحت عيني وانا ارى في غرفتها كفنا تضمه في صندوق خشبي خاص ، وتتفقده باستمرار مخافة من العث والفئران ، اوصت عليه مع خالتها الحاجة صافية عندما ذهبت الى الحج حيث اشترته لها من المدينة المنورة ، وطافت به حول قبر الرسول وحول الكعبة ايضا ، ثم ارسلته امي فيما بعد الى قبر الامام الرضا في ايران ، وحملته الى كل المراقد المقدسة في كربلاء والنجف وبغداد وسامراء اضافة الى مراقد الاولياء التي تنتشر بين الناصرية والمدن الصغيرة المحيطة بها كانت تفكر بموتها وكانه ينتظرها عند عتبة الباب ولم تفكر يوما بحياتها والاحلام التي ستحققها ·

ولكني نقيضها تماما · انفتح للحاضر والايام القادمة ، وأحاذر من ان اطأطىء راسي للصفعات ، ورغم سنوات عمري القليلة فانني طعنت مرات ولكن الطعنات لم تقعدني ، انهض واقوم واصول · وامي لم تفعل ذلك ·

صبيحة بنت عبيد الشيخ راضي رحمك الله ، والعاقبة للمتقين ، ولعلك ستسامحينني يوما لانني لم احقق لك شيئا من احلامك في كان منتهى امانيك



ان اكون رجل دين ، وتتخيلين صورتي وانا اضع على راسي عمة بيضاء كالقطن واطلق لحيتي قليلا بينما تكسو جسدي جبة وعباءة نظيفتان ، وتقولين :

ـ ان وجهك سيقطر بالبركة ، وسيقسم الناس برأسك ، ويقبلون يديك خشوعا واحتراما ·

ثم تتحدثين بعد ذلك عن هيئتي وانا على منبر الحسين ، اتلو تلك السيرة العطرة والجموع تصغي الى ، وبعد ذلك افجر في قلوب الظمأى ينابيع الدمع ·

لكن كل هذا لم يتحقق واخذتني هموم اخرى ، البلد يفور ، والعيون تترصد

ونحن طلبة نتحسس ما حولنا ، نرى باعيننا ما يجري ، وتنبهنا الى ما خفي تلك المنشورات السرية التي نجدها في صفوفنا وفي شوارع المدينة · وتوقد حماسنا تلك المظاهرات الصاخبة التي لا تعيقها هراوات الشرطة ولا معتقلاتهم · وعرفت الاعتقال مع اول مظاهرة ساهمت فيها ، كانت تندد بالعدوان الثلاثي على الشقيقة مصر ، وفجاة قطع الشارع من طرفيه وحوصر المتظاهرون واطلق الرصاص في الاعالي ·

ثم كثرت المناسبات وكبرت اضبارتي المودعة لدى الشرطة ، وكدت ان اضيع، ولكن عنادي هو الذي اوقفني من جديد ، وها انا الآن طالب جامعي · وفي السنة الاخيرة ايضا ، شيء لم يخطر ببال امي، ولا حتى ابي لانه كان يريدني مضمدا مثل صديقي مشعل ، ازرق الناس بالابر ، واحصل على درهم مقابل كل زرقة ، وما دام المرضى كثيرين فان ربحي سيكون كبيرا ·

يحدثني ابي ايضا عن اصدقاء آخرين لي صاروا تجارا وكتاب طابعة وموزعي بريد ونواب ضباط ، ولكنني اعوج ـ هكذا كان يقول ـ ولا فائدة مني ،ويمثلني بديل الكلب الذي وضع في قصبة لمدة اربعين يوما ولكنه لم يستقم ، وهكذا رفع يده عني وتركني للاحزاب والمظاهرات والسجون ·

ـ ٩ ـ

ارتصف في موقف الباص وعندما يحضر

الخمار الاسود

اراد الشاعر الظريف « الدارمي » أن يساعد صديقه ـ وكان تاجرا من اهل الكوفة ـ على بيع ما لديه من الخمر النسائية السوداء · فانشد قوله :

قل للمليحة في الخمار الاسود
ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى وقفت له بباب المسجد

فلم تبق فتاة في الكوفة الا ابتاعت خمارا اسود ، حتى نفذ ما كان منها عند صديقه التاجر ·

بحجمه الاحمر الكبير ادلف فيه ، وادس حقيبتي في زاويته الخلفية ثم استقر على المقعد قريبا منها ·

ها هي بغداد ·· الواسعة ·· المغلقة ·· انني اتحاشاها ، ارتاب فيها ، ولا اطمئن الى كل ركن فيها كما كنت في مدينتي تلك حيث الوجوه اعراس محبة وصداقة ، والازقة مراقد ونام ودفء ·

حدثني صديقي غازي ان والده القادم من الديوانية رفض الاقامة في بغداد لانه انفق نهارا حاملا يطوف في الاسواق دون ان يجد من يحييه أو يسأله عن صحته واحواله ، وحتى الذين القى عليهم التحية لم يردوا عليه ·

لكن والدي مشدود الى مدينته ، والى زقاق واحد فيها حيث دكانه الصغير الذي يبيع فيه السكر والشاي ويحمي هامته من الشمس والرياح ، ارتكن اليه بعد ان تخلى عن تجارته في بيع وشراء الجلود والصوف ، لقد كسدت تلك المهنة ، هكذا كان يعلن وهو يهيء دكانه الصغير الذي اجتزاه من بيته ولا يغادره الا مرة في الاسبوع للتسوق ·

اغادر الباص واخطو باتجاه « شارع طه » حيث القسم الداخلي الذي اقطنه ، وحيث وجوه الاصحاب المستبشرة ، المتوثبة ، العاشقة ، الثائرة ، الشجاعة، الحالمة ، وحيث انغمس في عالمهم لانسى تاريخا واصوغ تاريخا جديدا آخر ·

سيستقبلني غازي ساخرا من حقيبتي الصغيحية التي لا تساوي ربع دينار ، ويحدثني عن حقيبته الجلدية الفاخرة التي جلبها معه من الديوانية ولم يكن فيها غير فرشاة ومعجون الاسنان ونعال من المطاط وقميص ذي كمين قصيرين ، وكيف امتلأت بسرعة بالقمصان الملونة وربطات العنق والجوارب ودشداشة بيضاء وبيجامتين ومسائل اخرى كثيرة اصبح يزهو بها ويفاخر لانها تشعره بتفوقه على مقتنياتي البسيطة حيث اغلاها حذاء من « باتا » اشتريته باقل من دينارين ·

يطالعني مبنى القسم الداخلي مظللا بالاشجار العالية ، كان ملكا لاحد العوائل الموسرة الكبيرة ولكنها تخلت عنه وقطنت



بيتا جديدا وصغيرا في « المنصور » وظل مغلقا عدة شهور الى ان استاجرته كليتنا لياوينا نحن القادمين من مدن العراق المختلفة ·

ادفع بابه الحديدي فيصر كبوابة سجن، ثم ادلف متمهلا ، مقبض الحقيبة ادمى يدي ، اطلق اكثر من شتيمة والعن الافلاس الذي لولاه لكنت الآن مسندا ظهري بارتياح في جوف تاكسي جديد لا يمتثل سائقه الا لامري ، وينهب المسافة بين المحطة والقسم الداخلي بدقائق معدودات فقط ، ولكن لا بأس سافعل ذلك يوما عندما اتوظف واستلم النقود فشهادتي الجامعية ستهيء لي ذلك حتما· انني ادرس الاقتصاد ، اختصاص من ذهب كما يؤكد اساتذتنا ، البنوك والمؤسسات كلها بحاجة لنا ، حسنا ولكن كل هذا يتوقف على ورقة موافقة تمنحني اياها مديرية الامن وتؤكد فيها انني مواطن مقبول ، لا يثير الشغب ، مخلص للملك والوطن ، فهل انا كذلك ؟

غازي مثير للشغب ايضا ، ولكن على مستويات عدة ، يوقظ التهريج والضحك في كل مكان يحل فيه، حتى الدروس لا تسلم منه اذ سرعان ما يفجرها بلا مبالاته وسخريته ، ويجعل الاساتذة الوقورين ينقادون للضحك ويغطون فيه ·

تسلك خطواتي الممر المشجر حيث تتعالى قامات اليوكالبتوس والصفصاف ويمتلىء صدري بالشذا العذب ، ازفر واتنفس مسرعا ، فرحا بهذه الهبة الرائعة الصمت يخيم على المكان ، هذا دليل على ان الجميع قد غادروا الى الكلية ولم يبق غير العم جاسم الحارس العجوز حيث يلتجيء الى الداخل ليثرثر مع احد الفراشين ، او يجلس على كرسيه وراء الباب بعد ان يضع على عينيه نظارته الطبية التي ثبتت عدساتها بأسلاك ممسكا بيده جريدة من تلك التي يخلفها الطلبة محاولا ان يستل منها سطرا بصعوبة ·

رميت الحقيبة في المدخل فرن صوت ارتطامها بالارض المبلطة ، ويرفع العم جاسم عينيه ، ثم ينهض ويتقدم مرحبا بي ، اصافحه واسأله عن الاصحاب والاخبار ، يهز يده ثم يتمتم بكلمات ساخطة وبعد ذلك ينحني ليلتقط الحقيبة وهو يهمس :

ـ ليتك تأخرت عند اهلك ·

فاساله :

ـ ولماذا؟

ـ البارحة جاء الشرطة الى هنا واخذوا كلا من غازي وعبد القادر وشعبان ، وقد سألوا عنك ايضا ·

ـ وماذا اخبرتهم ؟

ـ لم يسالوني انا بل سالوا مراقب القسم واخبرهم انك لست في بغداد منذ اسبوع ·

وابعدت يده عن الحقيبه وجلست فوقها ثم وضعت يدي على خدي حائرا ، وبعد برهة سالته :

ـ والحل ؟

وتمتم :

ـ لو اعرف الحل لاخبرتك به ·

واردف :

ـ اذهب الى غرفتك وارتح قليلا واتركها على الله ·

وامتثلت لامره، نهضت وحملت حقيبتي ومضيت الى الغرفة الصغيرة التي نحتلها انا وغـازي · كانا فراشانا مرتبين ، وهناك قميص مكوي وبيجامة ومجموعة من الملابس الداخلية موضوعـة فوق فراش غازي · وكان طرف حقيبته الجلدية التي كان يتباهى بها علي قد ظهر خارج السرير دفعتها بقدمي ، وبقيت فترة في اطراقتي الحائرة تلك ·

ساغتسـل وارتدي مـلابسي واذهب الى الكلية · ثم نظرت الى سـاعتي كانت تقارب الحادية عشرة ، لقد فات نصف المحاضرات ولم يبق الا القليل ، ثم ان ابتسامة غازي ليست هناك لتجدد حماسي وقوتي ·

خلعت ملابسي وذهبت على عجل الى الحمام ، فتحت رشاش الماء ومددت رأسي لينسكب عليه باردا ومنعشا ·

صبيحة بنت عبيد الشيخ راضي كانت تستحم بطست كبير من الصفيح بعد ان تسخن الماء في قدر ، وتاتي بـ « المحلب » و « الطين خاوة » بدلا من الشـامبو والصابون المعطر ، وكانت سعيدة بذلك، سعيدة وهي تضع الحناء على راسها وفي كفيهـا ، وسعيدة وهي تطلـي شفتيهـا بـ « الديرم » وهو عبارة عن لحاء شجر جبلي يبيعه العطارون في المدينة ، يلون الشفاة ويقوي لثة الاسنان ، وسعيدة وهي تستنشق رائحة البخور كل ليلة جمعة ، وسعيدة وهي تغادر لزيارة ضريح او ولي مقدس اما ذهابها الى حمام « ابو ليرة » للنساء والواقع على ضفة الفرات شرقي المدينـة فكان منتهى احلامها ، ولكنهـا انقطعت عن ذلك بعد ان استفحل عليها الربو · لكن افراحـي غير افراحهـا ، واحزاني كذلك · كانت حياتها عبئا اما حياتي فمتعة واقتحام ، الخ كل ثانية فيها اتحداها ، اقاومها ، اعشقها ولا استنكرها اتغزل بفصولها وتكبر معانيها يوما بعد يوم ·

رشاش الماء ما زال ينسكب محتفظـا ببرودته ، ينتزع التعب من جسدي واطلق صوتي بالغناء · سيضحك العم جاسم ويردد في سره كم هو بطر هذا الولد ؟

الايام تنوء بالغموض والانتظـار ، حبلى بمليون مشكلة · ونحن في احشائها نعارك ببسالة لنجد طريقا في تلك اللجج العميقة · امي انسحبت ، ولكني لن افعل ذلك · اواصل الغناء ورغوة الصابون تنتزع العرق والحموضة من جسدي · انني سعيد رغم كل شيء ·

ستسامحنـي امي حتمـا لان حزنـي بفقدها لم يطل ، ولم ياكلني او ياتي علي· امي تلك العشبة البرية التي جفت واخذتها الرياح لتعطر بها آمادا اخرى هناك ·

افرغ من الاستحمام ، الف المنشفـة الوردية حول جسدي ، واعود الى غرفتي لاجد العم جاسم هناك وهو يجلس على حافة فراش غازي ، واساله :

ـ خير ؟

ويتفوه بصعوبة :

ـ لقد جاء احدهم قبل قليل وسال عنك· ثم اضاف :

ـ اخبرته بانك لم تعد بعد ·

وجلست على حافة سريري قبالته تماما ، وبعد فترة من التفكير سالته :

ـ وما العمل ؟

وقال بحزم :

ـ لا تسلم نفسك لهم · اصحـابك سيطلقون سراحهم حتما · هذه موجـة وتنتهي ، وطلبة كليتك سيضربون ان لم يطلق سراح زملائهم الثلاثة ، الاساتذة سيؤيدونهم ، اخبرني سليمان بكل هذا صباح اليوم ·

وقلت :

ـ حسنا ياعم ، كل الذي احتاجه الآن هو النوم فصفير القطار اللعين مازال في راسي ·

ونهض الرجل الطيب · وتركني لقراري ، وكانت الشتائم تنطلق من فمه بصوت حاد وهو يسحب نعله الجلدي فوق البلاط ·

ارتـديت بيجـامتي ثم انطـرحت في الفراش · تاملت السقف · ثمة شقوق كبيرة بدات تظهر فيه كمـا بهت لونـه بسبب المواسير التالفة التي يماثل عمرها عمر البيت الذي يربو على الاربعين عاما·



المروحة تدور ببطء في وسطه • والنافذة الواسعة مظللة بالاشجار العالية التي ينوح على افنانها الفاخت • وحاولت ان اركز تفكيري بشيء محدد لكنني ظللت مشتتا ، منتزعا من جذوري • اهوم في فراغ واسع ، تمد الافكار رؤوسها مثل صغار الطير المسقسقة في اعشاشها البعيدة •

يقترب جفن من آخر ، ينطبقان ، ثم افتحهما فجاة ، جسدي يهتز يختنق ، ما زلت محشورا في ذلك القطار الثقيل • اطمئن لرأى المروحة والسقف والنافذة المظللة وهديل الفاخت •

يقترب الجفنان من بعضهما ، ينطبقان ويمضي قطار الليل في دربه مجتازا تلك المحطات الخافتة الانوار ، يتثاءب معلم التاريخ ، وتنطلق الحناجر بالنشيد ، شبعاد راحت ولم يبق غير وجهها في كتاب التاريخ، ناكل البيض المسلوق والعنب الاسود ، يركل احدنا الكرة فتطير بعيدا، يقفز حامي الهدف ويلتقطها بمهارة ، نصفق له • صفير القطار يخفت ، واخذ يفح مثل افعى ملساء ، يلسعها الرمل الساخن فتفر مذعورة باحثة عن جحر يحميها •

يظل الفحيح ، وصداع الرأس ، بينما تتعاقب المحطات ، وينزل ركاب ويصعد آخرون ، تاتي امي ثم تنزل ، تلوح لي



بيدها ، وتتبعها الحاجة صافية ، قبل ان تنزل تسلمني كيسا من « البنيث » ، اضمه الى صدري• ياتي مفتشون ملثمون ورجال شرطة ونساء بعباءات واخريات بثياب قصيرة ، وكعوب عالية ، همهمات وثغاء عجول ، شوارع مبلطة وعريضة ، ازقة ضيقة ومكتظة ، مشعل يصرخ : الله، الله ، ويفتح المذياع على اعلى صوته • اشجار عالية ، ونخيل اجرد ، عذوقة مثل فزاعات، تماثيل وعربات، باعة وراقصون طبول وبدو وخيام • حدائق ذات بوابات كبيرة وعسس ببنادق واحذية من المطاط، رأس يتقلب على الوسادة تخزه الحمى ويعذبه جحيم مجهول • الراس لا يستقر • المروحة تواصل الدوران ، الحاج جاسم ، غازي، عبد القادر، شعبان • الليل والنهار الناصرية وبغداد •

ـ ١١ ـ

الغرفة خالية ، فيها سريران ، على احدهما قميص مكوي ذو كمين قصيرين ومجموعة من الملابس الداخلية وتحته حقيبة جلدية فاخرة • وعلى الاخر منشفة وردية ما زالت مبللة وتحته حقيبة من الصفيح لا تساوي ربع دينار •

يقف العم جاسم ويلقي نظرة على الغرفة ثم ينتبه للمروحة الدائرة فيمد يده الى الزر ويوقف الحركة ، بعد ذلك يطبق الباب ويخطو باتجاه كرسيه فهناك نظارته وجريدة قديمة سيحاول ان يمسك بمعنى ولو سطر منها •

ـ ١٢ ـ

ـ الم اقل لك يا غازي بانهم لا يريدون ان يفرقوا بيننا ؟ وها هم يجيئون بي الى هنا لابدد وحشتك وابعد عنك كل الهموم والكروب •

واحاول ان انام ، اتمنى ذلك من قلبي ، لكنني والنوم ندان لا يلتقيان ، وهذا الغزل بينهما مكيدة محكمة •

كلارا بويزل هتلر

فتاة بسيطة •• ساذجة من بافاريا • في سن الثامنة عشرة انتقلت الى بيت ابن عمها اليوس هتلر الذى تزوجت به • بعد اقامتها بقليل انجبت كلارا ثلاثة اطفال ماتوا كلهم في المهد • ثم ولدت ادولف هتلر وكانت تخاف عليه كثيرا وتعني به اشد العناية• ولما كان زواجها فاشلا تعلقت بابنها ادولف كثيرا • وعندما ماتت كلارا بسرطان الصدر في عام ١٩٠٨ كاد الحزن ان يفتك بهتلر •

روزا مالتوني موسوليني

ولدت في قرية صغيرة من قرى ايطاليا ، في عام ١٨٥٨ م • اشتهرت بطبعها الهادىء ومزاجها اللطيف عملت معلمة في مدرسة بقرية دوفيا وهناك التقت بحداد القرية وتزوجت منه • كان الحداد يدعى اليساندرو موسوليني • وكان بينيتو هو طفلهما الاول ، الذى كان مصدر ازعاج وقلق لامه روزا منذ الطفولة • وهنت روزا وساء حالها قبل موتها بالالتهاب السحائي في عام ١٩٠٥ م •

انهم يلوثون الهواء

د. عبد اللطيف أبو السعود

- الصناعة مسئولة عن تلوث الجزء الأكبر من الهواء
- يصبح الهواء أقل نقاءً كلما اتسعت المدن وازدحمت
- الحيوانات البرية والنباتات تتأثر بالتلوث لدرجة خطيرة
- إن نسبة الرصاص في الجليد زادت بصورة واضحة وخطيرة

ان تلوث الهواء والماء والتربة ما هو الا نتيجة لجهل الانسان بالعوامل الاساسية التى تجعل العالم متزنا ٠

انهم يلوثون الهواء بطرق عديدة ، ولان الكثير من نتائج هذا التلوث لا تبدو واضحة للوهلة الاولى ، فان تلوث الهواء من اسوأ انواع الاخطار التى تحدق بالبشر ٠ وتشتد الحالة سوءا كلما زاد عدد السكان ، واصبحت البلاد اكثر تقدما ، واكثر تصنيعا ٠

وينشأ اهم انواع تلوث الهواء عن دخان المصانع ٠ كما ينشأ عن حرق النفايات والمخلفات الزراعية ، واستخدام الافران فى الصناعات المعدنية ٠

الطائرات وتلوث الهواء الجوى

ان الطائرات النفاثة لا تلوث الهواء بطريقة مباشرة ، ولكنها تنتج سحابا اكثر ، وتؤثر بالتالى على المناخ ، الامر الذى يؤثر على الحياة البرية ٠ فالوقود المستخدم فى النفاثات الحديثة ، يحتوى على ايدروجين، يتحد باكسيجين الهواء الجوى ليكون بخار ماء ، يزيد من سحب السماء ٠ تطير الطائرات العملاقة على ارتفاعات شاهقة ، لا يمكن للانسان ان يعيش فيها بدون امداد خاص من الاكسيجين ليتنفسه ٠ وعند هذه الارتفاعات ، نجد ان بخار الماء الذى تنتجه الطائرات يبقى فى الجو لفترات طويلة ٠ اما ما يمكن ان يؤدى اليه هذا فى النهاية من اثر على المناخ ، فهو امر غير معروف ٠ قد يكون هذا الاثر ضئيلا ، ولكنه قد ياتى بكارثة ٠ ولا يمكن ان نجلس وننتظر ، آملين الا يحدث شىء ٠

المصانع وتلوث الهواء الجوى

الصناعة مسئولة عن الجزء الاكبر من التلوث بانواعه المختلفة ٠ وقد وصل التلوث الناتج عن الصناعة الى مستويات مزعجة ٠ فمعظم المصانع ينتج عنها غازات سامة ، ودخان كثيف ، وفى اماكن كثيرة ، نجد ان

خطر على القلب

● اطرف ما اصدرته الدوائر الطبية العالمية من تصريحات ٠٠ يقول ان مرض تسوس الاسنان يمكن ان ينتقل بالعدوى بطرق كثيرة ٠٠ اسرعها واكثرها انتشارا العدوى بالقبلات ٠٠ ولهذا السبب يفكر العلماء في اختراع مصل يحمي الناس من عدوى تسوس الاسنان ٠٠ وفكرة المصل خطرت على بال العلماء منذ مائة سنة واخر المحاولات والتجارب انتهت منذ شهور قليلة الى انه من الممكن التطعيم ضد التسوس ولكن يبقى خطر المصل على القلب وغيره من اعضاء الجسم ٠٠ وهذا ما يحاول العلم التوصل الى طريقة تحمي الاسنان منه لتكون الفائدة مؤكدة ٠



الطائرات النفاثة وتلوث من نوع جديد

هذا الدخان لا ينتشر بسرعة ، فيتراكم يوما بعد يوم • وحيثما تكثر المصانع ، يصبح الهواء رمادى اللون ، مشبعا بالدخان والغازات • وتحت هذه الظروف ، يموت الحيوان والنبات ، وتتاثر صحة الانسان • ويؤدى اختلاط الضباب بالدخان الى زيادة صعوبة التنفس لدى كثير من الناس ، وخاصة كبار السن ، وذوى الرئات الضعيفة • كذلك نجد أن النزلات الشعبية تقتل الآلاف من الناس كل عام ، ومعظم اولئك الذين يموتون بهذا الداء ، تجدهم قد عاشوا زمنا طويلا فى المناطق التى تتركز فيها الصناعات الثقيلة • كثيرون يموتون كنتيجة مباشرة لتلوث الهواء ، والبعض يصابون بامراض مزمنة لهذا السبب •

والسيارات ...

لعل السيارات من اسوأ أسباب التلوث • فعوادم السيارات لا تحتوى على أول أكسيد الكربون فحسب ـ وهو غاز سام ـ ولكنها تحتوى كذلك على مادة أكثر خطورة على الحياة ذلك أن مركبات الرصاص تضاف الى وقود السيارات ، لتحسين أداء المحركات . لذلك يحتوى عادم السيارات على اجزاء دقيقة من الرصاص ، تطير فى الهواء ، ثم تترسب على سطح الارض • والرصاص خطر للغاية ، فهو يهاجم المخ ، ويسبب أمراضا مختلفة ، بعضها لا برء منه ولا شفاء • وفى يومنا هذا ، لا يوجد رصاص كثير فى الهواء ، ولكن مستوى الرصاص فى الجو يتزايد يوما بعد يوم •

وفى بعض الاماكن ، تكثر السيارات ، ووسائل النقل المختلفة ، ويؤدى هذا الى نوع غريب من التلوث ياتى نتيجة لتاثير ضوء الشمس على عادم السيارات ، الامر الذى ينتج عنه ضباب سام • وفى لوس انجيلوس بالولايات المتحدة ، كان هذا التلوث مشكلة لعدة سنوات • وكلما ازداد عدد السكان ، وكلما ازدادوا ثراء ، كلما تفاقمت المشكلة • لقد ماتت الاشجار على مسافة أميال عديدة من المناطق السكنية • فقد تسممت هى الاخرى • وفى طوكيو ، تفاقمت المشكلة بدرجة كبيرة ، مما دعا السلطات الى اقامة ماكينات تنتج الاكسيجين ، على مسافات منتظمة ، وفى الشوارع التى تاثرت بهذه المشكلة الى درجة كبيرة •

أضرار التزاحم فى المدن

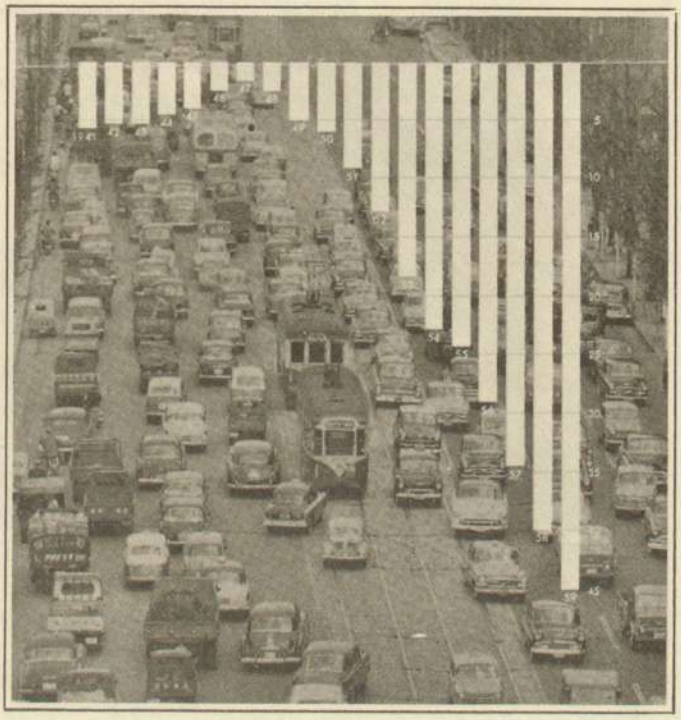
ان اتجاه الناس الى الانتقال من الريف الى المدن يسبب مشاكل كثيرة فالمدن المزدحمة فوق طاقتها تمتد خارج حدودها ويجب أن تمد السكان بمطالب واحتياجات متزايدة ، كما تزداد الحاجة الى مصانع أكبر ، والى محطات قوى أقدر • وتنشأ مشاكل لا تنتهى فيما يختص بالقمامة والمخلفات ، ووسائل التخلص منها • ويصبح الهواء اقل نقاء كلما اتسعت المدن ، ففى الولايات المتحدة ، نجد أن سبعة من كل عشرة أشخاص يعيشون اليوم فى المدن ، ولكن مساحة كل هذه المدن لا تزيد عن ٢٪ من مساحة البلاد • وعلى ذلك ، فان ما يقرب من ثلاثة ارباع السكان فى الولايات المتحدة يعيشون فى ٢٪ فقط من مساحة ارضها • وما زال الناس هناك يهجرون الريف وينزحون الى المدن • وفى عام ٢٠٠٠ م ، ينتظر أن نجد ٩٠٪ من السكان يعيشون فى المدن • ويزيد عدد سكان الولايات المتحدة اليوم عن ٢٠٠ مليون نسمة • واذا كان الضغط على المدن كبيرا فى يومنا هذا ، فكيف يكون عليه الحال بعد عشرة أعوام ؟ أن تلوث الهواء يعطينا اهم سبب للانزعاج كلما اقيمت المصانع الكبيرة ، ومحطات القوى الضخمة •

تلوث الهواء على الارض والبحر

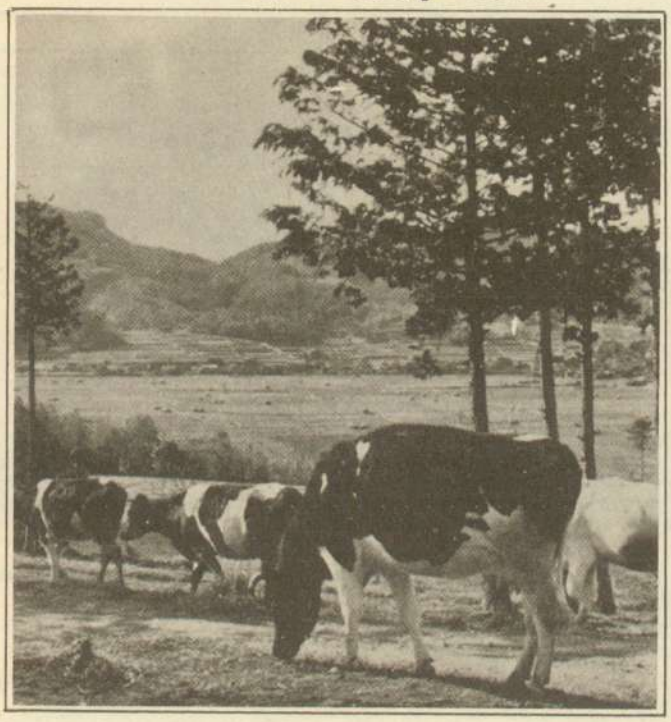
غالبا ما يؤدى تلوث الهواء الى تلوث الارض وفى المناطق التى يكثر فيها التلوث بدرجة كبيرة ، نجد أن الهواء يحتوى على جميع انواع الجسيمات الضارة ، والغازات السامة ، التى تذوب فى الماء • وعندما تمطر السماء ، أو تتساقط الثلوج ، نجد

انهم يلوثون الهواء

مزيد من السيارات ومزيد من تلوث الهواء



الالبان التي يشربها الانسان فتتلف عظامه



ان هذه الجسيمات والغازات تهبط الى الارض مع المياه ، وتمتصها التربة ، لتضيفها الى ما تحتويه من ملوثات • كذلك تتساقط هذه المواد الضارة فى البحيرات وخزانات المياة ، وعلى البحار والمحيطات • وكثيرات من ربات البيوت قد لاحظن كيف يتسخ الغسيل عندما يترك على الحبل وتمطر السماء فجاة • ان ماء المطر نقى للغاية • انما يتسخ الغسيل بسبب الاقذار المعلقة فى الجو •

التلوث •• والحياة البرية

ذكرنا اضرار الهواء الملوث على الانسان ، والاذى الذى يصيب الرئتين ، وأمراض الجهاز التنفسى التى تنتج عن ذلك • ولكن الحيوانات البرية والنباتات تتاثر كذلك لدرجة خطيرة • فالنباتات تغص فى الهواء غير النقى ، وسرعان ما تموت بسبب نقص التغذية • وفى مدينة بدفورد فى انجلترا ، انتشر التراب والدخان من مصنع للطوب الى المناطق المجاورة • فحول الاشجار الخضراء الزاهية الى أشجار رمادية ميتة • أما الاعشاب التى تنمو تحت الاشجار ، فانها لم تمت ، واستمرت الابقار ترعى عليها • ولكن اى نوع من الالبان ننتظر من هذه الابقار ؟ والحشرات الطائرة ، لا تستطيع العيش فى هواء المدن الملوث • وما مصير الطيور التى تتغذى على هذه الحشرات ؟ لقد دلت الدراسات على ان نوعا من الطيور كان يطير فى سماء لندن منذ حوالى ٨٠ عاما ، قد اختفى تماما ، لان تلوث الهواء قد قضى على غذائه من الحشرات الطائرة وفى عام ١٩٥٤ صدرت عدة قوانين تحدد كمية الدخان والملوثات الاخرى التى يمكن اطلاقها فى الهواء • وخصصت مناطق من البلاد خالية من الدخان ، يمنع فيها حرق القمامة ، والوقود ، ومخلفات المصانع • وفى الستينات ، عاد ذلك النوع من الطيور الى سماء لندن بعد غيبة طويلة ، وما كان ذلك الا لان الحشرات الطائرة التى يتغذى عليها قد عادت مع عودة الهواء النظيف •

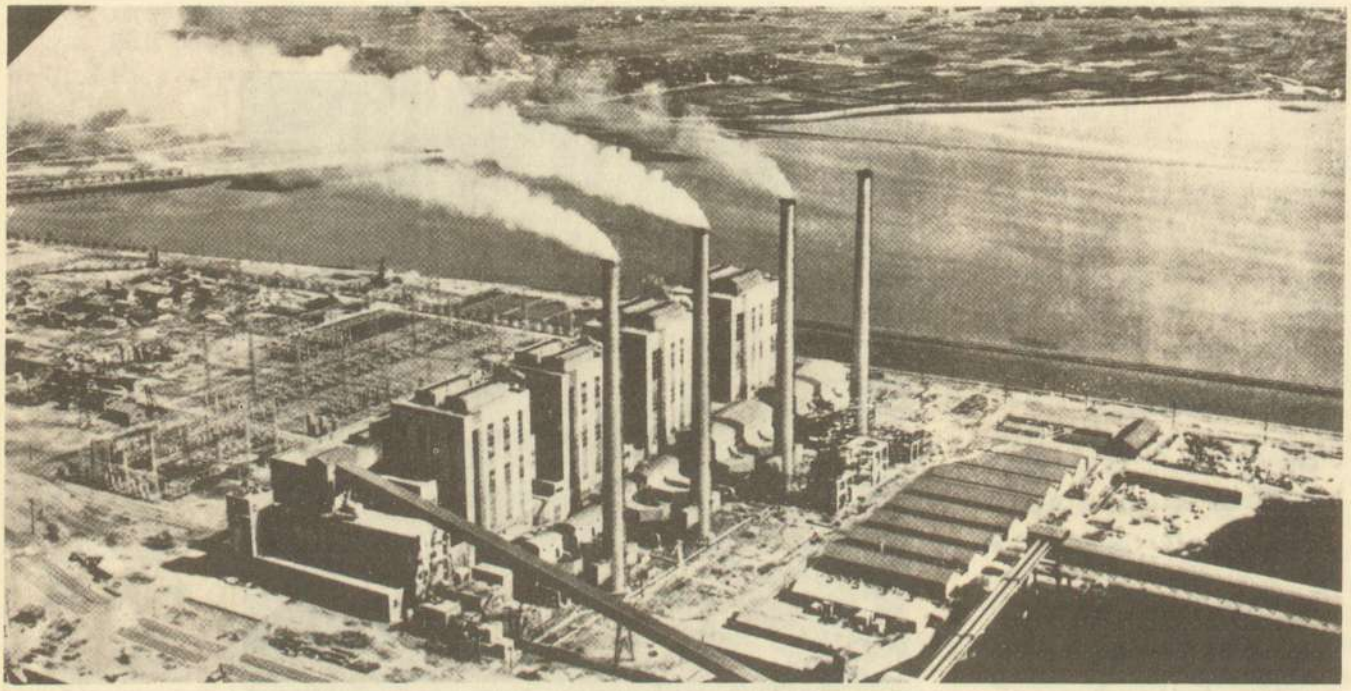
النباتات •• مقياس للتلوث

هناك نوع من النباتات الصغيرة التى تنمو حيثما لا ينمو نبات آخر فهى تنمو على الصخور ، وعلى جذوع الاشجار ، وفى الاراضى الخالية • وهى تنمو ببطء ، ولكنها تعيش طويلا • هذه النبات تحب الشمس ، وتزدهر حيثما يكون الهواء نقيا ، خاليا من التلوث • وفى انجلترا ، نجد أن هذه النباتات ذات الحساسية للتلوث ، تنمو فى غرب البلاد • كانت هذه النباتات تنمو فى جميع ارجاء البلاد ، ولكنها بدات تختفى بالتدريج • وفى جنوب غرب انجلترا ، نجد ان تلوث الهواء اقل ، كما أن هذا التلوث تدفعه الرياح بعيدا • وعلى ذلك ، يمكن القول بان وجود هذه النباتات فى مكان ما بانجلترا دليل على قلة درجة التلوث فيه •

اما فى شبه جزيرة اسكندنافيا ، فهناك نوع من الطحالب يمكن ان تكون مقياسا جيدا على تلوث الهواء بالرصاص • فنسبة الرصاص فى هذه الطحالب كانت معروفة منذ منتصف القرن الماضى • ولكنها اخذت فى الازدياد مع بداية الثورة الصناعية • ثم ازدادت ثانية مع ظهور السيارات •

اما فى جرينلاند ، فان نسبة الرصاص فى الجليد قد زادت بصورة مماثلة منذ منتصف القرن الماضى • وقد سجلت زيادات فى نسبة الرصاص فى جليد جرينلاند فى اوقات متقاربة ولاوقات زيادته فى طحالب اسكندنافيا • ويلاحظ أن جرينلاند بلاد لا مصانع فيها ولا سيارات ، ولكن التلوث يصل الى هذه البلاد ، التى يقع معظمها فى المنطقة المتجمدة الشمالية •

محطات توليد الكهرباء مصدر من المصادر الرئيسية لتلوث الهواء



والمشكلة هنا تؤثر فى الارض وفى البحر ، فالتلوث ينتشر من مصدر صغير الى مناطق اخرى كثيرة ٠

الرياح والتلوث

ان تلوث الهواء ، مثله فى ذلك مثل تلوث الارض والبحر ، تنقله الرياح من مكان الى مكان ٠ فالاجزاء الدقيقة من الرصاص تخرج مع عادم السيارات، ومن مداخن المصانع ، وتحملها الرياح الى مناطق تبعد كثيرا عن مصدرها والكثير من الغازات الضارة التى تنفثها مداخن المصانع فى المانيا وانجلترا ، تجد طريقها الى الشرق ، اذ تحملها الرياح الغربية السائدة ، الى شمال غرب روسيا والى دول اسكندنافيا ٠ وفى الصويد ، نجد ان رياحا تهب من الغرب تحمل ثانى اكسيد الكبريت ، من مصانع غرب اوروبا ٠ وقد سبب ذلك تلفا بالغا للغابات فى هذه البلاد ٠

واذا ساعد تلوث الهواء على تدمير هذه الحياة البرية ، فان هذا سيكون له ولا ريب آثار خطيرة ، بعيدة المدى ، على حياة الانسان على الارض ٠

وماذا عن النشاط الاشعاعى ٠

ان عنصر السترونشيوم ٩٠ الذى ينتج عن التفجيرات الذرية ، نجده اليوم فى كل مكان تقريبا ٠ ومع الاستمرار فى التجارب الذرية ، نجد أن مستويات التلوث من هذا العنصر فى ارتفاع مستمر ٠ يتساقط هذا العنصر على المراعى (كما يتساقط على اى مكان آخر) فترعى عليه الابقار والاغنام ، فيؤثر فى البانها ، وحين يشربها الانسان ٠ تتلف عظامه وتمرض ٠ والنسب العالية من هذا العنصر تؤثر فى نخاع العظام ، وتؤدى الى الوفاة ٠

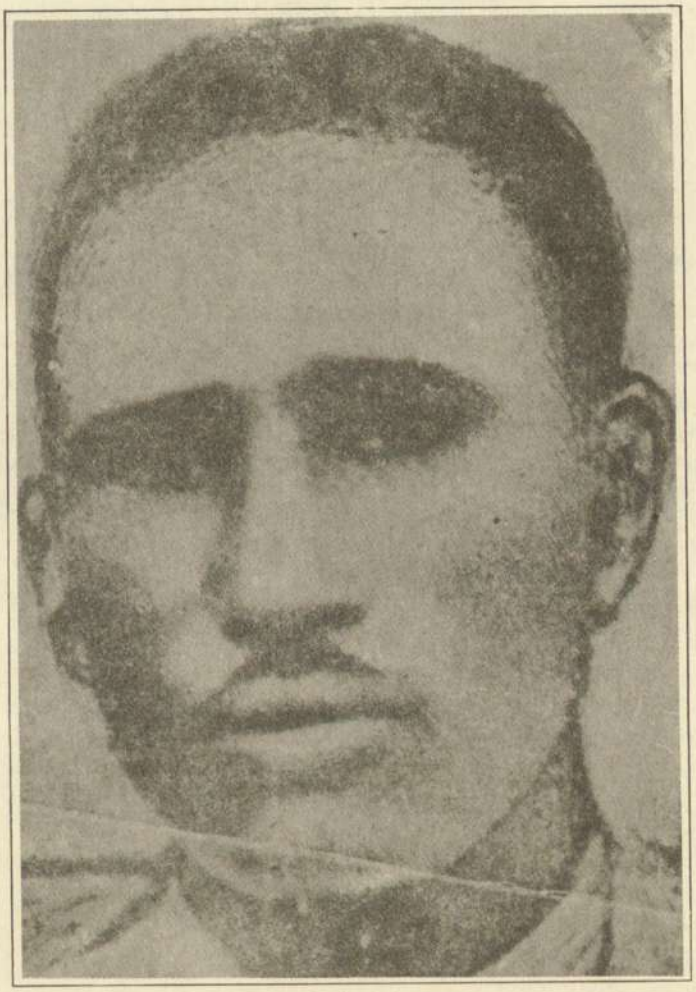
ان مشكلة تلوث الهواء مشكلة كبيرة للغاية ٠ نحن نعيش لاننا نتنفس الهواء ٠ ولكن الهواء يجب أن يكون هواء طبيعيا نقيا ، واذا لم نلزم جانب الحذر ، فقد ياتى يوم يكون فيه من الضرورى وضع ماكينات تنتج الاكسيجين ، عند نواصى الشوارع ، فى كل مدينة وفى كل قرية !

د٠ عبد اللطيف أبو السعود

العدد القادم

الأرض الـــــراســـــخة

بقلم: د. عبد الرحيم بدر



يحيَى محمّد عبُد القادر

ذكرياتى مع الشاعر التيجانى يوسف بشير

... عندما تسللت جرثومة الداء اللعين الى صدره .. لم يعرها كثيرا أو قليلا من الاهتمام . على وجه التحديد .. استهان بالمرض الذى لم يكن يعرف عنه شيئا ، وبالتالى لم يدرك خطورته !

فلما استشرى المرض فى صدره ، وبات يهدد حياته بلا رحمة ، خشى من الذهاب الى الطبيب ، حتى لا يصدمه الكشف عن الحقيقة .

وامام الحاح النصحاء عليه .. قرر أن يذهب الى الطبيب .. لكن فرصة الشفاء من المرض ، كانت قد ضاعت الى الابد . هذا هو الشاعر السودانى التيجانى يوسف بشير .. وهذه بعض ذكرياتى معه :

في اواخر عام ١٩٣٥ قدمت الى الخرطوم من شندي وكانت في ذلك الحين قرية متواضعة ، وكنت ظاهر السذاجة ، لم يزل تراب الريف عالقا بثيابي ٠

وما لبثت في اول عام ١٩٣٦ ان عملت في جريدة النيل ـ اول جريدة يومية سودانية ـ محررا ، وارتديت بدلة خلعها علي الامام عبد الرحمن المهدي عليه رضوان الله ورحمته٠ وهي اول (بدلة) في حياتي ٠

ورغم ان صنتي في الجريدة كانت محررا الا ان الرئاسة كانت تضيق بي فتدفعني الى الاشتراكات حينا فاكتب العناوين باليد على اطراف الجريدة لترسل بالبريد ، والى التصحيح حينا فاقطع معظم وقتي بين البروفات ، وذات مساء وانا اعكف على تصحيح الجريدة وعيناي تدمعان ، والملل يأخذ بخناقي، وميعاد السينما سلواي الوحيدة في (الغربة) وشيك ان يأذن ، اذ اقبل شاب في الخامسة والعشرين ، من العمر شديد السمرة ضامر العود ، متوسط الطول ، عريض الوجه ، خفيف الحركة يلبس جلبابا من الدبلان ، وعمامة من (الكرب) تتهدل اطرافها على كتفيه ، ونعلا أحمرا من صنع ام درمان ٠

وسلم ثم جلس ، واراد ان يشقق الاحاديث ، ويعرفني بنفسه ، ولكني كنت في حالة لا تعين على الاستماع او الفهم ، فمضيت انهي ما امامي من بروفات ، في سرعة محمومة ، امر بنظري على سطر لأتجاوز اسطرا ٠٠٠وسرعان ما وجدت نفسي في عرض الطريق ٠

ولم اذكر ذلك الشاب الا وانا داخل سينما كلوزيوم ٠

ومضى اسبوع كامل، واذا بالشاب يعود مرة اخرى ، واعرف انني ازاء الشاعر التيجاني يوسف بشير ٠٠٠ ولم اعتذر عما فعلت ، فقد كنت اقل الناس رعاية لما يتعارف عليه المجتمع من مجاملات ، لا لسوء طبيعي في خلقي ، وانما لان سلطان الخجل يلجم لساني ٠

وكثرت لقاءاتي بالتيجاني ، ونمت بيننا صلة وثيقة وكانت كل الظروف مهيئة لكي ترتقي بهذه الصلة الى ذروة الصداقة الملحة الحميمة لولا حاجز رهيب وقف بيني وبينه وكان ذلك الحاجز ذا وجهين :ـ

الول : ان التيجاني لم يكن يحترمني ككاتب قط ٠ وكثيرا ما استهان بما اكتب ، واعتبره مجرد ثرثرة تملأ فراغ الصحف ، وكثيرا ما يصدر من فمه اصوات منكرة يصور بها في سخرية عبارات كنت اكثر من ترادادها ثم يصيح : (ياأخي ما تقيف !) ٠

واقسى ما في الامر انني كنت اصدقه بيني وبين نفسي، فان وجودي في وسط يضم عمالقة الفكر في السودان من امثال محمد احمد محجوب ويحيى الفضلي والدكتور عبد الحليم محمد ويوسف التني ومحمد عشوي الصديق ، كان يجسم امامي دائما سطحيتي وتفاهة موضوعاتي ،وعدم تنظيم تفكيري ، وقصوري في ميدان الجدل ، وفقر محصولي العلمي ، ويشعرني بالضآلة والضياع في ذلك الخضم المتسع العريض ٠ ان طموحي كان يقمع في قسوة رهيبة ٠

اما الوجه الثاني من ذلك الحاجز، فهو عبقرية التيجاني : فقد كنت احس بأنني قزم امام عملاق دون ان أحاول مجرد محاولة ، الاعتراف بهذه الحقيقة ٠

لقد كان التيجاني في عرفي زميلا، وكان يعاملني بهذه الصفة وكان كلانا يمسك بالقلم ، وكنا في عمرين متقاربين، وكنا نتبادل اسرار الشباب ونجري في مضماره ، غير انه كان

أنت يانيل يا سليل الفراديس نبيل موفق فى انسيابك
حضنتك الاملاك فى جنة الخلد ورقت على وضىء عبابك
فتحدرت فى الزمان وأفرغت على الشرق جنة من رضابك
عجبا أنت صاعدا فى مراقيك لعمرى أو هابطا فى انصبابك

« من قصيدة »
« محراب النيل »



يحلق في سماء لا املك لها اجنحة ... وكان الشعور بهذا النقص يفترسني في غير رحمة ·

ولم يحدث قط ان امتدحت انتاج التيجاني في محضره او مغيبه ، ولم ارض عمن يمتدح هذا الانتاج ، وما اكثرهم ، بل كنت غالبا ما ابسط لساني فاعيب مقالاته التي كان ينشرها في (النيل) لانها تعتمد على الفواصل والازدواج كالشعر احيانا وتعتمد على السجع احيانا اخرى، ولا تتصل بواقع الناس ، ولا تعالج مشاكلهم الحاضرة ·

واذكر ان التيجاني دعاني لزيارته في ام درمان حيث قابلت والده ، وهو شيخ مهيب يحسن الظن بي .. ووجدت نفسي في دار تكاد تتداعى ، وغرفة خالية من الاثاث ، ومسامير دقت على الحائط تحمل جلبابا وبنطلونا قيل انهما يخصان شقيق التيجاني الاصغر الغائب في اريتريا · وجلست على (عنقريب) متهالك ... ولم يكن بالغرفة الا مقعد واحد ومنضدة عتيقة بالية ·

وليس في الفقر من عار ... ولكني خرجت وانا احمل لهذا التواضع في الحياة ما يشبه التشفي والشماتة · انها الغريزة الملعونة ؟؟

ان الشعر العظيم الذي كان يجد الاعجاب من الناس ، لم يكفل له رزقا يصلح من امره ، ويعينه على العيش في مستوى مقبول ·

ووجدت التيجاني يوما ـ منهكا ومنهمكا في تصحيح كتاب، (نفثات اليراع) المنسوب للاستاذ محمد عبد الرحيم (مؤرخ سوداني) فقال لي في حرارة : انني في الواقع مؤلف معظم هذا الكتاب ... بل ان الفصول القليلة التي كتبها محمد عبد الرحيم اضطررت لاعادة صياغتها حتى تتمشى مع اسلوب الكتاب العام ·

ومضى فقال :

وهذه القصيدة التي ذيلها محمد عبد الرحيم بتوقيعه ووجهها للسيد الامام عبد الرحمن المهدي ووضعها في مقدمة الكتاب ، انما هي من نظمي ... لقد كان يجب ان يحمل هذا الكتاب اسمي لا اسمه· واضاف ولكن حرصي على الثلاثة جنيهات الشهرية التي يستخدمني بها هي التي تقسرني على قبول هذا الضيم ·

وكان التيجاني حزينا ومنفعلا وضيق الصدر ·

وجلسنا انا والتيجاني في الجانب الخلفي من مكتبة النهضة السودانية في عمارة الاوقاف بالقرب من جامع الخرطوم الكبير على اريكة خشبية مستطيلة حيث كانت توجد ماكينة طباعة تدار باليد استخدمت من قبل لاصدار مجلة النهضة لصاحبها محمد عباس ابو الريش · وكان التيجاني يصلح من بروفات مجلة ام درمان التي كان يصدرها محمد عبد الرحيم ويوضب الصفحات توطئة للطبع ·

وكان الوقت اصيلا ، وكانت اشعة الشمس الصفراء الباهتة تتسلل داخل المكان شبه المعتم من منفذ ما ، وكانت الحمى تسري في بدن التيجاني ، ويده ترجف ، وهو ممسك بالقلم ، وشفتاه جافتان ، وفي جبينه التماع، وعمامته منسدلة على كتفيه كعادته، وقد خلا رأسه من الطاقية ، وبدت وفرة من الشعر في مقدمة رأسه كحال شباب تلك الايام · وقال لي كالمتهكم في صوت ادنى للخفوت : انني لا استطيع ان استريح رغم مرضي ، لان عبء المجلة كله يقع

هب من نومه يدغدغ عينيه مشيحا بوجهه فى الصباح
طوقت فى خياله ذكريات الروع واعتاده مطيف الجماح
ضمخت ثوبه الدواة وروت رأسه من عبيرها الفواح
ونفوس سجى الكرى فى حواشيها ودب الفتور فى الارواح
كلما لفها النعاس وأضفى فوقها عالما ندى الجناح
استفاقت وهيمنت بعض أشياء وعادت وعاد قصف الرياح
صور للصبا الاعز موشاة بأحلامه وضوء الصباح

« من قصيدة « الخلوة » وفيها يصف الشاعر أيام طفولته فى « كتاب الحى » · »

على عاتقي ،حتى هذه القصائد التي انشرها بتوقيع احمد محمد نظمي رغبة في التنويع ·

واردف : ان محمد عبد الرحيم لا يحرر في هذه المجلة الا تلفيقاته التاريخية ، وكلها اخطاء ، ولكن من يقول البغلة في الابريق ؟

ولم ار التيجاني بعد ذلك الا خلال محاضرة باللغة العربية كان يلقيها مبشر مسيحي في مكتبة للتبشير بأم درمان ·

وقد شدهت حين لاحظت ان التيجاني اصبح مجموعة من العظام لشدة ضعفه وهزاله · واخذت اساله عن حاله ·· فانصرف عني بوجهه· كانه كان غاضبا على اهمالي له · ومضيت لسبيلي دون ان اصافحه·

وقال لي المبارك ابراهيم – وهو صحفي واداعي – ان التيجاني كان يتجنب الحديث مع الآخرين وبخاصة اصدقائه لبحة اصابت صوته ··· لقد كان يخشى من سوء الظن بالمرض الذي الم به ·

وفيما كنت ازاول عملي في جريدة النيل صباحا اذا بالتليفون يطلبني وكان المتكلم هو المبارك ابراهيم ·· وقال لي : التيجاني جاء مستشفى الارسالية بام درمان وقد وجد مصابا بالسل في درجاته الاخيرة ·

وكان المبارك في ذلك الحين كاتبا بمستشفى الارسالية الانجليزية ·

وقد علمت فيما بعد ان السبب في استشراء الداء بصدر التيجاني يرجع الى عزوفه عن الذهاب الى الطبيب في البداية ، استهانة بالمرض الذي لم يكن يعرف عنه شيئا وبالتالي لم يعرف خطورته ·· وعندما تطور المرض كان يخشى من اكتشاف الحقيقة فيسوف ويماطل في الذهاب الى الطبيب رغم نصح النصحاء ، وعندما اضطر للذهاب كان السيف قد سبق العذل ·· ولم يبق الكثير لكي يعمل ·

يفرح الطين فى يدى وألهو
جاهدا أهدم الحياة وأبنى
وطنى فى الصبا الدمى والتماثيل
ونفسى ومن أحب وخدنى
هذه يا أبى تصاوير ما تبرح
دنياى أو تزايل كونى
يصنع الغاب مزهرى ويشيد
الرمل عرشى ويبعث اللهو أمنى
هى دنيا الصبا لا جنة الشيخ
تفيض النعيم من كل لون

« من قصيدة « ثورة » ، وفيها يتحدث الشاعر عن ذكريات طفولته » ·

وكان واجبي يقضي بان اسارع فاعود التيجاني وكان واجب الكثيرين من اصدقائه يقضي بان يعودوه ولكنني لم افعل ولكنهم لم يفعلوا ·

فقد كان داء الصدر في ذلك الوقت غولا مخيفا عند الناس ·

فهل كان امتناعي وامتناعهم اتقاء للعدوى ·لا ادري ؟ ·· حقا لا ادري·

واخيرا نبئت بان التيجاني قد اخلد الى داره لا يكاد يزايلها بعد ان اقعدته العلة الى ان لحق بالرفيق الاعلى مبكيا على شبابه وعبقريته (عن عمر دون الثانية والثلاثين ·· ولم يكن قد تزوج بعد) ·

وما كاد خبر وفاته ينشر بين الناس حتى بدا الاسى على وجوه عامة المثقفين ، وحتى اخذت الصحف تذكر محاسن شعره ، وما امتاز به من جودة وابداع !

وجرد الادباء اقلامهم ، ونظم الشعراء قوافيهم ، وعاد الاسم الذي كان مهملا الى الصدارة ··!

كتبت يوم ذاك في جريدة النيل نقدا لاذعا لتصرف الناس حيال التيجاني ، واكدت في هذه المقالة بان هذا الشاعر المبدع لو لقي من كل هؤلاء الباكين المتفجعين ما يعينه على العيش الكريم ، لكان وضعه يختلف عما آل اليه الحال ·

ان داء الصدر الذي اصاب التيجاني كان نتيجة مباشرة لسوء التغذية وعدم توفر العناية الطبية ·

وحسبك بهذا ايضاحا لموقف اولئك الباكين المتفجعين !

وقد عبر التيجاني عن الطور الاخير من مرضه كما عبر عن مأساة اصدقائه في قصيدة تعد من عيون الشعر العربي، بعث بها الى الصديق الوحيد الذي وفي له خلال محنته وهو الشاعر محمود انيس وكان موظفا في تلغراف السكة الحديد بالخرطوم· قال التيجاني من هذه القصيدة يشير الى اصدقائه :

غمرتني نعمى يديك على حين
تجنت على هواي الرفاق

ذكرياتي مع الشاعر

التيجاني يوسف بشير



خرجوا سالمين منه بحمد الله؟؟

في زورة علاها النفاق
ما على القلب منهم وبحسبي
صاحب ملء روحه الاشفاق

ويختم التيجاني قصيدته للشاعر انيس بقفزة انفعالية انسانية تثير في النفس اقصى غايات الالم والاشفاق

فاحتفظها ذكرى فان مت فاقرأ
بينها الحب ما عليه مذاق
او حيينا فسوف نقرأ فيها
فترة لا اعادها الخلاق

ومسالة يهمني ان انوه بها وهي ان الذين كتبوا عن الشاعر لم يكونوا يعرفونه ... معظمهم حاولوا استنطاق شعره لكي يتعرفوا على دقائق حياته واسرارها وسلوكه الشخصي ... وهو امر لم يكونوا فيه على صواب .

فان شعر التيجاني لا يصور حياته تصويرا امينا .

وقد تتاح الفرصة لمن يعرفه حق المعرفة من مخالطيه واصدقائه ان يضع الصورة الامينة ، بكل ما فيها من جوانب .. مظلمة او مضيئة .

وواجب دارسي هذا الشاعر الفذ الذي لم يتلق غير تعليم ديني محدود وخرج من المعهد الديني - دون ان يستوفى دراسته ثم سطع كما تسطع الجوهرة بين الادران ، ... واجب دارسي هذا الشاعر ، وهو ظاهرة انسانية فريدة ، ان يتعمقوا حتى يصلوا الى الحقائق ... والحقائق ... المجردة ولا تشغلهم عن هذا التعمق ، المثاليات التي يبدعها شعره ...

يحيى محمد عبد القادر
صحفي متقاعد - الخرطوم

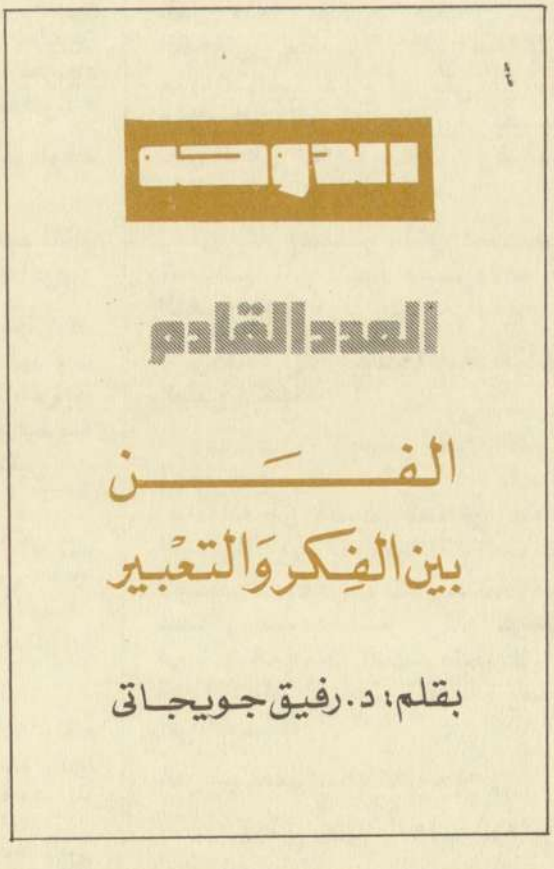
شاعر لا نعرفه من العصر الاموي

● من اجل توثيق الارتباط في التراث العربي ، يصدر من المملكه العربية السعودية كتاب للشاعر الاموى «ارطاة بن سهية» .. وهو شاعر فحل جيد .. لم يدرس شعره من قبل .. كما انه الابن الحقيقي للشاعرالصحابي « ضرار بن الازور » .. وقد نشا هذا الشاعر في غير بيئة ابيه .. وكان اقرباء امه اذا احتاجوه تقربوا اليه ، واذا استغنوا عنه عيروه بانه ليس منهم ، حتى لقد قال فيهم :

فاذا خمصتم قلتموا ياعمنا
واذا شبعتم قلتموا ابن الازور

وقد بذل مؤلف الكتاب الشيخ عبد العزيز الرافعي المستشار بالديوان الملكي جهدا لاثبات نسب الشاعر الحقيقي ، واعتباره من اهم شعراء العصر الاموى ..

والكتاب يصدر ضمن سلسة « المكتبة الصغيرة » التي يشرف عليها المؤلف ، واصدر منها حتى اليوم خمسة وعشرين كتابا ، واشترك فيها العديد من الكتاب في العالم العربي ، مثل الدكتور عبد المنعم خفاجي والشاعر العوضي الوكيل من مصر ، والباحث والشاعر هلال ناجي من العراق .



درويش مصطفى الفار

أضغاث أحلام



مع البطل معروف الحضرى

فى حزيران سنة ١٩٤٨ كنت تحت امرة الاخ العميد البطل (معروف الحضرى) يرحمه الله ، لاداء عملية كلفنا بها ، وبعد أداء ما استطعنا ، وقف معروف يرقب مشارف المكان ، وفجاة قال لى « أنا اعتقد بكل يقين ان هذا الصراع سوف يستمر أكثر من ثلاثين سنة » واردف يقول بنبراته الهادئة الشجاعة العميقة : اننا نفكر بعقلية أولئك الذين ، اصروا على دخول الجيوش النظامية فى هذه الحرب ، وهم قد تربوا على (كتاب المطالعة) الذى يروى قصة (الغراب الذكى) ذاك الذى يقال انه قد عطش يوما ، وطفق يبحث عن الماء ، فما وجد غير حب (زير) فى قاعه قليل من الماء ، فهداه (ذكاؤه) الى التقاط بعض الحصا واخذ يلقيه فى الحب حتى (ارتفع الماء) الى حافته فشرب وارتوى وحمد الله !!! وهذا الكتاب تتداوله المدارس والكتاتيب وتصبه صبا فى عقول ابنائنا ، وما من عاقل يكلف نفسه مجرد التفكير فى اجراء تجربة يثبت بها فى (كوز صفيح) ان الماء لا يمكن ان يرتفع الى الحافة بالقاء الحصى بل سيظل راكدا فى القاع تحت الحصى بكل تاكيد ... لان الحصى تكون بينه فجوات تسمح للجاذبية الارضية ان تسحب الماء الى أسفل الحصى مهما كثر ، ومرت الاعوام ، وتجددت تلك القصة العجيبة فى أثواب مختلفة ... فوقف (موجه فكرى) فى احدى العواصم العربية الكبرى ، « وكنت استمع اليه انا ومعروف يرحمه الله » ، وهو يقول : « ان تزايد البشر على هذه الارض سوف يزيد من وزن الكرة الارضية ! ، ومن هنا سوف تختل فى دورانها حول محورها وفى مسيرها فى فلكها حول الشمس فتحدث الكارثة فلابد من (تحديد النسل) اذا اردنا أن تحتفظ الارض بقوانين الحركة دون اختلال !! » وهنا التفت الى معروف يرحمه الله وقال (أهكذا تعلمتم فى كلية العلوم ؟ هذا واحد ممن يديرون الصراع وهذه عقليته !) ... ثم مزقتنا الايام والليالى ، وعدنا لنتجمع صدفة على ساحل العريش ذى النخيل فى شمالى سيناء مع نفر من (الخبراء) الذين كانت الدولة تستعين بهم لحل مشاكل الماء هناك ... واخذ (الخبير) يفسر وجود الماء العذب تحت النخيل على قيد خطوات من البحر ، بان رمال شمالى سيناء من خواصها (التى يعرفها الخبير الذكى) انها تمتص الملح من ماء البحر فتحيله عذبا فراتا !! وهنا صحت فى وجه الخبير على مسمع من معروف يرحمه الله : « ان هذا (التخريف) الذى تهذى به يا سيادة الخبير لا يعرفه العلم بعد ، ولو صح ، فانا باسم الملايين من سكان الصحارى فى العالم كله ، أرشحك لجائزة نوبل !! » وما كدت أفرغ حتى انبرى (أحدهم) وعاتبنى بمرارة كيف أجرؤ على أن اعارض الخبير (الذى تكلف الدولة خزينتها من أجله - كذا - فى الساعة) .... فسحبنى معروف يرحمه الله من يدى وانصرفنا ، ونحن متفقين تمام الاتفاق على ما يلى :

● طالما كان هنالك اصرار من غالبية المجتمع على تصديق ان الغراب (ذكى) وان الحصا يرفع الماء الى حافة (الزير) لمجرد أن هذا مكتوب فى (كتاب المطالعة) وتتداوله الكتاتيب ومدارس القرى منذ قرون دون أى تمحيص ...

● وطالما اصررنا على اكراه المجتمع ان يصدق بالقوة (الموجه الفكرى) الذى يغطب فى الناس (ان تزايد النسل) سيرفع وزن الارض ويزيد كتلتها ناسيا لجهله ان البشر يتكونون من تراب الارض وهوائها ، وان وزن الارض اذا كان سيزداد لدرجة تخل بقوانين حركتها حول محورها وحول الشمس فان هذا سيتاتى فقط من ملايين (النيازك) الدقيقة والكبيرة التى ترد اليها من الفضاء الكونى بعيدا عن المجموعة الشمسية لحكمة لا يدركها الا الله صاحب الكون وخالق الناس من التراب والهواء ...

● وطالما استمر بيننا الاصرار على الايمان بان (الخبير الاجنبى) رجل (يوحى اليه) ولا تجوز منا مناقشته وليس من الادب محاورة آرائه (حتى ولو كانت تقرر ان الرمل أو الصخر يمتص الملح من ماء البحر فيصير سائغا للشاربين) .

طالما استمر هذا النوع من (العقليات) يسيطر على الامور ، فان الصراع بيننا وبين (أى عدو) سوف يطول (ويمد رجليه) .. حتى نسمح كما أمرنا الله صراحة بمناقشة ووزن صحة (ذكاء الغراب) ولا نسمح لمثل ذلك (الموجه الفكرى) ان يخاطب الناس ويفرض عليهم غباءه الذى يقضى عليه بان يقول (ويل للمصلين) ويسكت ، (لا تقربوا الصلاة) ويسكت لانه يتجاهل أو يجهل بقية الآيات ، ولكن ظروف القهر تاتى به رغم الناس (موجها فكريا) كما تاتى (بالخبراء) التافهين لكى يمتصوا أموال الشعوب ، دون أن تستحى دور العلم ومعاهده هذه فى بلادنا وتجابه هذه الكارثة بنوعيات من الخريجين يكبحون جماح هؤلاء الذين يطلبون منا أن نصدق أن رمال شاطىء العريش تمتص الملح من ماء البحر حيث كنت اقف يوما ما مع البطل معروف أحمد الحضرى رحمة الله عليه .

درويش مصطفى الفار

عبد المنعم الجداوى

الجريمة فى الحى اللاتينى لسهيل ادريس

الجريمة التى قلّما يفلت منها شاب شرقى فى أوروبا!

الحملة على الشرقى المفترى عليه.. يشارك فيها كتّاب الشرق أيضًا!

قتلت زوجها الشرقى بالرصاص.. وقالت المحكمة: كان المجنى عليه متوحشًا!

يفقدوننا طاقاتنا الإنسانية والروحية ثم يطالبوننا بها!

فى « الحى اللاتينى » يدفع « سهيل ادريس » بطله ليضرب ضربته المفرقة فى اللذة ·· فهو شرقى جاء من « بيروت » الى « باريس » ··· يحلم بالحصول على الاوربيات ، أكثر مما يحلم بالحصول على اجازته العلمية ، ومنذ اللحظة التى تطأ فيها قدمه أرض « باريس » ، وهو يحاول مخلصا وجادا أن ينفذ الى أعماق أية امرأة ·· وحبذا لو كانت باريسية ·· وفى هذا البحث ·· لابد بالضرورة أن تقع الاخطاء ··

ومع الاخطاء جرائم صغيرة ·· تمهيدا للجريمة الكبرى ·· التى لن يكون المجرم فيها من المجرمين العاديين بل سيكون عادة وغالبا من الحاصلين على علم كبير وغزير · ويفقدون فى نفس الوقت أروع ما جاءوا به من الشرق ·· عفة الروح وطهارة الجسد ، والحرص على القيم والمثل العليا ··!

وبطل « الحى اللاتينى » لا ينقصه سبق الاصرار والتربص منذ الوهلة الاولى · فهو يحمل التصميم على جريمة اقتحام أوربا ولكن عن طريق نسائها ·· وهى الجريمة التى قلما يفلت منها أحد شباب الشرق المكبوت ·



سهيل ادريس

الشرقى المفترى عليه

وليس لهذه الكتابة عن لقاء الشرق بالغرب أو الصدام بينهما ·· من باعث سوى الاحساس بالحاح هذا الخاطر على كل الذين كتبوا فى هذا النحو ·· وثمة قصة لجريمة ضخمة صاحبتها فضيحة بحجمها ·· وقعت بين أحد المصريين من ابناء الباشوات ·· وفرنسية انهت حبها له برصاصة صرعته ، وهما ينزلان فى فندق بانجلترا ··· وكان للجريمة دوى عالمى وقتها ·· وأصدرت المحكمة الانجليزية حكمها ببراءة المتهمة ·· بعد أن ترافع عنها أشهر المحامين فى انجلترا وقتها ·· وأول ما ارتكز عليه المحامى فى دفاعه ·· هو أن الرجل الشرقى يستحق القتل ، وكانت حيثياته ··· هى ما يكتبه الكتاب الآن فى مثل هذه الروايات ·· عن هذا الشرقى الذى يعذب المرأة الاوروبية بحبه ·· فاذا ما أحبته عاملها معاملة الحريم المتأصلة فى أعماقه ، والموروثة من أجداده · وهذا هو المعنى الذى يبثه الكاتب فى روايته « الحى اللاتينى » لكى يخرج القارىء وهو يحتقر الشاب الشرقى بطل الرواية ، ويتعاطف بلا حدود مع المرأة الفرنسية أو الالزاسية ··!

ويحضرنى هذا السؤال الآن ·· هل الكتاب تأثروا بهذه الصورة ·· التى رسمها « السير شارلى » الذى دافع عن « مرجريت » التى قتلت ابن الباشا عام ١٩٢٣ ؟·· مع انه من الجائز انهم لم يسمعوا عن هذا الحادث ، ولكن الصورة تسربت اليهم عبر وجدانيات الجيل الماضى دون أن يشعروا ،



وراحت تتكون وتفرض نفسها على كتاباتهم •• مستعينة •• بما يحملونه فى صدورهم من حقد ضد تقاليد ضايقتهم طويلا ، وكبت احبط فى اعماقهم عشرات الرغبات ••!

والعجيب فى الامر •• ان المراة الاوربية البيضاء •• التى امسكت بالمسدس ، واطلقته على الرجل الذى انفق عليها فى شهور زواجها الملايين ، واتاح لها حياة الملكات •• دافع عنها محاميها بانها متعضرة ضاقت ذرعا بأساليب الرجل الشرقى المتوحش •• القاتلة حضارية تستحق الاعجاب ، والمقتول متوحش لانه رفض ان تسافر من انجلترا الى فرنسا •• متعللة بانها تريد ان تجرى عملية جراحية ، وهو يعلم انها حيلة للقاء عشاقها القدامى ، واعلنته بذلك عندما اصر على رفضه •• ثم قتلته ، ومع ذلك فهو رجل افريقى متاخر يجب ان يموت •• اليست هذه مغالطة اوروبية ••؟

واذا كان « الطيب صالح » قد جعل روايته « موسم الهجرة الى الشمال » ، بطل الرواية ينصب شباك اغرائه للفتيات الاوربيات ، ثم يلتقى « بجين » الثائرة •• المستسلمة •• الهادئة •• العنيفة •• وتشترط عليه الزواج فيتزوجها . لكنها بعد الزواج تكتشف كم كانت تافهة ، وخائنة لاوروبيتها التى تركتها للافريقى الفحل •• يدوسها ، ويمرغها فى فراشه •• ثم تغريه بقتلها ، وتمتنع عليه ، وتستفز فيه افريقيته ليقتلها ، وتنجح فى ذلك ، ويمضى للمحاكمة ، ويجلد تاريخ الشرق كله فى المحكمة ، ويصدر الحكم عليه بالسجن سبع سنوات ••!

التمهيد والتبشير بالخطيئة

وقد اتى « سهيل ادريس » فى « الحى اللاتينى » •• ببطلة مختلفة تماما •• الزاسية معطوبة النفس والشرف •• ضبطت خطيبها ، وهو يغوتها قبل الزواج ، فرفضت ان تتم الزيجة •• رغم الورطة التى سببها لها هذا الخطيب •• وهى تقول كل ذلك للبطل القادم من « بيروت » ، الذى يبحث عن امراة •• يجرب معها الحب الذى كتب عنه طويلا فى اشعاره دون ان يعالجه •• وهى طائعة مستسلمة سعيدة معتزة بما تفعله كل الاعتزاز •• فهى باعترافها تحقق وجودها • اما هو فرغم انه يتعذب بهذه العلاقة •• لبقايا الرواسب الكامنة فى اعماقه ، والتى تطرح عليه كلما خلا الى نفسه ، السؤال الرهيب : وماذا بعد ؟ رغم هذا كان يتظاهر بانه يساويها سعادة اذا لم يتفوق عليها •• ولكنه كان كاذبا •• وهو اول من يعلم انه ممعن فى كذبه •• فهى حينما تمارس الحب •• تمارسه عن يقين بانها تمارس حقا لها لا يجب ان تتخلى عنه •• اما هو واى شرقى فهو يمارس الحب ، وهو موقن انه يرتكب ذنبا •• لابد ان يستغفر منه •• وشتان بين الحق والذنب •• وليس لها فضل فى هذا ، ولا يجب ان يكون عليه لوم فى ذاك •• فهى كونت مفاهيمها عبر حياتها فى اطار مجتمعها ، وهو ايضا وضع مفاهيمه من مصادر حياته واهله •

وحينما كانت العلاقة بينهما مستمرة ، وقاصرة على اللقاءات والممارسة •• مضت هينة « لينة » تجرى كجدول رقراق •• حتى اذا ما تعرضت لاول امتحان •• حدث الذى كان يجب ان يحدث •• والذى تؤيده كل البواعث من الجانبين •• عاد البطل الى

الجريمة في الحي اللاتيني لسهيل ادريس

« بيروت » في أجازة عاجلة نظرا لمرض أمه ·· وبقيت البطلة وحدها في « باريس » ومنذ أن وقعت عينه على أمه ، ورأى بيته وأسرته ·· أطبقت عليه كل القيم التي كان قد انزلق منها ·· عادت تحاصره بأحكام من جديد ·· وبعد رسائل منها ثلاث ···

وصلته رسالة تقول فيها انها حامل ··· وتنتظر رأيه ·· وصلته هذه الرسالة ، وهو يعيش في معقل التقاليد الذي عاد اليه ·· فأسرع يكتب اليها الرد ·· لم يتردد ، ولم يتريث ، ولم يفكر طويلا ·· فقد أفزعه الخبر ·· وجد نفسه مطالبا بأن يدفع ثمن ذنبه ·· لا ان يعترف به فقط ·· وهو في محراب للتقاليد يجعل عقوبة مثل هذا العمل أحيانا الموت ··! فهو نسي أو تناسى دوره في « باريس » تماما ·· دور الشاب الشاعر الذي جاء يمارس حماقاته ، ويستزيد من العلم ·· ويعيش الآن هذه اللحظات بالذات دور الابن الطيب الذي تتعلق به آمال أمه . وأماني اخوته في أن يتزوج من جارة لهم وينجب البنين والبنات !

وها هو ذا يصر على عدم الاعتراف بالحمل ·· مبررا لنفسه انها لم تكن يوما وقفا عليه ·· فكيف يقبل أن يكون له شركاء في ابنه ·· وأسرع يصفعها بالرد ·· متملصا من ذنبه ·· متخليا عنها كشريكة له ··!

شخصيتان مريضتان

ولست أرى في ذلك مدعاة للعجب ··· دفاعا عنه ولا اعجابا بما فعل ···؟ ولكن كل المقدمات التي صاغها المؤلف ، وصاغ منها شخصية البطل ·· كانت تشير الى انه لن يصدر منه الا مثل هذا الفعل ·· فهو موئق الكتفين بالتقاليد ·· غير متمرد عليها ·· لكنه رضاء العاجز وليس رضاء المقتنع ·· واذا فهو شخصية مرضية ·· أطلق لنزواته العنان في « باريس » ·· فلما جاءت ساعة الحساب ·· كان من الطبيعي أن يتملص ، وأن يرد هذا الرد غير الكريم ···!

وايضا لم تكن البطلة بالشخصية السليمة ··· حتى ولا بمقاييس مجتمعها الاوروبي ·· فهي قبل أن تلتقي بالبطل اسلمت نفسها لرجل يزمع الزواج ·· ثم فجعها في احلامها على حد قولها بممارسته الخيانة مع أخرى ·· فتمردت على أهلها ، وجاءت الى «باريس» متعللة بتكملة الدراسة ، والبحث عن عمل ·· والح عليها الخائن مستغفرا تائبا ، ولكنها رفضت توبته وعودته ·



واستسلمت لمغامرة مع فتانا بطل الرواية القادم من الشرق ·· لعلها وجدت فيها السلوى عن صدمتها الاولى ·· وكان عليها أن تدرك أن الذين يبحثون عن مغامرات صغيرة من الشرقيين ·· أبدا لن يتزوجوا بطلات هذه المغامرات ·· فالرجل الشرقي بحكم البيئة والتقاليد ليضع سدا منيعا بين الحليلة والخليلة ·

وهكذا نسجت جريمة الاجهاض في رواية « الحي اللاتيني » ·· التي شارك فيها البطل ، وحاول أن يغسل يديه منها ، وهو على البعد في « بيروت » ·· فشارك بالعبارة التي صاغها ردا على « جانيه » مرة أخرى في جريمة قتل ، وهكذا لكي يهرب من جريمة ارتكب جريمة أكبر ···!

كانت رسالتها بعد أن اخبرته أن الطبيب أنباها أنها سوف تصبح أما ·· حزينة ، وذكية ، وموحية ·· فهي تقول « انتظر منك اشارة لانني لا أملك أن أتخذ قرارا ما ·· فماذا افعل يا حبيبي ؟ لماذا أنت بعيد عني هذا البعد كله ···؟ »

وهي بالقطع رسمت في ذهنها صورة له عند استقبالة رسالتها ، وصورة له عند كتابة الرد ، ولم يكن أبدا الرد الذي تلقته ·· فهو لم يكن سخيفا فقط ، وانما كان وقحا الى حد انه فقد رقة الذوق ، التي يتميز بها الرجل الشرقي لا سيما اذا كان شاعرا ·· وكان في رده قاسيا ·· انهال عليها طعنا ليقتلها ، ويقتل الجنين في بطنها· وهو في كامل قواه العقلية كما يقولون ·· وكال في رسالته من السب كما يقولون ·· ما يضعه تحت طائلة قانون العقوبات ···!

اذ يقول لها في رده « تلقيت رسالتك التي تبلغينني فيها انك تنتظرين مولودا ·· على ما قال لك الطبيب ·· وقد دهشت حقا حين فهمت انك لم تعلني هذا النبأ السعيد لجميع أصدقائك ، وهم ليسوا قليلين ·· هؤلاء الاصدقاء الذين أعرف انه لك مع بعضهم علاقات « غير طاهرة » ·· اما علاقاتنا نحن الاثنين ، فاحسبك لا تشكين بانها كانت بريئة ، ولهذا أجدني ، وتجدينني كذلك ، غير متأثر بهذا النبأ ، وليس لي أن اقدم لك أية نصيحة أو اشارة ·· تحياتي الصادقة لك ·· »

لم يكن شرقيا ..!

رسالة كتبت فى خبث ، وحذر ، وحرص .. حتى لو انتحرت الفتاة ، ووجدت هذه الرسالة فى اوراقها .. لما كان عليه أى لوم .. بل هى وثيقة تبرئة له .. فهو يقول فى جراة أن علاقته بها كانت بريئة ..: الا اذا كانت مقاييس البراءة لديه مصنوعة من بلاستيك أو مطاط .. واعود فاقول انها كانت تطلب منه عملا اخلاقيا على مستوى انسانى لا يملك القدرة للاقدام عليه .. ولو انه كان يملك هذه الطاقة لما شاركها حماقاتها ، ولتزوجها فى اصرار .. ليغير سير الاحداث .. فهو لم يكن شرقيا حينما يمارس الحب الملوث معها ، ولم يكن شرقيا حينما اهدر فى فراشها عفة روحه ، وطهارة جسده .. ولم يكن شرقيا أيضا حينما قتلها بهذا الرد المدمر الخسيس ..!

وقد اخفت طعنتها عن الجميع ، ودخلت المستشفى صريعة العمى بعد الاجهاض .. واصرت على ان تختفى عن عيون كل الذين يعرفونها ويعرفونه .. وساءت حالتها المالية والصحية ، وطردت من العمل ، والقت بنفسها فى قلب الليل .. لكى تعيش .. تبذل من جسدها ما تحوله الى فرنكات ..!

ويعود هذا الشاب من « بيروت » الى « باريس » ، ويبحث عنها حتى يجدها .. يلتقيان فلا يتحدثان عن جريمتهما .. وفى دناءة مقززة يعرض عليها ان يعاودا حياتهما .. فتهرب منه تاركة له رسالة .. تقول فيها انها باعت نفسها للشيطان ..!

مجرمان قاتلان .. لا يستشعران اى ندم على جريمتهما .. كلاهما جان ومجنى عليه .. اشتركا فى قتل ضعية لم تولد بعد .. مع كل الظروف المشددة للعقاب .. ومع ذلك فالكاتب يحاول أن يجعل من « جانيه » شهيدة الرجل الشرقى ، وان يجعل الشاعر الاحمق الماجن شهيد تقاليد الشرق وعاداته ..!

ابدا ليس هذا البطل هو الصورة الحقيقية لكل شرقى ذهب الى « باريس » ليدرس .. وهناك عشرات من الصور المشرفة للشبان الذين درسوا فى « باريس » فتفوقوا . واحبوا فتزوجوا من زوجات طاهرات .. كان لهن الفضل فى نجاحهم .. ذلك لانهم لم يبددوا طاقاتهم الانسانية التى شعنتهم بها تقاليد الشرق وعاداته .. على موائد الصداقات السيئة ، والحماقات الصغيرة المغرقة فى اللذة المحرمة ..!

لست افرض وما كان وما يكون لى ان افرض على الكاتب شخصيات بعينها فلكل كاتب الحق فى ان يختار ما يشاء من الشخصيات ابطالا لرواياته .. ولكنه فقط عليه ان يحذر من أن يقع فى مصيدة الغرب ..هؤلاء الذين لا يريدون فى الشرق الا كل ما هو سيىء ، ومنفر ، ومضاد للحضارة .. رغم ان كبار مفكريهم .. بعد ان افلست حضارتهم المادية .. بدأوا يتجهون بكل حيرتهم الى روحانيات الشرق ، وتقاليده ، وسمو اخلاقياته .. الاخلاقيات التى يجب ان تكون .. لا التى يمارسها بعض الشرقيين الآن فى اوربا ..!

عبد المنعم الجداوى

العدد القادم

حكايات الغد
فى الليلة الثانية بعد الألف

دراما إذاعية بقلم : نعمان عاشور

النظافة من الايمان

القائمة الاتية توضح استهلاك الفرد من الصابون بالاوقية فى السنة فى البلدان المذكورة ادناه :

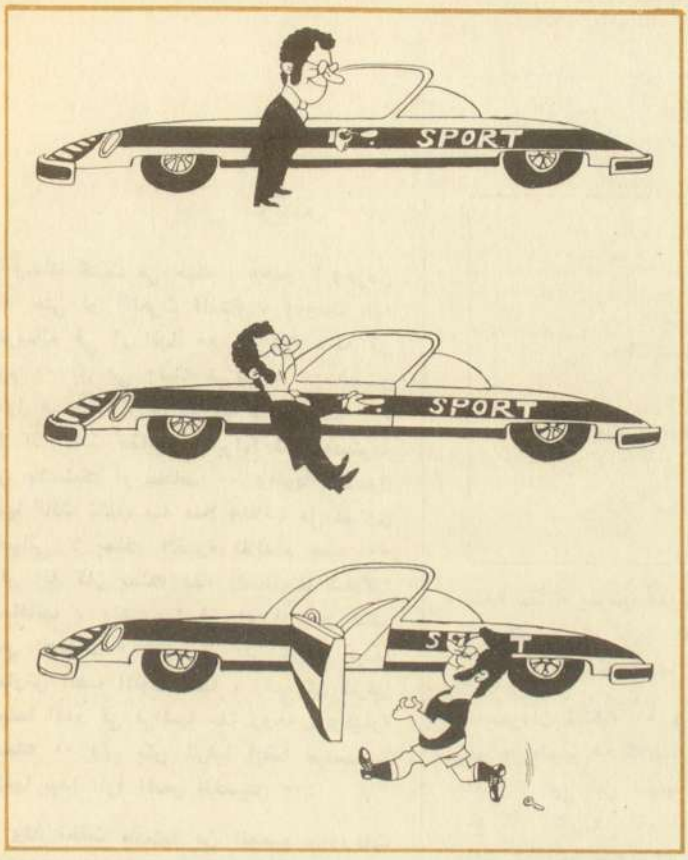
انجلترا ٤٠ أوقية سنويا .. سويسرا ٣٧ أوقية سنويا .. المانيا ٣٤ اوقية سنويا .. السويد ٣٣ أوقية سنويا .. فرنسا ٦ر٢٢ أوقية سنويا .. هولندة ٢ر٢٢ اوقية سنويا

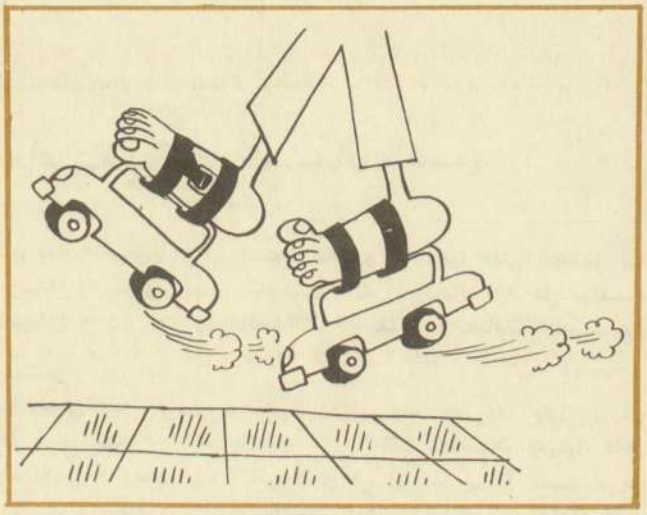
● ● ●

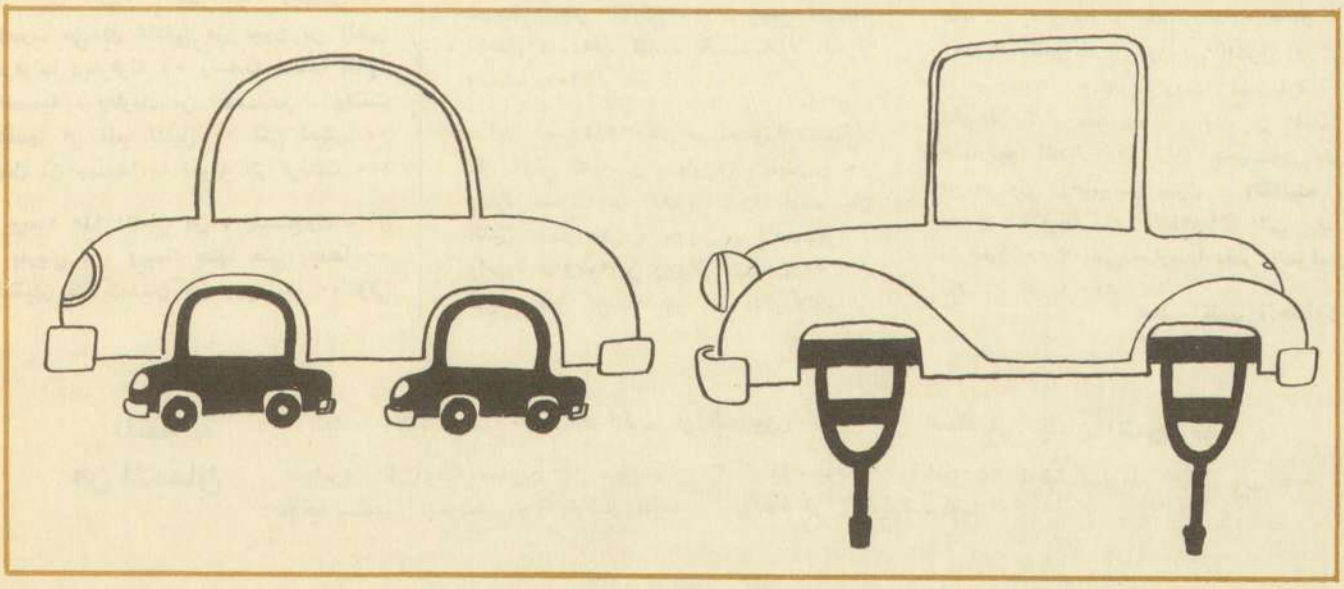
لم يتزوجوا .. لم يتزوجن أبدا !

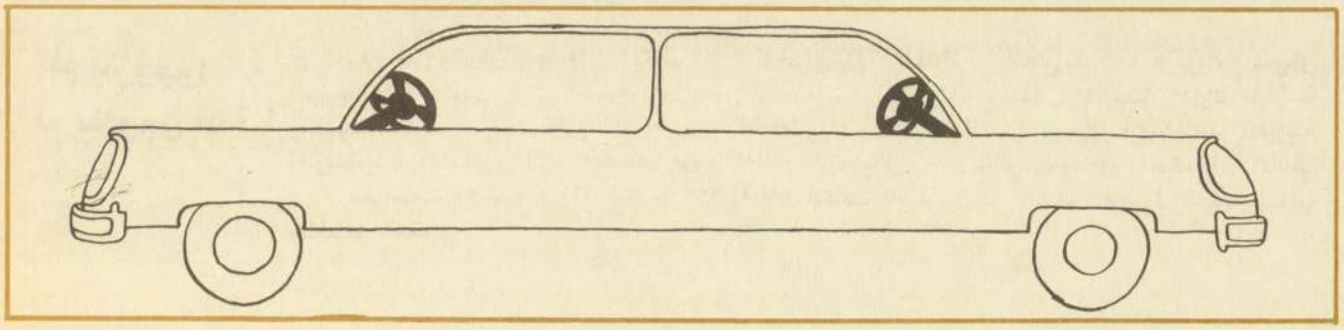
● لودفج فان بتهوفن الموسيقار الالمانى ... جين اوستن الكاتبة الانجليزية ... فردريك شوبان الموسيقار البولندي ... الملكة اليزابث الاولى ملكة انجلترا وايرلنده ... جان دارك البطلة والقديسة الفرنسية ... ماريا مونتسوري الطبيبة والمعلمة الايطالية ... اسحاق نيوتن عالم الفيزياء والرياضيات الانجليزي ... الكسندر بوب الشاعر الانجليزي ... آرثر شوبنهور الفيلسوف الالماني ... آدم سمث الاقتصادى الانجليزى ... فولتير الكاتب الفرنسي ... عباس محمود العقاد الكاتب والشاعر المصري ...

سيارات









محمد المنسى قنديل

طرفة بن العبد

حياتنا قصيرة.. وليتها تعاش



اغمض طرفة عينيه .. رأى الصحراء مثل بيضة فاسدة . صفرتها الشاسعة اولى علامات التحلل والريح تحمل رائحة الاغتيال .

اغمض طرفة عينيه . رأى السحب الرمادية التى لا تحمل مطرا . تركض هاربة . والشمس تزيد من غربة الاشياء من حوله . حتى « أمامه » . حبه الاول وأمنيته الاخيرة. تلقى باشعار الحب وسط قضلات الابل .

فتح طرفة عينيه فرأى « ابو الفرج الاصبهانى » أمامه .. يحذره فى جدية مضحكة .

ـ ان قومك يكرهونك يا طرفة ؟..

قال طرفة وهو يهز كتفيه .

ـ أعرف ذلك .. اننى أقابل كراهيتهم باللامبالاة .. وأواجه غضبتهم بالاشعار اللاذعة . أوما أبو الفرج برأسه فى رثاء .. وقال قبل أن يمضى .

ـ تالله .. انك لقصير العمر .

وسار طرفة . يحس فى داخله بذلك الجمل الاجرب وهو يركض . لا يهدأ . ولا يترك جلده خاليا من الوشم . تلفت حوله فرأى كراهيتهم الجدباء . وتركت لحظات العشق فى داخله مرارة غريبة . انهم يكرهونه . ويعشقون زهور الصبار . وجيف الطيور . ولصوص الغارات .

وفى الحانة قال أول بيت من الشعر .

ـ اذا القوم قالوا من فتى ؟..

خلت اننى عنيت فلم أكسل .. ولم أتبلد .

حاصرته وجوههم المستفزة . الا انهم يجاهدون فى اخفاء خطاياهم المضحكة . حفنة من رعاة الضان والسماسرة . وتجار البضائع . ومحترفى سرقة القوافل . تحاول أن تقيم من أشلائها المفككة جسدا . متكاملا . بلا خطايا .. هذه هى قبيلته .

سألوه .. يا طرفة . لماذا تعيش ؟.. قال . لاننى انتظر الموت .. أحس بقيده مربوطا فى عنقى . كلما مضت لحظة . ساعة . ثنى القيد فى يده وجذبنى اليه مسافة قصيرة . قالوا .. لماذا لا تشترك معنا فى الغزوات اذن ؟.. قال ساخرا .. وهل تضمنون لى الخلود ؟.. قالوا سوف تأخذ نصيبك من غنائمنا .. هتف فى حدة .. وكيف ارتدى ثوبا ملوثا بدماء الآخرين أو أدخل على نساء يهبن أجسادهن لاول غاز . قالوا فاخرج معنا للتجارة .. لوح بيده .. واقايض روحى لقاء ثوب من الحرير . أو حفنة من التمر . وفى النهاية وجدوا أن مناقشته عبثية .. فعكفوا على اخفاء نزواتهم الصغيرة .

فى نهاية كل يوم متعب غريب .. يضع قلبه عصفورا مقرورا بين يدى « أمامه » .. تساله .

ـ لماذا تحبنى ؟..

يجيب عليها بلا تردد .. لانك تهبيننى القدرة على الحلم .

دون خوف

لطرفة واحة لم تطأها قدم . طيورها تسير على الارض دون خوف من الشراك .

● ضحكا سويا ·· وتبدد الخوف · واشتعل الحب نجمة زرقاء نامت فى عينى «أمامة»

وآبارها لم تلوثها النفايات · وكل احلامها بكر · اخبرته عرافة ان فى بئر من آبارها زهورا تهب الشباب الدائم · وحمل طرفة الوصية وعبر الصحراء الى الواحة ·· انبهرت عيناها بخضرتها النضرة · وذهب الى البئر وخلع ثيابه وهبط · اقترب من القاع وابتعدت السماء · وتسلقت المطحالب جدار البئر تكتب قصيدة غامضة · غاص حتى وجد الزهور · زرقاء · زاهية · قطعة من السماء البعيدة · قطف باقة وضمها لصدره · وسبح حتى رأى الشمس عند حافة البئر · تسلق الجدار · صعد للحافة والقى بالزهور للخارج ثم قفز · فوجىء بوجوه قومه · الوجوه الغريبة التى تكرهه · كيف وصلوا الى واحته ··؟··

ضحكت « امامه » حين شاهدت رعدته ·· قالت فى مرح ·

ـ ليرحمنى الله ·· لقد احببت شاعرا يخاف من كوابيسه الليلية ·

ضحكا سويا ·· وتبدد الخوف · واشتعل الحب نجمة زرقاء نامت فى عينى « امامه » ·· حتى ان طرفة هتف بامنيته ·

ـ تزوجينى يا امامه ··

قالت بمرح تشوبه القسوة ·

ـ وتضع بين يدى حفنة من الاحلام والقصائد ·· انت لا تملك شيئا · لا تفزو ·· لا تخرج للتجارة ولا تحتال ·· قال فى جدية ·· هناك ميراث أبى ·

ـ حين تقبض يديك سوف تكتشف انك لم ترث سوى الهواء ·· لا ميراث الا السيف ·

انطفات النجمة · اكان بريق العشق ام بريق الطموح ··؟·· تمتم · انه ليس كالآخرين · لكنها تركته · رفضت قوانينه الخاصة · كانت تريده شخصا عاديا يخضع لقانون الجميع ·· كيف يتاتى له ذلك ؟ منذ ان تربى غريبا عن قبيلته · ومنذ ان نفخت جنيات « عبقر » بانفاس الشعر فى صدره · وهو يحس بجذوة متاججة · قال لامه ·· ليتك ما ولدتنى هنا · اغرورقت عيناها بالدمع ·· نظر الى وجهها الابيض جاءت من ثلج الشمال وحتى هذه اللحظة لم تستطع مد جذورها فى الرمل الساخن ·· لقد أورثته غربتها الدفينة ·· امامه لا تفهم ·· وقومه لا يرحمون ·· والشعر يستعصى على القلب المثقل بالهموم لذلك قال فى حسم ·

ـ حسنا ·· انا ذاهب للحرب معهم ·

·· دقت الطبول · وقف العبيد يثقفون سيوف الفرسان · واخذ الفرسان يربطون الاشرطة السوداء على أبواب الخيام ليضمنوا عفة زوجاتهن ايام الغياب · وتكومت الزوجات ينتظرن لحظة الترمل ·· لم يكن هناك سعيد بحق الا الاطفال وهم يجرون فى مرح وسط الخيول والرايات الملونة ·· وقال طرفة لشيخ القبيلة ·· انا قادم معكم ·· وبحث عن عين « امامه » عن نظرة وداع · لم يجد سوى عيون الغزاة الباردة ·· اشار شيخ القبيلة الى سيفه بسخرية ·

ـ وهل هذا سيف حقيقى ·· ام من الخشب ··؟··

اخرج طرفة سيفه فى سرعة خاطفة ·· ضوى بريقه الحاد فى عيونهم · ارتد الشيخ مفزوعا ·· قال طرفة :

ـ هل يود أحد ان يتاكد ··؟

ضحك الشيخ ضحكة صفراء ··

ـ انت شاعرنا وابن سيدنا ·· نحن فقط نخاف عليك ··

الى ·· الحرب !

وزمجرت الطبول · كانها الصحراء تتشاءب تحت الشمس القاسية ·· وسار طرفة وسطهم ·· الى الحرب ·· الحياة ضرورة ·· والعشق نزوة ·· لكن الحرب حالة ··

استدار طرفة بجواده · اخرج سيفه · رأى رجال القبيلة وقد شلتهم المفاجاة · والخيام قد تهدمت عن النسوة · والاطفال تدهسهم الخيول دون رحمة · قبيلة لم يرها طرفة من قبل ·· لا يعرف اسمها حتى هذه اللحظة · لكن عليه ان يقتلهم · صاحوا به ·



● رفضت قوانينه الخاصة. أرادته شخصاً عادياً يخضع لقانون الجميع!

● أدرك أنه يحبها .. لكنه لن يكون الرجل الذى تريده

ـ اضرب يا طرفة .. القتل لا يحتمل التردد .

رأى طفلة صغيرة تبكى . فكر . سوف اقتلها . ستكون قربان تحولى وخلاصى . كان قد قرر أن يدك أركان العالم الهش الذى فى داخله . رفع السيف فلم ترتعش الطفلة. استدار بجواده رأى امرأة . فكر . سوف تكون هذه محظيتى وسبيتى . مد يده ولمسها بأنامله . أحس بها ترتعد فى تقزز . أدرك أنه عاجز وأن يكون حذرا حتى لا يسبيه أحد . استدار بجواده فرأى شيخا عجوزا . فكر . سوف أبارزه وأكسر سيفه ثم أمثل بجثته . لكن الشيخ لوح فى وجهه بعكازه الخشبى . وأدرك طرفة أنه هو الاعمى . لا العجوز . وظل سيف طرفة مشرعا بلا جدوى . فكر سوف اقتل نفسى اذن . لعل الحلم يموت فى داخلى .

عاد معهم . يسمع تعليقاتهم الوحشية . يرى الاسلاب والسبايا ويشم رائحة جلودهم حين يختلط العرق بدم المقتولين ، وتخرج من خلاياهم رائحة الاغتيال .. حث أبو الفرج جواده حتى أصبح بجانبه وقال فى خبث .

ـ لقد فضحت نفسك .

ورد طرفة .. لعلى أستطيع أن اقتل نفسى .

هزموه فى غير ميدانه

وجاء الليل . وتوقف الشعر كالغصة . اخفى سيفه وبدل ثيابه فى خجل . لقد قادوه الى لعبتهم وهزموه فى غير ميدانه . وعندما قابلته « امامه » كانت غاضبة . شاعرة بالخزى . لا تقبل حجة ولا مبررا .. وهتفت قبل أن تتركه .

ـ لقد سخرت منى ومن نفسك .

أدرك انه يحبها . لكنه لن يكون الرجل الذى تريده . ذهب الى أعمامه . كانوا أربعة . مترهلين مثل براميل مليئة بالبلح الحامض .

ـ أريد ميراثى .

ـ لم يكن لابيك ميراث بالمعنى المفهوم . ان التجارة تخسر .. وثمر النخل يتساقط كالعصف . فمن أين يكون لك ميراث وسط هذه الطبيعة القاسية ..؟..

الشرق

العدد القادم

تشخصيات حية من الاغاني

الحارث بن ظالم المرى

طائر الصدى يدرك ثأره

بقلم: محمد المنسى قنديل

ذهل طرفة . والآخرون ياكلون حقه فى بساطة متناهية . لقد وصلتهم اخبار الغزوة الفاشلة بلا شك . صاح .

ـ سوف أهجوكم . سوف افضح سرقتكم .

ردوا باستهزاء .. وسوف نشترى أعظم الشعراء للرد عليك .

انقض على عنق العم الكبير . اوشك أن يقتلعها من جسده . لكن الاعمام الثلاثة والعبيد أمسكوا به . تحدثوا فى غضب عن صلة الرحم . وعن احترام السن . وانفض الجميع فوجد نفسه وحيدا دون ميراث . ودون « امامه » .

حاول أن يقول الشعر ليهجو أعمامه فلم ينصت اليه أحد . وردت « امامه » رسله خائبين . وبكت أمه . لانها غريبة فى قبيلة غريبة ولا يوجد من ينصرها . وفى آخر الليل فتحت النسوة اللاتى ذهب ازواجهن للتجارة خيامهن وفككن الاشرطة السوداء .

وبقى الشعر فى كف طرفة سيفا صدئا .

امتلأت المدينة بفرسان غرباء . بيض شاحبو الوجوه بعض الشىء . لكنهم يضجون بالحركة والحياة . جاء فرسان « الحيرة » ونزلوا ضيوفا على ابن معتوق والد « امامه » .. أخذوا يغازلون النساء .. ويتندرون على غفلة الازواج . وبدت قبيلته مثل حفنة من البلهاء .

وأخيرا قابله أبو الفرج وهو يضحك منتشيا .. وقال له .

ـ اتعرف .. لقد خطب الملك عمر بن هند ملك الحيرة .. امامة بنت المعتوق .

توقف طرفة . وسار أبو الفرج يضحك . ارتفعت أصوات المغنين ودقات الصنوج .

وربت أعمامه على كروشهم . لن ندفع المكوس على قوافلنا بعد اليوم . حتى الرهاة أكدوا .. ان النوق الحمر فى الطريق لكل فرد من افراد القبيلة . ولا شىء من « امامة » .. لا وداع . ولا اعتذار .

وجاء اليوم لتمضى الى الشمال البعيد . هودج ازرق فوق الرمل الاصفر . قطعة من العمر الجميل . والجميع يلوحون بسعف النخل ويرمقونه فى خبث . كان يعلم انها من القوة بحيث لا تلتفت .. وعاد وحيدا .

وسط الاغبياء

تفجر ينبوع الشعر فى داخله . عبر كل المرارات ولحظات الغيبة . تحدث عن احساسه العميق بذاته . بتفرده . بعبث العالم الذى يعيشه أمثاله وسط الاغبياء والقتلة .

حين يصبح المنفى فى داخله . والطريق للسمو هو طريق الموت . تحدث « امامة » . عن النجوم التى جمعها ووضعها فى كفها فاذا هى حصى مطفأ . عن قومه وكراهيتهم . حين خلطوا العطر بالدم . وهجا أعمامه فى قسوة . ثم هجا الملك القوى عمرو بن هند . سارق الحلم الجميل . مد طرف سيفه من مملكته البعيدة فاصمى قلبه . والقصيدة تكتمل ملامحها فانها وصيته الاخيرة .. قبل ان ينتحر . وقبل ان يتم سور المنفى حول ذاته .

فوجىء أن قومه يحفظون القصيدة . حتى الابيات التى يهجوهم فيها . كانهم يحاولون تقديم اعتذار لم يطلبه . تركهم ورحل الى مكة . حيث يقام سوق عكاظ كل عام ...

● قال فى حزن : كنت أود أن أصطحبك لترى أمى ٠٠ لكنى لا أقوى على العودة الى قبيلتى ٠

وحيث يقف النابغة الذبيانى ليحكم بين جميع الشعراء ايهما أجدر بالخلود ووقف طرفة ـ ذلك الفتى الذى لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمر بين فحول الشعراء لينشد عن عذابات قلبه لم يعد الشعر سيفا صدئا ولم تعد الكلمات حصاد الهشيم حتى الآلهة الحجرية تخلت عن صلابتها ونهض النابغة احتضنه وقبله بين عينيه وهتف

يا اخ العرب انت اصغرنا واشعرنا
سوف تكتب قصيدتك بماء الذهب
وتعلق باستار الكعبة اصبح طرفة زينة الموسم القت النساء اليه بقلوبهن لعله يجد بعضا من السلوى أو العزاء وحرصت نساء قبيلته ان يذكرن اسمه مقرنا باسم القبيلة وتوالت حفلات التكريم حتى ابو الفرج اخذ يلاحقه وفى يده بعض الاوراق الممزقة وهو يهتف

ـ اسمع لى من فضلك فقط
اريد نسخ بضع ابيات قليلة

ثم قابل « المتلمس » ٠٠ شاعر آخر اكبر منه فى السن ، واكثر رقة تعرفا على بعضهما فى بساطة آسرة قال له

انا اعرف نسبك انا انتسب اليك من ناحية الام اوشك ان اكون اخا

واخذا يتناسبان شعر طرفة بالسعادة٠ كان يشعر انه وامه نباتان صحراويان بلا جذور لكنه الآن وجد فى « المتلمس » شيئا منها قال فى حزن كنت اود ان اصطحبك معى لترى امى لكنى لا اقوى على العودة الى قبيلتى قال المتلمس وانا ايضا لا اريد ان اذهب الى ارض تربطنى كالقيد قال طرفة فلنرحل سويا وحكى له عن حلم الواحة ـ وظلا يبحثان سويا عن مكان ٠٠ حتى هتف المتلمس

ـ لنذهب الى الحيرة الى قصر الملك عمرو بن هند

قال طرفة فى فزع لقد هجوته كثيرا كيف أذهب اليه ؟

انا ايضا هجوته لكنه ملك كريم سوف نستقصى ان كان الشعر قو وصله أم لا فى الاعتذار الكفاية كما اعتقد ولسنا اول من فعلها من الشعراء ٠ ثم انه هناك مكان آخر نذهب اليه

كانت « امامة » كأنها لم تغب الا الامس ٠ لم يزل شوقه دافقا اليها ٠ والهودج الازرق يرحل فوق الرمل الاصفر وجد نفسه يقول للمتلمس ٠

ـ سوف نذهب للملك

والقى ابو الفرج اوراقه وكف عن تسجيل الشعر وهتف به

ـ ايها الاحمق هل هناك من يذهب لعرين الاسد بقدميه

لم ينصت طرفة نام الليل يعلم ٠ لقد عاودته القدرة على الحلم ٠ ولو ان الملك سمع بهذه الاشعار فسوف يكتب اشعارا اقوى فى الاعتذار لعله يرضى ٠٠ ولعله يرى « امامة » ونام

وفى الصباح ودع عكاظ ميدان انتصاره الوحيد والاخير استكانت الصحراء امامه رأى الملك يهبط من فوق عرشه ويشير بيمينه فتاتى « امامة » طائعة ٠ ويهتف الملك بنبل بالغ لم امسسها حتى هذه اللحظة ٠٠ هى لك وانت لها قال المتلمس

ـ لقد وصلنا ٠٠ ومنذ اللحظة عليك ان تكف عن الاوهام

وبدت « الحيرة » مثل ابهى سراب يرا

فكر ٠ لعل هذه هى الواحة التى وعدتنى بها العرافة لعل « امامة » هى زهرتى الزرقاء ٠٠ دخلا المدينة ونزلا فى احد الخانات ٠ وظلا يرهفان السمع فى كل مجلس ٠ لكن الامور كانت هادئة والملك لم يسمع بالشعر ٠٠ قررا ان يذهبا للقصر وان يستاذنا فى الدخول الى الملك ٠

حين وقف طرفة امامه ورأى وجهه العجوز القاسى ٠ شعر ببرد الشمال القاسى يتمدد داخل عروقه ٠ هذا الرجل الذى سلبه حلمه ذات يوم دون ان يراه ٠ سمع المتلمس يقول الشعر فقال هو ايضا ٠ افاض المتلمس فى المدح فافاض هو ٠ وشاهدا معا الملامح القاسية وهى تذوب والوجه العجوز يستره انبساط الشباب ٠

ان تكون رجلا هاما فى قصر متسع ٠ هذه مرحلة جديدة ٠ أن يدخل طرفة دون استئذان ويصاحب الملك فى مجالس اللهو ٠٠ فهذا يعنى ان الملك لم يسمع بالهجاء ٠٠ ويعنى انه لو قدر له أن يعود الى قومه فسوف يعود حاملا اضعاف ميراثه ٠

فى المدينة الباردة

ولكن « امامة » ماذا عنها ٠٠ فى هذا القصر البارد ٠ فى تلك المدينة الباردة ٠ يقولون انها سجينة الابهاء الواسعة ٠ انها سعيدة ٠ انها اصبحت نصف مجنونة ٠٠ يقولون ٠٠ ويقولون ٠٠ لكنه لا يراها ٠٠ يا امامة ٠٠ كيف انت ؟٠

ثم راها ذات مرة أم أن هذا كان كابوسا ؟٠٠ كان يعبر الحديقة وكانت هى تصرخ فى فجيعة والحراس يجذبونها للخلف٠ لعلها لم تكن هى ؟٠٠ كانت عيناها غائرتين ٠ وهى تمد ذراعيها للهواء وتتشبث بالفراغ ٠ وتواصل الصراخ ٠ لعلها كانت انسانة اخرى تشبهها ٠٠ لقد نجحت فى الافلات من الحراس وجرت نحوه ٠ تعلقت بملابسه حتى كادت ان تمزقها ٠ وخمشت وجهه باظافرها الطويلة ٠ وهتف فى حرقة بالغة انه أنا يا امامة ٠٠ ودفعه احد الحراس دفعة قوية ٠٠ وجذبها الآخرون الى الخلف ٠ لعله كان يحلم ٠٠ وهذه الجروح ليس الا وهما ٠٠ حين ذهب فى اليوم التالى لمقابلة الملك ٠ وجد المتلمس عنده ٠٠ سألهم الملك برقة مبالغ فيها ٠

ـ لعلكما اشتقتما الى اهلكما وسركما ان تنصرفا ٠

وافقا فى صمت ٠٠ واصل القول

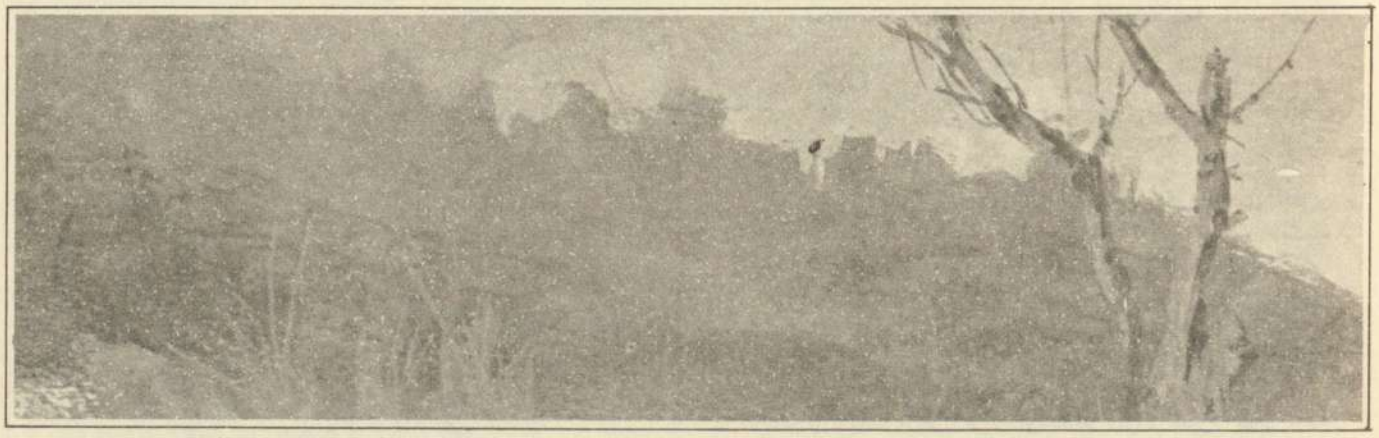
ـ امامكما رحلة طويلة وسوف تتبدد كل الهدايا وسط هذه الصحراء الواسعة ٠ ولكن اكتب معكما الى عاملى على البحرين وسوف يعطيكما كل ما تتمنيانه ٠

وبدا الملك متاثرا أكثر لفراق طرفة ٠ وبدا طرفة أشد ما يكون شوقا للرحيل ٠٠ وقال الملك :

ـ لو شئت أن تكون امير قومك لكان لك ذلك ٠

● تفجر ينبوع الشعر في داخله عبر كل المرارات ولحظات الخيبة

● حين يصبح المنفى في داخله .. والطريق للسمو هو طريق للموت



وبرز أبو الفرج من بين صفوف الحاشية وهمس في أذن طرفة ٠

ـ لا تأمن لوعوده ٠٠٠٠

وتقبل طرفة والمتلمس خطابي الملك ٠٠ وسارا ٠٠ خارج القصر ٠٠ والمدينة ٠٠ ودون أن يلتفتا وظلا صامتين حتى وصلا لمدينة « النجف » ومـــزق المتلمس حاجز الصمت ٠

ـ يا طرفة ـ الملك معروف غدره ٠٠ وكلانا قد هجاه ٠٠ فلست أمنا ان يكـون قد أمر فينا بشر فهلم ننظر في كتابينا لو كان أمر لنا بغير مضينا فيه ٠٠ وان كان غير ذلك فلماذا نهلك انفسنا ؟٠٠ تلقى طرفة التحذير بلا اهتمام ٠

ـ لو أراد قتلنا ٠٠ لم لم يفعل ونحن في قصره وبين قبضته ٠٠؟٠٠

ـ كيف يقتلك بنفسه ٠ وحبر قصائدك لم يجف بعد من على جدار الكعبة ٠ أتريد أن يركبه عار العرب اجمعين ٠

ولم يوافق طرفة على فض خاتم الملك ٠ وبعث المتلمس طويلا عن غلام يجيد القراءة لانه هو وطرفة كانا اميين تقريبا ٠ وجاء غلام وقراها بصوت عال ٠ كانت الى عامل الملك في « هجر » بالبحرين ٠ يأمره ان يقتل حامل الرسالة فور وصوله ٠٠ وهتف المتلمس ٠

ـ ثكلت المتلمس امه ٠

القى الرسالة في النهـر وتوسـل الى طرفة ٠

ـ دعه يقرأ رسالتك ٠

ورد طرفة بنفس اللامبالاة ٠

ـ لا افض خاتم الملك ـ لو كان قـد اجترأ عليك ٠ ما كان ليجتـرىء على ٠٠ ولا ليغدر بي ٠٠ ورغم توسلات المتلمس ٠ لم يكن يعرف ان طرفة قد وصل للنقطـة التي تتساوى فيها كل الاشياء ولم يجـد بدا من ان يفر للشام ٠٠ واصل طرفة سيره المفرد في الصحراء ٠

بلا زهور زرقاء !

في مساء أي يوم وصل الى قصر الحاكم ٠ كانت زمجرة الخليج تاتي من بعيد محملة بكل أنواع التحذيرات ٠ ابتسم طرفة في مرارة حين تذكر كيف رفع سيفه عاجزا عن قتل اضعف المخلوقات هل سـتواتيه الشجاعة الآن ٠٠؟ رفع الى الحاكم بالرسالة المختومة ٠٠ استقبله بحفاوة ٠٠ لكنه حين فتح الرسالة قراها تغير وجهه ٠٠ نظـر حائرا الى طرفة وهو يقول ٠

ـ هل تعرف ماذا تحوي هذه الرسالة ؟٠ أجاب طرفة في ثقة غريبة ٠

ـ ان تحسن الي وان تهبني ما أطلب ٠

ـ ان بيني وبينك صلة رحم ٠٠ واني لها لحافظ ٠٠ فاهرب بجلدك حتى لا يطلع الصباح ويعلم الجميع بنبأ الرسالة ٠

ـ ثقلت عليك جائزتي ٠٠ وتريد أن أهرب من الملك دون ذنب جنيته ٠

حدق فيه الحاكم غير فاهم ٠ يحاول ان يفسر تلك النظرة الغريبة التي تطل من عينيه ٠ تمتم ٠ اهرب أيها الاحمق ٠ لكن طرفة ظل واقفا ٠ ثابتا ٠٠ ولم يجد الحاكم بدا من أن يشير الى الحراس فاقتادوه الى السجن ٠٠ بلا أي مقاومة ٠

في الصباح فوجيء الحاكم برسول من الملك جاء على وجه السرعة ليتاكد من عملية القتل ٠ أدرك الحاكم انه قد وقع بين فكي الرحى ٠ قتل الشاعر ٠ أو عصيان الملك٠ احضر الحراس طرفة مقيدا ٠ كان هادئا مبتسما كانه رغم القيد والسجن ما زال ينتظر الجائزة ٠٠ وغمر الوجوم الجميع ونظر الحاكم الى وجه رسول الملك الصارم وصاح فجاة ٠

ـ انى غير قاتل الرجل ٠

وضاقت حلقة الجنود ٠ اخرج الرسول من جيبه خطابا مختوما ٠ يعزل فيه الحاكم الملك ويعين آخر بدلا منه ٠٠ وكان أول حكم أصدره الحاكم الجديد هـو اغتيال طرفة ٠

هوى السيف على عنقه فاندهش الجميع انه ما زال يبتسم ٠

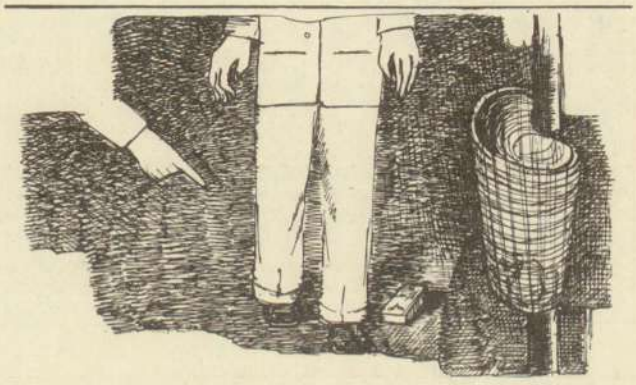
وتدحرجت راسه ٠٠ تكون من الـرمل والدم قناعا اخفى كل ملامحه ٠

مات أصغر شاعر عرفته العرب ٠٠ ودفن في قبر صغير ٠٠ في بلاد غريبة ٠٠ ولم يقدر له ابدا ان يعثر على زهوره الزرقاء ٠

محمد المنسي قنديل

رأيت

انهـــا فارغـــة !



كنت مع بعض اصدقائي في زيارة سياحية الى سويسرا ·· وهي بلاد رائعة في جمالها وتنظيم مدنها ونظافة شوارعها ·· ومعاملة سكانها ·

وصادف ان كنت اسير واصدقائي في احد الشوارع بمدينة « بيرن » العاصمة السويسرية ·· فتناول صديقي سيجارة من علبته التي فرغت من سجائرها ثم قذف بالعلبة الى الشارع ·· وبينما كنا نواصل سيرنا واذا بأحد الفتيان ينادى على صديقي: من فضلك ياسيد ·· هذه علبة سجائرك وقعت منك ·· فقال له صديقي : انها فارغة ·· ولست بحاجة اليها ، فقال الفتى السويسرى : نشكرك يا سيدى ·· ان سويسرا ايضا ليست بحاجة اليها ·· وقد أخذ صديقي العلبة وهو يكاد يذوب خجلا !

اكرم محمد عبد السلام
ص·ب ٦٣٥ ـ عمان ـ الاردن

رأيت

الخطيبة فى الرابعة !

رأيت في منطقة « مرتفعات الانقسنا » بالسودان عادة يتبعونها في الزواج ·

فالبنت تخطب في سن الرابعة ـ ومنذ ذلك الوقت يقوم الخطيب بخدمة اهلها في مجال الزراعة والمحاصيل وترميم المنازل · ويستمر ذلك حتى تبلغ البنت سن الرشد فيقوم كاهن القبيلة الذى يسمى « بالكجور » باجراء بعض الطقوس ثم تزف العروس الى منزل عريسها الذى يستقبلهم ويذبح لهم ذبيحة امعانا في الكرم والضيافة ، ثم يحلق شعر العروس ويعاد بها الى منزلها فلا يراها الزوج الا حين ينبت شعر رأسها من جديد ·

الزبير حسن الزبير
كلية الفنون الجميلة ـ الخرطوم ـ السودان

سمعت

يا له من رجل أبله !

قال محدثي ان « يوجوما » الذى عاش في احدى القرى الهندية القديمة لما بلغ سن الشيخوخة فكر ان يذهب للمدينة التي سمع عنها كثيرا ـ وحين ذهب استوقفه متجر يبيع المرايا ولم يكن رأى مرآة من قبل ـ فابتاع واحدة ولما نظر فيها رأى شيخا عجوزا بلحية مستديرة بيضاء فقال : لابد ان هذا كاهن عظيم ـ وانهال على المرآة تقبيلا ولمسا بغية التبرك بها ·

وعاد يوجوما » الى قريته وشغلته المرآة كثيرا حتى انه وضعها تحت وسادته ـ وجعل يقبلها اكثر الاحيان ·

ولاحظت زوجته انشغاله عنها بهذا الشيء الذى جلبه من المدينة ـ قالت في نفسها لابد ان احدى نساء المدينة اغرته واعطته صورة لها ·

فغافلته ذات يوم وسرقت المرآة ولما نظرت فيها : رمتها بعد ان بصقت عليها وقالت :

« يا له من رجل ابله ·· أهذه العجوز الدميمة هي التي سلبته مني فهام بها حبا ؟ ·· ايفضل هذه المرآة علي انا التي ما زلت في ربيع الصبا ونضرة الشباب ؟!

سيد فتح الرحمن ·
أسوان ـ مصر ·

سمعت

المدعو برناردشو !



حكي ان برناردشو كان يهزأ من الصحافة الامريكية وكان ان قام بزيارة لامريكا هو وزوجته فوجد احد الصحافيين فرصته للانتقام من سخرية « شو » بالصحافة الامريكية فنشر مقالا اسهب فيه بالحديث عن زوجة شو مع التعمد باغفاله ـ فكان يكتب ·· توجهت زوجة شو اليوم لتناول طعام العشاء بدعوة من ··

قامت زوجة شو بزيارة للمتحف ·· صرحت زوجة شو بكذا وكذا ·· استقبلت زوجة شو استقبالا حافلا لدى وصولها للمدينة ·· واختتم الصحفي مقاله ··

« كان بصحبة زوجة شو ـ زوجها المدعو جورج بيرناردشو ·· وهو أديب ·· ايرلندى »

بكر عمر امين ·
سوهاج ـ مصر ·

فرات

للضغط على المدخنين ·

ذكر في نيويورك ان مدخني السجائر في سائر انحاء العالم يحرقون الف بليون سيجارة سنويا يبلغ ثمنها الف مليون دولار!

وتحت شعار « توقف عن التدخين » ناشد الدكتور حروم شوارتز « شعوب العالم ان يبتكروا طريقة تساعد المدخنين الراغبين في الاقلاع عن التدخين بكافة وسائل العلاج الطبي بما في ذلك التنويم المغناطيسي » ·

وجدير بالذكر ان منظمة الصحة العالمية قد رعت مؤتمرا عالميا لمكافحة التدخين مع جمعية مكافحة السرطان في نيويورك·

واقترح الدكتور شوارتز زيادة عالية في اقساط التامين على الحياة كاحدى الوسائل للضغوط على المدخنين !

ابراهيم جاسر عبد
ص·ب ٣٠١ ـ الدوحة ـ قطر

فرات

برج ايفل

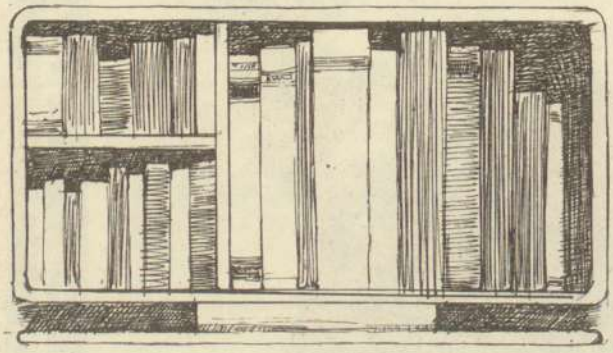
يعتبر برج « ايفل » رمزا لمدينة باريس واحد الروائع المعروفة في العالم اجمع ، يتوافد لمشاهدته السواح باستمرار · ومن الطريف ان احدى صحف باريس كانت قد نشرت صورة مصغرة له قبيل انشائه سنة ١٨٨٠ ـ فاحدث ذلك ضجة كبيرة ـ وقال الناس انه مكلف ـ غير ان مصمم البرج اعتقد انه سيكون رمزا لباريس ·

وقد نفذ المهندس الكسندر جوستارا تصميم البرج رغم كل اعتراض ـ والآن وبعد مضي تسعون عاما على انشائه يعتبر اهم وابرز معالم مدينة باريس ـ وهو يحمل مركزا للبث التلفزيوني على ارتفاع « ١٠٥٢ » قدما وبلغت تكلفته مليونا من الدولارات ·

رضا ابراهيم محمد سيد
المنيا ـ مصر

فرات

صيدلية الروح



يرجع تاريخها الى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد وكانت هذه المكتبة في طيبة ـ واعتبرها فراعنة مصر مكانا مقدسا واطلقوا عليها « صيدلية الروح » ·

وكذلك عرف الاشوريون المكتبات في عصر الملك آشو ـ نيبال سنة ٦٥٠ ق·م

وتميزت الاسكندرية بوجود عدد كبير من المكتبات بها ـ وضمت احدى مكتباتها نحو ٤٠٠ الف لفة من أوراق البردى ونحو ٩٠ الف مؤلف ـ اتلف كل هذا التراث التاريخي عام ٤٨ قبل الميلاد حين غزا يوليوس قيصر الاسكندرية فنشبت معركة بحرية واشتعل حريق هائل أتلف كل شيء ·

السيد سعد شحاته
شارع بني سويف ـ بورسعيد·
مصر ·

فرات

اليونان والآلهة

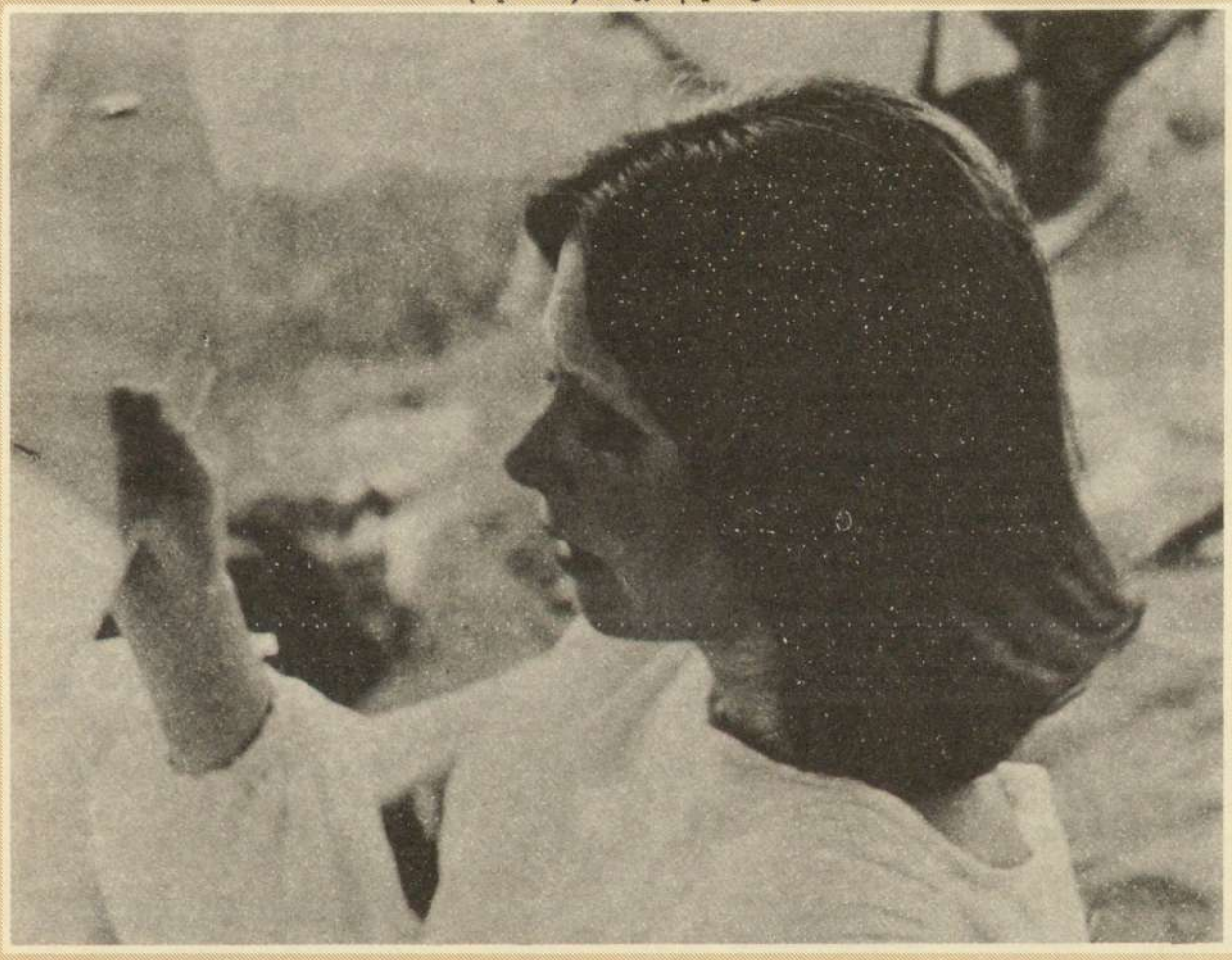
كان قدماء اليونان يعتقدون في آلهتهم التي يتصورونها على شكل بشر وينسبون اليها الظواهر التي تقابلهم في حياتهم· فسموا الاله « زفس » أى المشترى ـ اله السماء « زحل » ـ و « هيفايتوس » اله النار و « منيرفه » الهة الحكمة والعقل « وهرمس » أى « عطارد » اله الرياح ـ و « أبوللو » اله الشمس والموسيقى · ثم « ارتميس » الهة الينابيع والصيد ـ و « أفروديت » آلهة العشق والجمال ·

وكانوا يعتقدون ان هذه الآلهة تقيم في قمة جبال الاولمب ·

كما عبدوا ايضا « ديونيزوس » أو باخوس اله الخمر ·

محمد فتحي محمد عامر
كردوس ـ الدقهلية ـ مصر

لقطة من الفيلم البرتغالى (الشاطئ)



مسألة تحتاج لإعادة نظر من الدول العربية

رءوف توفيق

أين مكاننا على خريطة السينما العالمية؟

● الجوائز شىء .. والتواجد فى المهرجانات شىء آخر!

لا مكتب .. ولا نشرة .. ولا إعلان .. للفيلم العربي
بينما أصغر الدول تهلل ببذخ .. وبذكاء .. لأفلامها !!

ليست هناك سينما في العالم ، تصنع باستمرار افلاما جيدة تكتسح الجوائز والاعجاب في المهرجانات والمسابقات .. ففي كل صناعة سينما في العالم .. هناك الجيد ، وهناك المتوسط ، وهناك ايضا الردىء !

ونسبة الجيد عموما لا تتعدى العشرة في المائة من الانتاج العالمي للسينما !

والسينما العربية قد تصل الى هذه النسبة او تقل عنها قليلا .. ولكن المشكلة هي كيف نقدم هذا « الجيد » الى العالم ؟ او بمعنى ادق كيف نثبت وجودنا على خريطة السينما العالمية بالشكل اللائق ؟

هذه المسالة يبدو انها لا تؤرقنا .. بل لا تهمنا على الاطلاق !

والمتابع لمهرجانات السينما العالمية ، لابد وان يلاحظ ان الوجود العربي اما غائب تماما .. او انه « وجود » على استحياء وباقل قدر من الدعاية والاهتمام والدعاية الرسمية .. وكاننا اصبحنا مستريحين للراى الذى يقول ان السينما العربية متخلفة ، وعلى هذا فلا داعي لوجع الدماغ ، والدخول في متاهات عالمية .. ومن عنده فيلم يتحمس له ، فليتحمل هو مسئولية عرضه والدعاية له !!.. وهذا نوع من التعجيز لا يستطيع الكثير من صناع السينما في الوطن العربي ، القيام به لضعف امكانياتهم المادية الخاصة ، ولضعف اتصالاتهم بالذين يحركون موازين السينما في العالم .

انها مهمة اجهزة الدولة الرسمية .

واستطيع ان اقول بمنتهى الصدق ، اننا لا يمكن ان نظلم السينما العربية لانها غير موجودة على خريطة السينما العالمية بالشكل اللائق .. فهذا ذنب الدول العربية التي تستهين بعرض انتاجها السينمائي في المحافل العالمية ، بل وتستهين بمحاولة التعريف بنشاطها السينمائي وتاريخها الفني ، وبامكانياتها لتقديم خدماتها في مجال الاستثمار السينمائي المشترك .

الجوائز الكبرى .. أو العار !

ان بعض العقليات العربية تتصور ان اشتراكنا في المهرجانات العالمية ، لابد وان يرتبط بحصولنا على اكبر الجوائز .. والا فمن العار ان نشترك ونخرج صفر اليدين . ان كرامتنا العربية لا تسمح بهذا ..!!

وهذا المنطق مضحك جدا ..

لاننا قبل ان نفكر في الجوائز الكبرى .. لابد ان نكون موجودين اصلا ، ومتحمسين للاعلان عن بضاعتنا ، ومهتمين بوصول اسمنا الى كل الآذان ، ومصرين على المواظبة وتكرار المشاركة في مختلف المهرجانات وفي كل عام .. حتى ينتبه العالم الى وجودنا السينمائي ..

وهناك حقيقة يجب الاعتراف بها .. ان الجوائز ليست مقياسا دقيقا ونزيها لمدى جودة الافلام .. فكثيرا ما نفاجا بجوائز تذهب لمن لا يستحقها .. وكثيرا ما تثار المناقشات الساخنة حول قرارات لجان التحكيم في المهرجانات العالمية ، ولابد واننا نعرف ان السياسة قد تتدخل في لعبة توزيع الجوائز الفنية .. وهذه الامور يجب الا تزعجنا .. فالاعتراف العالمي بالوجود اهم بكثير من الحصول على جوائز مشكوك في امرها .

من الدعاية عن الانتاج السينمائي

ودعونا نترك الحديث عن الفن قليلا .. لنتامل كيف تفكر بعض الدول الصغرى في الدعاية لانتاجها السينمائي .

انه عالم ملىء بالحيل والاساليب .. بل انه فن قائم بذاته ان تقول انك موجود .

لقد حاصرتني في مهرجان « كان » السينمائي الاخير ، مجموعة هائلة من الكتب الملونة الجميلة ، والنشرات الانيقة المصورة تصدرها الهيئات الرسمية في بعض الدول التي تريد ان تقدم نفسها لجمهور المهرجان .. وقد حاولت ان اتخلص من هذه الكتب والنشرات ولكنني لم استطع مقاومة اغراء تصفحها والاحتفاظ بها .. فهي نموذج راق ومحترم لفن الدعاية .. وعدت الى بلدي وانا احمل فوق ذراعي ما يزيد عن العشرين كيلو جراما من هذه الاوراق .. وتفرغت لايام طويلة لدراستها ، وفي ذهني سؤال واحد : اين نحن من هذا الجهد الدءوب المنظم العلمي ؟

● مثلا .. من منكم سمع عن السينما النرويجية ؟!.. انهم يصدرون كتيبا ملونا وانيقا للتعريف بالسينما النرويجية .. يقولون في صفحاته الاولى ان :!سلطات النرويجية تعطي معوناتها لمنتجي السينما مثل ما تعطي المعونات للمسرح والادب والموسيقى .. ففن السينما جزء من السياسة الثقافية للحكومة ، وفي ميزانية وزارة البحث والتعليم ، جزء خاص بالفن والثقافة .. وانهم ينتجون حاليا ما بين ١٠ ـ ١٢ فيلما في السنة ويخططون لكي يصلوا الى ١٥ فيلما في السنة .. ويقولون انهم لم يسعوا الى ايجاد صيغة اتفاقيات للانتاج المشترك ، ولكن بالرغم من ذلك فقد تقدمت بعض الدول من الشرق والغرب للانتاج المشترك معهم .. من هذه الدول : بريطانيا ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ الاتحاد السوفيتي ـ يوغسلافيا ـ بولندا ـ الدول السكندنافية ـ المانيا الفيدرالية ..!!

وبعد هذه المقدمة الرسمية .. تاتي المفاجاة .. مقال منشور في هذا الكتيب الدعائي يفند بعض عيوب السينما النرويجية !!

هكذا بدون اى حساسية .. او ادعاء العظمة .

يقول هذا المقال الذى كتبه (بيير هادال) رئيس جمعية نقاد السينما في النرويج .. « ان السينما النرويجية فشلت في تصوير الواقع الثقافي المتعدد في النرويج .. وما ينقص السينما النرويجية ليس الموهبة ، وليس الفرصة لصنع الافلام .. ولكن ما ينقص هو النظرة الشاملة الواضحة لما تريد هذه السينما ان تقوله ، بدون اللجوء الى الخطابة والمواعظ » !

ويستطرد هذا المقال في شرح الاخطاء

اين مكاننا على خريطة السينما العالمية؟



لقطة من الفيلم الاسباني (المرأة المعصوبة العينين)



لقطة من الفيلم النرويجي (رحلة الى نجم عيد الميلاد)

والعيوب على مساحة اربع صفحات ·· بينما لم تتجاوز المقدمة الرسمية للتعريف بالسينما النرويجية مساحة الصفحتين !!·· ولابد ان تحترم هذه العقلية التي خططت لهذا الكتيب ·· انهم يخاطبون الراى العام العالمى ، ويودون كسب الثقة ·· ولن يتاتى هـذا الا بالصدق والامانة ·

ثم يفردون بقية صفحات الكتيب ، لتقديم احدث انتاجهم السينمائي ·· ملخص كل فيلم ، وابطاله ، ومدته ، وصور له ·· ثم ينهون الكتيب باسماء الشركات السينمائية فى النرويج وكيفية الاتصال بها ··!!

لماذا تشاهد أفلاما دانمركية ؟

والدانمرك تقدم نفسها باكثر من اسلوب ·· انها توزع لكل الصحفيين والنقاد ووفود مهرجان « كان » السينمائى ، حقائب من القماش ، انيقة ، وبسيطة ، وعملية تستطيع ان تحمل فى داخلها كل اوراقك وتعلقها على كتفك بسهولة ·· والحقائب مكتوب عليها كلمتين فقط « الافلام الدانمركية » ·· هل هناك ارخص من هذا الاعلان المتحرك ؟! وهل هناك فضول اقوى من أن تسال هذا السؤال البديهى جدا ·· هل هناك افلام دانمركية ·· ايضا ؟!

والاجابة على هـذا السؤال ستجدها فى هذا الكتيب الانيق اللامع الذى يتصـدر غلافه هذه العبارة « الافلام الدانمركية ·· الفن ـ المرح ـ الحب ـ النشوة ـ الجمال » ·

وتفتح الكتيب لتجد مقـدمة كتبتهـا « ايبى ايفرسن » ناقدة جـريدة (ديلى كوبنهاجن) ·· فى اول سطور المقدمة ·· ستجد هذه الاسئلة :

هل هناك اى سبب يدعوك لمشاهدة افلام دانمركية ، اذا لم تكن من ابناء الدانمرك ؟! هل هناك اى فائدة او تجربة من الممكن ان تحصل عليها كمشاهد اجنبى من رؤية افلام دولة صغيرة جـدا كالدانمرك ، ليس فى مقدورها أن تصنع افلاما كبيرة ذات الميزانيات الضخمة ؟!

وتستطرد الناقدة الدانمركية فى مقالها ·· لتقول ان اجابة هذه الاسئلة تكمن فى مدى الرغبة والاهتمام الثقافى فى تتبع الاعمال القادمة من دولة ليس لها نفـوذ كبير ·· فمن خلال هذه الافلام يمكنك ان تتعلم اشياء جديدة عن اساليب الحيـاة والتفكير فى هذه البلد ·· فمخرجو السينما فى الدانمرك يرغبون فى مخاطبة الـراى العالمى من خلال قضايا عامة ليست بالضرورة من مشاكل الدانمرك الخاصة ·· ووسيلتهم

الرؤيا الملتهبة !

ما اكثر ما يستعمل قراؤنا الحداثة ، كلما رأوا نصا شعريا بلا وزن او قافية سموه حديثا ·· هذا فهم خاطىء ·· فمعظم النصوص التي تكتب اليوم نثر باسم الحداثة ، لا علاقة لها بالحداثة اطلاقا ، بل هي تقليدية كاى شعر تقليدي مقفى !

ليست الحداثة في مجرد النثر او مجرد الوزن ، اى انها ليست في مجرد التشكيل ، وانما هي في لهب رؤياي ، جذرى ، متميز وفريد ، قد يتلبس الوزن حينا ، وقد يتلبس النثر حينا آخر ، وذلك بحسب الايقاع النفسي ـ الحياتي ، لدى الشاعر ·

الشاعر (ادونيس)

● من منكم سمع عن السينما النرويجية ، أو شاهد فيلمًا دانمركيًا؟

● أفلام أستراليا تحت شعار : إنتاجنا له سيقان !



الفيلم الكندى (مارتن المصور)



لقطة من الفيلم الدانمركى (٩٢ دقيقة من يوم الامس)

ى المخاطبة هى الاسلوب السينمائى لمخاطبة الجماهير العريضة ، انهم يؤمنون بان السينما مجرد رسالة مغلفة فى اطار فنى .. ولهذا تلجأ السينما الدانمركية الى اساليب فنية متعددة .. الكوميدى .. والتراجيدى .. والمناقشة الصريحة لامور الجنس .. وفن الحياة .

ثم تختتم الناقدة الدانمركية مقالها بهذه العبارة : « من السهل على كدانمركية أن نجد اخطاءا وضعفا هنا وهناك فى افلامنا .. والمشاهد الاجنبى سيلاحظ هذا بالطبع .. ولكن اذا كنت مهتما بالسينما التى تقدم الرجال الذين يطاردون سمكة القرش ومغامرات الفضاء .. ستجد فى السينما الدانمركية الموضوعات والقضايا التى تهمك .. »

وبعد هذه المقالة الذكية التى يفردها الكتيب بثلاث لغات (الفرنسية ـ الالمانية ـ الانجليزية) يترك بقية صفحاته لعرض احدث الانتاج السينمائى الدانمركى . ملخص كل فيلم ، وابطاله ، وصوره .. و .. كيفية الاتصال بهم ..!!

انتاجنا له سيقان عظيمة !

وتتعدد وسائل التعريف ، من بلد الى بلد .

● النمسا تقدم كتيبا ملونا عن امكانياتها لاستضافة البعثات السينمائية للتصوير فى ربوعها .. وترفع شعارا يقول « النمسا .. كانها خلقت للسينما » !

والكتيب يستعرض ايضا احدث الافلام التى صورت على الاراضى النمساوية .

● سويسرا تقدم كتيبا بثلاث لغات (الانجليزية ـ الفرنسية ـ الالمانية) عن اهم افلام عام ٧٨ .. مع مقدمة لها عنوان (السينما السويسرية ـ ١٩٦٣ ـ ١٩٦٨ ـ ١٩٧٨ ..) وتشرح المقدمة هذه التواريخ فنفهم انها تحتفل هذا العام بمرور ١٥ عاما على قانون اعانة صانعى الافلام ومرور عشر سنوات على اول نجاح عالمى !!.. وتستطرد المقدمة فى شرح الفروق بين اهتمامات المخرجين السويسريين الفرنسيين .. والمخرجين السويسريين الالمان .. واهم اعمال كل منهما .. ولا تنسى المقدمة ان تذكر ان مركز الفيلم السويسرى الذى اصدر هذا الكتيب ، والذى يشرف على الانتاج السينمائى السويسرى ، يصدر ايضا مجلة للسينما باللغتين الفرنسية ، والالمانية . معلومات فى غاية التركيز والرشاقة ، مع قائمة مفصلة بالصور عن الافلام القصيرة والرسوم المتحركة .. وايضا كيفية الاتصال بهم !!

● اما السينما الاسترالية فهى ترفع شعارا مثيرا : (انتاجنا .. له سيقان عظيمة) .. والشعار مكتوب على صورة مكبرة لسيقان نسائية .. والشعار يعنى ان انتاجهم وصل الى اماكن عديدة فى العالم (!!) .. ولا غرابة ولا خجل من اتباع هذا الاسلوب الدعائى .. انهم واثقون جدا من انفسهم ، ومن اختيارهم لهذا الشعار .. فطبعوه على حقائب من الورق الذى لا يتكرمش ولا يتاثر بالمياه .. وطبعوه لان يكون غلافا للملف الضخم المزدحم بالصور والمعلومات عن خمسين فيلما لاحدث انتاجهم السينمائى .

ومن المثير حقا .. ان لجنة اختيار افلام المسابقة الرسمية لمهرجان « كان » لهذا العام ، وافقت على اختيار فيلم استرالى ليشترك فى المسابقة الرسمية .. وهو فيلم « اغنية بلاك سميث » عن تاريخ الهنود الاستراليين الذين كانوا يعيشون فى القارة الجديدة قبل أن يغزوها الرجل الابيض .. والفيلم يمتاز بالجودة الفنية رغم ضعف الموضوع .. ولكن ها هى استراليا تصل الى المنافسة الكبرى لاول مرة فى تاريخها السينمائى .. وهى نتيجة طبيعية للمثابرة والدأب الشديد فى حضور المهرجانات العالمية والثبات الوجود امام قلاع السينما للدول الكبرى .

اين مكاننا على خريطة السينما العالمية؟

لقطة من الفيلم الاسترالى (أغنية بلاك سميث)



ولم تفز استراليا فى مسابقة هذا العام ·· ولم تغضب ·· ولم تقرر مقاطعة المهرجانات ·· لانهم يقولون ان سيقانهم العظيمة ستصل يوما ما الى الجائزة الكبرى !!

● السويد تقدم عدة ملفات متنوعة عن انتاجها السينمائى الحديث بالصور الملونة والمعلومات الكاملة عن كل فيلم ·

● كندا تقدم كتابا ضخما تصل عدد صفحاته الى اربعمائة صفحة عن نشاطها السينمائى خلال عام ·· والمهرجانات التى اشتركت فيها ·· والجوائز التى حصلت عليها · ونفس التحرك الاعلامى ـ وباشكال مختلفة ـ نجده فى السينما الاسبانية ·· والسينما البرتغالية ·· والسينما الالمانية · حتى السينما الاسرائيلية ·

السينما الاسرائيلية ·· تصرخ بأعلى صوت ·!

وتدخل السينما الاسرائيلية هذا المجال بكل أسلحتها فى الدعاية وعدد العروض لافلامها ·· فهناك اعلان يومى فى كل نشرات المهرجان عن افلام شركة (جولان ـ جلوبس) الاسرائيلية ·· وهناك مقالات مدفوعة الثمن عن نشاط هذه الشركة التى يتحدث باسمها المخرج الاسرائيلى (مناحم جولان) فيقول ان اسرائيل ما زالت ارخص مكان فى العالم للتصوير السينمائى ··

واذا كان البعض يثير مشكلة الامن فى اسرائيل (يقصد بالطبع خطر العمليات الفدائية فى الارض المحتلة) فاننى اقول ـ والكلام لمناحم جولان ـ انه من الأمان ان تصور فى اسرائيل عن ان تصور فى مدينة نيويورك !!

والمخرج مناحم جولان هو الذى قدم فى العام الماضى فيلم (عملية رجال الصاعقة) عن حادث الطائرة الاسرائيلية المختطفة والتى هبطت فى مطار عنتيبى باوغندا ·

وفى هذا العام يقدم فيلمه الجديد (مؤامرة اليورانيوم) الذى يعتبر وثيقة ادانة جديدة لاسرائيل ونواياها الارهابية ·· تقول اعلانات الفيلم التى شغلت مساحات كبيرة من صحف ومجلات المهرجان : (سفينة تحمل شحنة يورانيوم تكفى لصنع ثلاثين قنبلة ذرية ·· اختفت فى عرض البحر ·· من وراء هذه العملية ؟) ·· والسؤال اجابته بالطبع ·· اسرائيل !!

والفيلم يصل الى هذه الاجابة بعد سلسلة من المغامرات ، ابطالها رجال المخابرات الاسرائيلية عبر ست دول اوروبية وافريقية ·

ولا يخجل الفيلم من هذا الاعتراف بعملية شحنة اليورانيوم ·· بل بالعكس يفتخر بها ويعتبرها عملا بطوليا ·· وفى نفس الوقت هى اشارة واضحة بان اسرائيل تملك الآن هذه الكمية الهائلة من اليورانيوم التى تكفى لصنع ثلاثين قنبلة ذرية !!

وتقدم اسرائيل ايضا داخل سوق المهرجان تسعة أفلام جديدة ·· ولاول مرة ايضا يختار فيلم اسرائيلى للعرض فى برنامج نصف شهر المخرجين ·· الذى يقدم اختيارات منتقاة لاعمال المخرجين الشبان من مختلف انحاء العالم ·· ويقف المخرج الاسرائيلى الشاب (ياكى يوشا) ليقدم فيلمه (الصغرة المهتزة) الذى يحكى فيه قصة رسام اسرائيلى يقيم فى نيويورك ويقرر العودة الى تل أبيب حيث عائلته ·· ويفاجا بما تغير فى المدينة وفى الناس ·· ويفكر فى صنع فيلم يصور فيه ما حدث فى مدينة تل أبيب من أجل العثور على اجابة لما حدث ·· وفى النهاية يصنع الفيلم ·· ليحرقه ياسا ·

والفيلم ملىء بالنقد للحياة الاسرائيلية ·· ويقول المخرج امام جمهور المشاهدين الذين حضروا عرض هذا الفيلم « ان الافلام التى تصنعها اسرائيل اغلبها كوميديا حمقاء غبية ·· وكل أفلام اسرائيل تعتمد على الناحيه التجارية ، وهى نوعية الافلام التى تدعمها السلطات الاسرائيلية ومركز الفيلم الاسرائيلى » ·

ويبدو هذا المخرج وكانه ثائر ورافض لاسلوب السينما الاسرائيلية ·· ولكن ما ان تتصفح الكتيب الخاص الذى أصدره مركز الفيلم الاسرائيلى ليعرض فيه أحدث انتاجه السينمائى ونشاطاته الفنية ·· تفاجا بان

● السينما الإسرائيلية تصرخ وتعترف بسرقة اليورانيوم !

● أفلامنا العربية لا تجد من يدعمها في السوق العالمي!

لقطة من الفيلم السويدى (بانج)



لقطة من الفيلم الاسرائيلى (مؤامرة اليورانيوم)



هذا الفيلم (الصغرة المهتزة) من الافلام التى دعمها مركز الفيلم الاسرائيلى !

انه اسلوبهم فى الدعاية والتاثير !!

التدعيم الرسمى .. ضرورة لابد منها

وهكذا نجد أن العالم يتحرك من حولنا .. حتى الدول الصغرى التى تدخل مجال السينما لاول مرة .. الكل يحاول أن يثبت وجوده .. ما عدا نحن !!

نحن لا نهتم .. ومن يريد أن يرى افلامنا فليأتى الى بلادنا .. لان افلامنا لا تسافر الى الخارج ..!!

منطق غريب حقا .. مضحك ومحزن فى نفس الوقت .

ولكن لا شك أن المرء يصاب بالحزن الشديد والاسف والمرارة .. لان الدول العربية غير موجودة فى المهرجانات الكبرى .. لا علم عربى يرتفع .. لا فيلم عربى واحد يجد حظه من الدعاية .. ولا مكتب عربى مسئول يقوم بالتعريف بالنشاط السينمائى فى بلده .. لا نشرة ولا كتيب ولا مجلة ولا اعلان .. لا شىء !!

لا شىء على المستوى الرسمى .. الا بعض الجهود الفردية من بعض شباب السينما العربية الذين يحاولون اثبات وجودهم من خلال محاولات خاصة لعرض افلامهم فى اسواق هذه المهرجانات .. وهذه المحاولات الفردية كان يمكن أن تكون اقوى تاثيرا لو دعمتها قوة الدولة التى يمثلها هؤلاء الشبان المغامرون .

والمثير تماما ان تجد افلاما عربية .. ترتقى الى مستوى الكثير من الافلام المعروضة فى المهرجانات .. ولكن مشكلة هذه الافلام انها لا تجد من يتبنى الوقوف بجوارها وتدعيمها للصمود فى السوق العالمية للافلام التى تحكمها قوة رأس المال وقوة الدعاية والسيطرة على شركات التوزيع .

صحيح أن السينما العربية ما زالت فى انتاجها الاغلب الاعم ، تعتمد على الموضوعات القديمة المستهلكة وتخاطب قضايا انتهى العالم من مناقشتها أو الاهتمام بها .. هذا موجود ويجب الاعتراف به .. ولكن فى المقابل هناك افلام يمكن ان تبهر العالم .. او على الاقل تجد هذا الاهتمام والترحيب .. كما حدث بالنسبة لفيلم « المومياء » للمخرج المصرى الموهوب شادى عبد السلام . فهذا الفيلم استقبله النقاد فى اوربا وامريكا بحفاوة شديدة وحصل الفيلم على عدة جوائز دولية .. رغم ان هذا الفيلم تم انتاجه فى كل الظروف وبكل الامكانيات التى خرج بها عشرات الافلام المصرية الهزيلة .

اى ان هناك مواهب فنية ومهارات خاصة تستطيع أن تغزو السوق العالمى ، ومجال المهرجانات .. كما حدث ايضا بالنسبة للفيلم الجزائرى « وقائع سنوات الجمر » للمخرج الاخضر حامينا .. والذى حصل على الجائزة الكبرى لمهرجان « كان » عام ٧٥ .

والفيلم السورى « المتمردون » للمخرج المصرى توفيق صالح .. والفيلم المصرى « العصفور » للمخرج يوسف شاهين .. والفيلم الجزائرى « عمر قتلته الرجولة » للمخرج « مرزاق علواش » .. والفيلم الكويتى السودانى « عرس الزين » للمخرج الكويتى « خالد صديق » .. والفيلم التونسى الهولندى « الشمس والضياع » للمخرج التونسى « رضا الباهى » .

والنماذج قليلة ومعدودة .. ولكنها معروفة بتجربتها فى المحافل الدولية .. وبالطبع هناك الكثير من الافلام يمكن أن تصل الى العالم الخارجى .. لو وجدت التدعيم الرسمى من الدولة .. ولو وجدت ايضا الخطة الاعلامية المدروسة بذكاء وفهم لتقديمها للراى العام العالمى .

فليس من المنطقى ان نصنع فيلما جيدا .. ثم نحبسه عن الخروج الى العالم .. فلا العالم سيسال هنا .. ولا نكف نحن عن التساؤل اين مكاننا على خريطة السينما العالمية ؟!!

رءوف توفيق

نعمان عاشور يستعيد لياقته الفنية

فؤاد دوّارة

- لديه قضيّة يدافع عنها، وإحساس بخطر معيّن يُريد أن يحذّرنا من الاستسلام له
- عودة إلى الشكل التقليدي لمسرحيّاته الأولى الناجحة بكل المزايا وبكل العيوب أيضًا
- في «برج المدابغ» أبعاد جديدة معاصرة كصدى لحرب أكتوبر ١٩٧٣

بعد عدة مسرحيات محدودة التوفيق استعاد نعمان عاشور بمسرحية « برج المدابغ » قدرا كبيرا من لياقته الفنية ، واسترد مساحة معقولة من ارض النجاح التي فقدها خلال السنوات القليلة الماضية.

وسبب ذلك ، ببساطة ، ودون الغازات نقدية ، يرجع الى عاملين رئيسيين اولهما انه كان لديه فيهذه المسرحية شيء واضح يريد أن يقوله « لديه قضية يدافع عنها ، واحساس بخطر معين يريد ان يحذرنا من الاستسلام له » والعامل الثاني في النجاح الذى حققته مسرحيته الجديدة انه عاد بها الى الشكل التقليدى لمسرحياته الاولى الناجحة « بكل مزاياه وبكل عيوبه ايضا » !

ومرة اخرى عاد نعمان كذلك في هذه المسرحية الى جو اسرة الطبقة المتوسطة الساعية للثراء وصراعاتها المنهدمة حول المال والعقار .. وهو جو خبره جيدا ، وسبق له ان عالجه بقدر كبير من النجاح في افضل مسرحيتين كتبهما وهما : «الناس اللي تحت» و «عيلة الدوغرى» . ولكن هذا الجو في « برج المدابغ » اكتسب ابعادا جديدة معاصرة كصدى لحرب اكتوبر ١٩٧٣ من ناحية، وسياسة الانفتاح الاقتصادى من ناحية اخرى ..

حي الاستيراد المركزي

رب الاسرة في المسرحية هو « سلامة بيه » حاليا « والشيخ ما ضي ابو اليزيد سلامة » سابقا يوم كان تاجر عطارة متواضعا بحي المدابغ ، وقبل ان يشارك في صفقة من جلود بهائم المذبح ، ويحقق ثروة كبيرة من بيعها .. فتحول بذلك « من عطارة بخمسين جنيه لعمارة بربع مليون في سنة ونص » (قول سنتين . على حد تعبير احدى شخصيات المسرحية).

و« برج المدابغ » هو الاسم الاول للعمارة ، حين شرع « سلامة » في تشييدها في الحي القديم الذى نشا فيه ، وقبل ان يقنعه ابنه الجشع « عصام » بنقلها الى حي الدقي - « حي العرب » كما تسميه احدى الشخصيات و «حي الاستيراد المركزى » كما تصفه شخصية اخرى .

وقبل ان تنتهي اللمسات الاخيرة في العمارة يكون الابن الاكبر « عصام » قد اوشك على الانتهاء من اعداد « بوتيك » فاخر لكل انواع البضائع المستوردة .

ويشارك عصام في « البوتيك » شقيقته «فيفي» وزوجها « حنفي » اللذان لا يقلان عنه جشعا ورغبة في الاثراء السريع باى سبيل .. ويعاونه « مبارك » مساعد ابيه من قبل في دكان العطارة ، والازهري السابق المغرم بقراءة الصحف والمجلات. ويعمل في ديكورات « البوتيك » « عزوز » النقاش الماهر الذى يرغب في التحول الى مقاول والسفر الى اى قطر عربي لتحقيق ارباح اكبر ..

وهناك كذلك « مدام دولت » التي تربطها بسلامة بيه علاقة وثيقة غامضة .. اجر لها ثماني شقق في العمارة لتؤجرها بدورها مفروشة .. وبقيت لها ست شقق اخرى استولى عليها عصام وشريكاه لتخزين بضائع « البوتيك » حتى افتتاحه . ولسلامة ابن آخر يدعى « هشام » ضابط بالقوات المسلحة ، فقد في معارك اكتوبر وخصص الاب احدى شقق عمارته لنادية زوجة ابنه المفقود ، وهي شابة مثقفة يعتصرها الحزن على زوجها حتى لتشرع في الانتحار مرتين .

وفي ماضيه كان سلامة « شيخ طريقة وصوفي صاحب اوراد » .. ، وحينما هبطت عليه الثروة لم يتخل تماما عن هذا الجانب ، فاصر - رغم معارضة عصام - على تحويل جانب من دكاكين العمارة الى مسجد.. وان كنا نعلم من «مبارك» انهذا الاصرار لم يكن كله لوجه الله والخير وانما لانه يساوى عند الحكومة الاعفاء من الضريبة العقارية خمس سنوات !

وفجاة تصل انباء تفيد العثور على «هشام» اسيرا لدى العدو، وما يلبث ان يعود فاقدا احدى ساقيه .. ويبذل سلامة كل طاقة للعناية بابنه البطل وزوجته :

« انا عاوز اريحك باي طريقة .. انت ضحيت كتير ..وضحيت علشنا كلنا مش علشان نفسك « يا هشام انت عندي كل حاجة .. »

ولكن « هشام » يرفض كل عروض ابيه المغرية .. في الوقت الذي يحقق «البوتيك» ارباحا طائلة تزيد اصحابه جشعا ونهما لتحقيق المزيد من الارباح حتى ليشرع « عصام » في الاستيلاء على الدكاكين

منظر من برج المدابغ يظهر فيه : مديحة حمدى ، صلاح السعدنى ، عبد السلام محمد ، ميرفت سعيد





المخصصة للمسجد ليتوسع في «البوتيك» .. وتزيد الارباح .. ويرفض وشريكاه تسليم الست شقق (التي كانت مخزنا للبضاعة) لمدام دولت ..

مسجد .. أم «بوتيك» ؟

ولا يكتفي « عصام بالاستيلاء على الدكاكين المخصصة للمسجد بل يستدعي مهندسا ليبني دورين فوق العمارة ليحولها الى فندق بملحقاته :

« انا بقى حافتح مطرح الجامع ثلاثة بوتيك » ميت الف جنيه في الشهر بالراحة .. واللوكاندة خمسين اوضة .. حتكون الدور ده بحاله .. فوق حيطلع دور تاني .. كافتريا او اتنين .. وصالة رقص واستريو ونايت كلوب .. ليه انا اتعب الزبون بتاعي واخليه يروح شارع الهرم ! يطلع عندي فوق .. يتبسط زي ماهو عاوز .. وينزل ينام في اوضته او في جناحه .. براحته وعلى راحته .. سلطان زمانه ويفلوسه .. »

أما الشقق المفروشة فتتحول الى ملاحق للفندق .. وحين يكتشفون ان الاب متزوج من مدام دولت بعقد عرفي وانه ينوي التنازل عن العمارة لابنه الضابط المصاب يتم تفاهم سريع بين « عصام » و مدام دولت باعتبارهما « القوتين الاعظم » ـ على حد تعبير « عزوز » ـ على اعلان زواج مدام دولت من الاب، ونقل «البوتيك» الى تسع دكاكين التي كانت مخصصة لبناء المسجد، وتحويل الفيلتين الطوبين ـ بعد بناء دورين فوقهما ـ الى فندق يضم « كافتريا » و «استريو » و « نايت كلوب »

نظرة « الهوادى »

ويسأل « مبارك » عما يريده فيقول : أنا مع هشام بيه ! .. وهنا فقط يتذكرون أخاهم العائد من ميدان القتال وكيف انهم لم يخصوه بشيء في صفقتهم الضخمة .. وحين يدخل يعرضون عليه بيت المدبح القديم فيرفض ، فيعرضون عليه مبلغا كبيرا من المال فيرفض أيضا .. انه مشغول بشيء آخر تماما .. فمنذ عودته من الاسر وهو يحاول رسم لوحة كبيرة يسجل فيها بطولات المعركة ..

وقد توقف بصفة خاصة عند النظرة التي لمحها في عيني جندي رآه يقتل قبل اصابته مباشرة ..

« اصله كان عاوز ينبهنا احنا الاتنين .. انا والضابط زميلي .. للصاروخ اللي جاي من ورانا .. راسه طايره من جسمه ومع ذلك فيه الروح اللي تخليه عاوز ينادي علينا ويحذرنا .. الهواري كان في عينيه حاجة ثانية !

.. ده كان راسه بتلف في الهواء بترفرف زي ما تكون فرخة مدبوحة .. ومع ذلك كانت عايشة معانا كلنا .. عايشة مع كل اللي حواليه .. كان بده يقول لنا حاجة ... الهواري اشترك في عدوان ٥٦ .. وحارب في ٦٧ ومات في ٧٣ .. ومتنسوش انه قعد في الجبهة ست سنين .. اتكون عنده ايه ؟ .. ايه اللي نما جواه واتكوم جواه في ست سنين ؟ .. »

ويقترب هشام من الاجابة عن هذا السؤال فيرسم في خلفية اللوحة الهرم والقلعة :

« الهرم يعني مصر .. مصر الزمن .. مصر الصبر .. والقلعة يعني مصر العقيدة مصر الايمان .. مصر الله .. »

اما نظرة الهواري لحظة مصرعه التي لا يستطيع ان ينساها ابدا فمازال حائرا لا يستطيع تحديدها وتفسير معناها :

« الهواري بص لنا علشان نعيش بعده .. بس نعيش ازاي ؟ وعلى اي اساس ؟ نعيش بعده .. نعيش نسرق .. نعيش ننهب ؟ .. نعيش نحقد ؟

نعمان عاشور
يستعيد لياقته الفنية

..نعيش نكذب ؟ .. نعيش
نعمل اللي بيعملوه ده كله؟
نعيش احنا بس ونحرم الكل
من العيشة ؟ نعيش ازاي
مع ناس زي دول .. »

وحينما يزور هشام بيت المدبح القديم ويصعد فوق سطحه مرتين ويرى المقابر التي يعيش فيها الاحياء ويسمونها بيوتا يقترب من فهم حقيقة نظرة الهواري :

« .. كان بيحذرنا منها
..كان بينبهنا ليها .. كان
بيشاورلنا عليها .. لو
عشتوا بعدي هدوها ..
وابنوا بيوت ثانية تطلع
ناس تانيين .. والا كنا
بنحارب ليه في سته اكتوبر
.. علشان نبني الابراج
ونعيش في الابراج ..
ويطلع لنا منها دول ..
دول .. دول .. »

انهيار الأبراج

وقرب نهاية المسرحية يهتدي هشام الى فهم حقيقة نظرة الهواري الشهيد ، ويعرف ماالذي كانت تحذر منه .. ويوفق الى تسجيل ذلك كله في لوحته .. وبينما يعرضها على افراد الاسرة اذا بدوي هائل يصم الآذان .. انها احدى العمارات الجديدة في الدقي قد انهارت على من فيها .. ويتأمل مبارك فاذا بهشام قد رسم الصاروخ الذي اطاح بحياة الهواري على شكل برج المدابغ .. عمارة عالية مدببة وفوقها « فيلتان » .. كانهما راسان نوويان :

« هو ده الصاروخ اللي
بيحذرنا منه الهواري ! ..
طير الهواري .. وموت
فتحي .. وقضى على
رجلي .. »

ويسمع دوي هائل آخر .. انها عمارة اخرى انهارت .. فيسود الذعر والهلع .. واذا بعزوز يذكر « سلامه بيه ، بعزمهما على الذهاب الى الحجاز للحج .. او العمرة .. فيصرخ هذا الاخير مشيرا الى العمارة :

« .. خدوها ! مش
عاوزها ! خدوها !
مش عاوزها ! »

الكوميديا « الريحانية »

ويسدل الستار على واحدة من انضج مسرحيات نعمان عاشور .. فيها كل مزايا مسرحه .. وكل عيوبه ايضا ..

البناء الدرامي على قدر كبير من التماسك والتسلسل المنطقي .. وهو نفس بناء الكوميديا « الريحانية » التقليدية ، قوامها التصوير «الكاريكاتيري» المتقن للشخصيات .. والحوار الفكه الذي يعتمد اكثر ما يعتمد على النكات اللفظية ، ومواقف سوء التفاهم والسخرية اللاذعة .. بل ان الموضوع الذي تعالجه « برج المدابغ » وهو التكالب على جمع المال والاثراء السريع كذلك من الموضوعات الاثيرة عند الريحاني والتي عالجها في العديد من مسرحياته المقتبسة ..

ويبقى بعد ذلك ان « نعمان » قد اسبغ على هذا الاطار التقليدي بعدا اجتماعيا ناضجا على نحو ما فعل في غالبية مسرحياته الناجحة .. فهو هنا يحذر من استغلال الانفتاح الاقتصادي بواسطة طبقة من الطفيليين .. كما يوفق الى حد بعيد في رسم صورة ساخرة لاذعة لطلاب الثراء السريع بأي ثمن ودون قيم .. ولكنه لا يشير بوضوح الى طريق الخلاص الذي ينبغي ان نمضي فيه ، كما صور بطل حرب اكتوبر العائد كشخصية سلبية تكتفي بالتأمل والتفكير النظري دون ان تحاول المشاركة على اي نحو في اصلاح الفساد المحيط بها من كل جانب ..

الاغراب « البريشتي »

ولم تخل المسرحية من عدد من النكات اللفظية المستهلكة مثل وصف ساعة الحائط بانها « ساعة نحس » ، ووصف حياة احدى الشخصيات بانها ليست « خاصة » بل « قتايه » ! .. وكذلك استخدام الاغاني القديمة للاضحاك مثل « انا اللي طول عمري ما حجيت .. وتعليق احدهم على كلمة « مدام » باغنية « مدام تحب بتنكر ليه » .. الى غير ذلك مما يسيء الى مستوى المسرحية اكثر مما يفيدها .

وعندي ان استخدام الكاتب لمحاولات الاغراب « البريشتية » في عدة مواضع من المسرحية وبخاصة في تعليقات «مبارك» وسخريته من المؤلف ومن اسلوب «الجوقة» الذي شاع فيكثير من المسرحيات الحديثه .. كل ذلك يبدو غريبا ومقحما على شكل المسرحية التقليدي وشخصياتها الكاريكاتيرية الشعبية وحوارها العامي المسطح الذي يحفل بالنكتة اللفظية اكثر مما يهتم بالفكرة او الصياغة الشاعرية المؤثرة ..

غير ان هذه الملاحظات وغالبيتها سمات ثابتة في مسرح نعمان عاشور كله لا تؤثر على تقديرنا لمزايا المسرحية الواضحة من سمو هدفها ، وتماسك بنائها ، ونضج شخصياتها ، وخفة ظل حوارها .. وغير ذلك مما يضعها الى جوار بقية مسرحيات نعمان الناضجة والتي نرجو ان يزداد عددها بعد ان استعاد الكاتب لياقته الفنية وبدا يعاود المضي في طريقه الصاعد الذي بداه منذ اوائل الخمسينيات .

فؤاد دواره

العدد القادم

طه حسين في ذكراه الخامسة

فؤاد دوّارة



توفيق حنّا

فنان الشعب
سيد درويش

ولد سيد درويش فى صباح يوم ١٧ مارس سنة ١٨٩٢ فى حى كوم الدكة ، وهو أحد أحياء مدينة الاسكندرية الشعبية ، الحى الذى كان يقوم به حصن كوم الدكة يرفرف عليه العلم البريطانى.

ولد سيد درويش فى عهد كرومر ، فى الوقت الذى كان الزعيم الشاب مصطفى كامل وهو فى الثامنة عشرة يخطب فى فرنسا ، ويدوى صوته فى كل أوربا ، مطالبا بحقوق بلاده فى الحرية والاستقلال .

ولد سيد درويش ـ فنان الشعب ـ بعد ثلاث سنوات من مولد طه حسين ، والعقاد ، وعبد الرحمن الرافعى ، وبعد عشر سنوات من ثورة الفلاح المصرى أحمد عرابى ، التى انتهت بالخيانة والهزيمة والنفى ، وبقيت هذه الذكريات الاليمة فى أعماق الفنان الثائر ، وكان يأمل ان يقدم أوبرا مصرية موضوعها الثورة العرابية .. ولكن !

●●

وفى الاسكندرية لمع اسم الفنان العظيم سلامة حجازى الذى جدد وابتكر فى الغناء والتمثيل ، وهو الذى احتضن عبقرية سيد درويش وقدمه للجماهير وهو يعلن لهم ان هذا هو موسيقى المستقبل وذلك فى الحفلة التى اقامها فى القاهرة سنة ١٩١٧ ، وهى السنة التى انتقل فيها سيد درويش الى القاهرة ، وفى هذه الحفلة قدم « غانية الاندلس » وخصص ايرادها للفنان الشاب سيد درويش .

وقبل سيد درويش ظهر الفنان عبد الحى حلمى ـ تلميذ عبده الحمولى ـ والذى تخرج فى ندوة اسماعيل باشا حافظ ، والد الفنانة بهيجة حافظ ومن أشهر العازفين على آلة العود فى ذلك الوقت . كما ظهر كثير من المغنين الفنانين الذين تركوا آثارهم الباقية فى تاريخ الغناء المصرى امثال محمد عثمان ويوسف المنيلاوى وغيرهما .

●●

جاء سيد درويش الى هذه الدنيا ، واسرته الصغيرة وكل طوائف الشعب المصرى فى وطنه الكبير تعانى كل الوان القهر والكبت والظلم فى ظل الاحتلال الاجنبى والاقطاع.

وعندما كان سيد درويش فى السابعة من عمره مات أبوه ، الذى كان نجارا فقيرا ، فقامت أمه بالانفاق على هذه الاسرة البائسة بوعى وحكمة ومحبة الام المصرية .. فقد الحقته بكتاب فى حى كوم الدكة ، وكان فى هذا الكتاب مدرس يدعى سامى أفندى ، كان يلقن تلاميذه السلامات والاناشيد ، وعلى يد هذا المدرس الاول تلقى سيد درويش الحان سلامة حجازى .

فنان الشعب
سيد درويش



سعد زغلول



احمد عرابى

وتلقى سيد درويش مبادىء النوتة الموسيقية من على صالح الذى كان مدرسا بمدرسة العروة الوثقى ·· وفى الثالثة عشرة من عمره التحق بمعهد الاسكندرية الدينى ، وكان مقره فى مسجد ابى العباس المرسى ، ثم انتقل فى السنة التالية الى مسجد الشوربجى · ولكنه فصل من المعهد بسبب هذه الحفلات والسهرات التى كان يشترك فى احيائها واشتغاله بقراءة الموالد فى الافراح ، وبعد ذلك بدأ سيد درويش حياته الاحترافية بالغناء فى مقاهى الاسكندرية · ثم خلع العمامة والجبة والقفطان وارتدى جلبابا ابيض ليعمل فى المعمار ، ولكن العمال الذين كانوا يعملون معه اتفقوا ان يقتصر عمل سيد درويش على أن يغنى لهم أثناء العمل ، فقد كانت هذه الاغانى والمواويل التى كان يرددها زميلهم الفنان تدفعهم الى الاقبال على اعمالهم بحماس ونشاط وفرح · وحدث ذات مرة ـ كما يحدث فى الحواديت ـ ان استمع اليه الممثل سليم عطا الله من مقهى قريب كان يتردد عليه ، ودفعه اعجابه بصوت هذا الفنان ان اتفق معه على السفر الى الشام ضمن أفراد فرقة اخيه سليم عطا الله · وعلى ظهر السفينة التى ركبها الى الشام سنة ١٩٠٩ بلغه نبأ مولد ابنه محمد البحر ·· وهناك ـ فى الشام ـ تعرف على الموسيقى الكبير « الموصلى » واخذ عنه بعض التواشيح ·· واستمرت هذه الرحلة الفنية الاولى عشر شهور ، ولكنها انتهت بالفشل ·· عاد بعدها سيد درويش الى الغناء بالمقاهى فى الاسكندرية ، ومن بينها قهوة شيبان التى كان يتردد عليها سلامة حجازى ·· ولكنه عندما بدأ يغنى فى بار كوستى ثار صهره واجبره على ان يترك الغناء ويعمل معه فى تجارة الاثاث ·

وفى عام ١٩١٢ قام سيد درويش برحلته الثانية الى الشام مع فرقة سليم عطا الله · التى استمرت عامين ، وكانت رحلة ناجحة من الناحيتين المادية والفنية ، وبدأ فى تعلم العزف على آلة العود عن طريق كتاب « تحفة الموعود فى تعليم العود » ·

واستانف سيد درويش الغناء فى مقهى السلام بميدان محمد على ، وذلك بعد عودته من رحلته الثانية ·· وفى هذه الاثناء تعرف بفنانية الاسكندرية جليلة ، وهام بها هياما اوحى اليه باجمل الحانه واغانيه ثم اتجه سيد درويش ـ فنان الشعب ـ الى الالحان الشعبية وقدم لنا « زورونى كل سنة مرة ·· » و « طلعت يا محلا نورها شمس الشموسة » ·· وغيرهما ·· وقد شاعت هذه الالحان الشعبية على السنة الصبية فى الشوارع ، ورددها المثقفون وعامة الشعب على السواء ··· وشجعه هذا النجاح على الرحيل الى القاهرة فى سنة ١٩١٧ ·

كان سيد درويش قد تعرف فى مقهى « الحميدية » بالاسكندرية بالفنان الكبير جورج أبيض بعد عودته من بعثه فى فرنسا لدراسة المسرح ، الذى عرض عليه ان يذهب معه الى القاهرة للغناء بين فصول مسرحية « لويس الحادى عشر » التى كان يقدمها على مسرح « الحمراء » ·· ثم قرر جورج أبيض ان يترك المآسى التى كان يقدمها ويؤلف فرقة غنائية ، واعتزم ان يبدأ نشاط هذه الفرقة باوبريت « فيروز شاه » وعهد بتلحينها الى سيد درويش ·· وكانت هذه هى اول اوبريت يلحنها ، بل هى اول اوبريت مصرية ·· وعندما استمع بديع خيرى الى الحانها دفعه اعجابه الى التعرف بملحنها ·· وكان سيد درويش قد لحن اغنية « دنجى دنجى » لبديع خيرى لاعجابه بها قبل ان يعرف مؤلفها ·· وهكذا كانت بداية هذا التعاون الصادق البناء المثمر بين هذين الفنانين الكبيرين ·

●●

كانت « فيروز شاه » نقطة تحول وانطلاق فى حياة سيد درويش الفنية ، كما أصبح سيد درويش نقطة تحول وانطلاق فى تاريخ الغناء والموسيقى فى مصر وفى كل الوطن العربى ، فهو خالق الموسيقى المسرحية بمعناها الفنى العلمى الدقيق ، فقد تمكن بفضل استعداده الشخصى وفطرته الفنية الاصيلة ، وتاثره بما استمع اليه من الاوبرات العالمية ، أن يكون صوت هذا الشعب ، وان يترجم بلغة الموسيقى والغناء قضاياه ، وما يعتمل فى اعماقه من آلام وآمال ومن احلام لتحقيق الحرية والعدل والسلام ·

كما كان لثورة ١٩١٩ تاثيرها العميق البناء على شخصية الفنان سيد درويش ، وكان ابنا أمينا وصادقا لهذه الثورة التى قام بها المصريون لاثبات وتوكيد شخصيتهم فى كل الوان النشاط الانسانى ، فكان ان تفجرت الطاقات المصرية الاصيلة فى السياسة والاقتصاد والاجتماع وفى الادب والنحت والرسم والموسيقى والغناء والمسرح ·· وتمكن هذا الفنان الثائر من تحرير الاغنية من جو الصالون الارستقراطى الزائف ، وجعل منها أداة للتعبير عن الشارع المصرى بكل ما يمتلىء به من نضال وكفاح وثورة ، وعن اتجاهات وآمال واحلام وافراح الشعب المصرى، فهو منشىء الموسيقى القومية المصرية ، كما فعل الموسيقى الالمانى موتسارت فى اوبراه الخالدة « الناى السحرى » التى تعتمد فى موضوعها على الاسطورة المصرية القديمة « ايزيس واوزيريس »، واصبحت الاغنية المصرية تعبر عن يقظة الشعب ونهضته وعن عودة الروح لهذا الشعب ـ صانع حضارة الانسان ـ واخذت الجماهير

تردد مع فنان الشعب « قم يا مصرى مصر دايما بتناديك » ...

●●

لم يجد الشعب المصرى بعد سنوات الحرب وما بعدها التى عانى فى اثنائها الكثير وخرج منها متعبا ومرهقا .. لم يجد هذا الشعب متنفسا الا فى المسرحيات الغنائية التى كانت تقدمها فرق الريحانى والكسار ومنيرة المهدية وامين صدقى وعكاشة ، وكان الفنان العملاق سيد درويش يلحن لكل هذه الفرق ، وتمكن من وضع اسس الاوبريت المصرية التى كان يهدف بها الى رفع مستوى الشعب الثقافى والفنى والاخلاقى .

●●

كان سيد درويش يحس احساسا عميقا ان نهايته قريبة ، اذ كانت سنوات حياته الفنية الاخيرة فى القاهرة (١٩١٧ - ١٩٢٣) من اخصب السنوات انتاجا .. ويكفى ان نذكر انه الف فى شهر واحد من عام ١٩٢٠ ، اروع اعماله : « راحت عليك » لفرقة الكسار و « هدى » لفرقة اولاد عكاشة و « العشرة الطيبة » لفرقة الريحانى و « فشر » لفرقة الريحانى و « كلها يومين » لفرقة منيرة المهدية .

وتعتبر « العشرة الطيبة » التى وضع ازجالها بديع خيرى ، والتى الفها رائد المسرح المصرى محمد تيمور ، والتى اخرجها عزيز عيد لفرقة الريحانى .. تعتبر اول اوبريت مصرية متكاملة شكلا وموضوعا ومضمونا ، كما يعدها النقاد اهم اعمال سيد درويش .. وهى تصور عهدا من عهود المماليك وتسخر من الاستعمار التركى .

●●

وفى سنة ١٩٢١ الف سيد درويش فرقته الخاصة وقدم فيها « العشرة الطيبة » و « شهر زاد » و « البروكة » ، والتى تحوى أعظم واخلد الحان هذا الثائر الذى كان يميل بكل عقله وقلبه الى هذه الطبقات الفقيرة الكادحة ، التى خرج منها ، كما استقى من حياة هذه الفئات المطحونة اصدق واعمق الحانه .. وتدور هذه المسرحيات الغنائية الثلاث حول فساد وانحراف الطبقات الارستقراطية . وقد عثر فى اوراق سيد درويش - بعد وفاته - على نوتات اصلية لهذه الاوبريتات .

ونحن نذكر لحن الوصوليين والانتهازيين والمستقلين فى « العشرة الطيبة » !

علشان ما نعلا ونعلا ونعلا
لازم نطاطى نطاطى نطاطى

●●

ولكن هذه الفرقة الخاصة انتهت بالفشل من الناحية الادارية ، وبدأ سيد درويش الكتابة عن الموسيقى فى مجلة « النيل » تحت امضاء « خادم الموسيقى » .

وفى اول اغسطس ١٩٢٣ - قبل وفاته بخمسة واربعين يوما - وقع فنان الشعب عقدا مع اميل عريان ، صانع البيانو العربى -



بهيجة حافظ



نجيب الريحانى

لنشر ما أسماه « أغانى الشعب » على أن تنشر هذه الاغانى بالنوتة الموسيقية الموزعة توزيعا هارمونيا ، ولكنه مات قبل أن يحقق هذا المشروع الذى يعتبر البداية الحقة والخطوة الجادة لحصر وتسجيل الاغانى والالحان الشعبية ، والاساس العلمى والفنى الذى تقوم عليه الموسيقى القومية .. ولكنه مات وترك للاجيال التالية ولتلاميذه مسئولية تحقيق هذا المشروع !!؟

●●

وفى خريف ١٩٢٣ يعود فنان الشعب الى وطنه الصغير - الاسكندرية - ويذهب الى الحى الذى ولد فيه ويزور اصحابه واحبابه ويقيم ليلة ساهرة لاصدقائه والمعجبين به ، ويقصد دار شقيقته فى حى محرم بك .. ولكنه يموت بعد ساعات قليلة .. فى ١٥ سبتمبر ١٩٢٣ . وكان عمله الاخير الذى ختم به حياته ، هذا النشيد الذى أعده لاستقبال الزعيم سعد زغلول العائد من المنفى .

ومطلعه :

مصرنا وطننا
سعدها أملنا
كلنا جميعا للوطن ضحية

ولكنه مات ، واستقبل النشيد - دون صاحبه - مع جماهير الشعب ، الزعيم سعد زغلول . وعندما مات سيد درويش لم يكن يملك - رغم شهرته وانتاجه الضخم - الا عوده وفونوغرافه القديم ، وعصاه ، التى كان يدعوها « الحاجة » ودفن فنان الشعب فى مقابر المنارة وكتب على شاهد قبره :

يا زائرى لا تنسى ... من دعوة صالحة
وارفع يديك الى السما ... واقرأ لروحى الفاتحة

كان سيد درويش ثورة فى الاغنية .. ثورة فى الموسيقى .. ثورة فى التلحين .. ثورة فى تحرير الالفاظ ومعانيها .. وعلى يديه ولدت الاوبريت المصرية ، وكانت مسارح القاهرة تعرض له فى وقت واحد اكثر من أوبريت من تلحينه . أشاع سيد درويش فى حياة المصريين المليئة بكل الوان الظلم والقهر ، أشاع فيها روح البهجة والامل والفرح .

وبعد سيد درويش ذبلت وماتت الاوبريت المصرية ، وعادت الاغنية الى سابق عهدها قبل سيد درويش ، وسيطرت عليها من جديد الالحان التجارية السوقية المبتذلة !!

توفيق حنا

حافظ أحمد أمين

الإنبهار غير الحقيقى فى المسرح

- المسرح هو فن الحركة والصراع والفعل والتغيير والضغط والاستجابة
- مسرح اللامعقول سرعان ما تلقفته الجماهير المثقفة بالتهليل والإعجاب!
- ليس كل اقتباس من المسرح الغربى تقليد تافه!

اذا احس انسان بضيق الحذاء الذى يلبسه ، واشتدت الآلام من ضغط الحذاء على قدميه ، ذهب الى تاجر الاحذية ، لا يطلب منه الا حذاءا واسعا ، ولا يهمه بعد ذلك شكل الحذاء او لونه او ثمنه ، بل ولا يهمه ان يكون مقاس الحذاء هو المقاس السليم .. المهم ان يكون واسعا ، وكان اتساع الحذاء هو المطلب الوحيد .

يحدث مثل هذا فى المسرح ... فما ان يشعر الجمهور بالسام والضيق من لون معين من العروض المسرحية، حتى يبدأ فى رفضها والاعراض عنها ، ولا يطلب الا لونا مضادا تماما لما كرهه وزهده ، ولا يرى مقياسا للجودة الا ما كان على عكس العروض التى ضاق بها .

فى القرن التاسع عشر كان المسرح الاوروبى يقدم الميلودرامات المفجعة ، والقصص ذات الاحداث العنيفة المفتعلة ، والحوار المليء بالعذلقة والتقعر ، والمناظر الضخمة والملابس الفخمة ، والمواقف المعقدة ، وقد أدى هذا الى ملل الجماهير من شدة الاثارة والتعقيد ، ومن افتعال العنف والمآسى ، فما ان فتح الستار مرة عن منظر صالة فى منزل عادى ، بها مائدة طعام عليها بعض المأكولات ، تجلس اليها امرأة تلبس ملبسا بسيطا وتشرب القهوة ، وبجوارها زوجها يقرأ الجريدة اليومية ، حتى ضجت الصالة بالتصفيق الطويل ، فلم يكن الجمهور يشاهد مثل هذا من قبل ، بل كان هذا المنظر ثورة عارمة على ما اعتاده ، ولم تكن هذه الواقعية الا رد فعل لما كان يقدم قبلها .

فن الحركة والصراع

وكثرت بعد ذلك المسرحيات الطبيعية ذات الاحداث البسيطة ، الخالية من التوتر والمتاعب والآلام ، وكانت القيمة الاساسية للمسرحية فى ذلك الوقت ان تصور جوا هادئا بسيطا ، او تصف بيئة مألوفة عادية ، ونسوا ان المسرح كان دائما ـ وسيظل أبدا ـ فن الحركة والصراع ، فن الفعل والتغيير ، فن الضغط والاستجابة ، وان هذه المناظر العادية والمشاهد الطبيعية ، والاحداث البطيئة الخالية من التوتر والاثارة ، وهذا الكلام المألوف والحوار الهادىء ، كل هذه أمور بعيدة كل البعد عن طبيعة الفن المسرحى ، وما اعجاب الناس بها فى تلك الفترة الا رد فعل وقتى سرعان ما ينتهى ويزول .

روبنسن كروزو

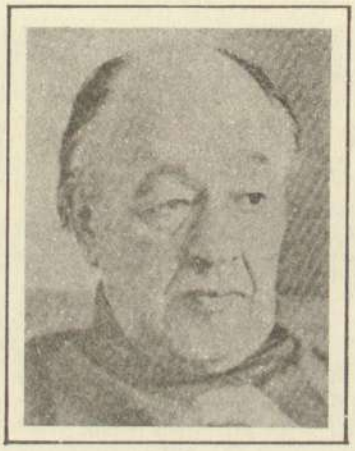
ولد سيلكيرك عام ١٦٧٦ م في مدينة لارجو في اسكتلندا . وعمل بحارا تحت امرة القبطان وليام رامبير . وفي عام ١٧٠٤ ، نظرا لخلاف بينه وبين الربان نزل من السفينة على شاطىء مازاتيرا . وهي جزيرة صغيرة تقع في المحيط الاطلسي بعيدا عن امريكا الجنوبية . عاش سيلكيرك وحيدا في تلك الجزيرة لاربع سنوات واربعة اشهر قبل ان يعاد الى انجلترا .

من حياة هذا الرجل استوحى دانيل ديفو قصته (مغامرات روبنسون كروزو) .

هنريك ابسن



يونسكو اوجينى



وما أن ساد هذا النوع من المسرحيات في الغرب حتى سارعنا الى نقله الى بلادنا ، والتاليف على نمطه ، فانتقل مسرحنا أيضا من ميلودرامات يوسف وهبى الى ذلك اللون الباهت من التاليف والترجمة والاقتباس ، ناسين ان الشعب يحب شكسبير وموليير بكل ما احتوت مسرحياتهما من احداث عنيفة ، ومواقف مثيرة ، وحركة وصعاب وتوجس .

اللامعقول .. والفاضح!

ومن ردود الفعل أيضا ما رأيناه في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ كان الناس هناك يعيشون وسط الخطب الحماسية والبيانات الرنانة ، والمقالات المهيجة ، والاذاعات التي كانت تصور لهم الحرب كضرورة لتحقيق السلام ، وكامل لتطبيق العدالة وانتشار الرخاء .

فما ان انتهت الحرب حتى تبخر كل شيء .

ومع خروج انجلترا وفرنسا منتصرتين ، فان انتصارهما كان أقرب الى الفشل والهزيمة .

ومع ان الطبقة الرأسمالية في البلدين هي التي قادت الحرب وانتصرت فيها على المانيا ، فان هذه الحرب نفسها هي التي صفت نفوذ الطبقة القائدة .

وانتهت الحرب الساخنة لتبدا الحرب الباردة ، دون أن يتحقق ما كانوا يأملون فيه من عدل أو سلام .

هذه المشاعر وامثالها انتابت المثقفين في البلاد المحاربة ، وبالذات في فرنسا وانجلترا حيث انتمى أغلب المثقفين الى الطبقة المتوسطة المندحرة .

هذا المناخ هو الذى خلخل عقيدة المثقفين في أوروبا ، وجعلهم يشكون في قيمة اللغة التي كان السياسيون يضحكون بها عليهم ، وفي قيمة المبادىء والقيم ، بل وفي الحياة نفسها ، حتى قالوا انها عبث ، وسارع الكتاب من أمثال بيكيت ويونسكو في كتابة كلام غير مفهوم ، أطلقوا عليه اسم « اللامعقول » سرعان ما تلقفته الجماهير المثقفة بالتهليل والاعجاب ، ورأى فيه المشاهدون ثورة على الكلام المنطقى الذى ملوه وسأموه من كثرة ما استعمل في اغراض الدعاية والتمويه ، وصفقوا لهذا العبث الذى كان رد فعل لخطب الساسة ومنطق المنافقين ، ونسوا ان فن المسرح هو فن الكلام الواضح المفهوم ، والمنطق السليم ، والتعبير السهل ، وكان اعجاب الناس في ذلك الوقت بهذا العبث وهذه اللامعقولية نتيجة حتمية لامر وقتى سرعان ما يختفى من الاسواق .

وكما يسارع الناس عندنا في نقل كل ما هو جديد في أوروبا ، ونشر « المودة » في بلادنا تحت عنوان « اللحاق بالحضارة » ، سارعوا أيضا الى ترجمة مسرحيات العبث والى تقديمها على مسارحنا ، بل وسارع كتابنا في التاليف على هذه «المودة» ، ونقادنا في امتداحها واظهار محاسنها ، دون أن يكلفوا أنفسهم البحث عن سبب ظهور مثل هذه الالوان ، أو التفكير عما اذا كانت تتناسب مع طبيعتنا وظروفنا .

ومضت السنوات تجرى بعد الحرب العالمية الثانية لتاتى لاوروبا وامريكا بعصر سموه عصر « الوفرة »، وسموا المجتمع عندهم « مجتمع الاستهلاك » ، وانتشرت مجموعات من الشباب سموا أنفسهم أسماء مختلفة ، وان جمعهم سبب واحد لتصرفاتهم هو الفراغ والاحساس بالضياع ، فكان لابد للمسرح أن يقدم لهم الاعمال التي تتناسب مع فراغهم وضياعهم ، فظهر « المسرح الثائر » و « مسرح الجنس الفاضح » وغيرهما من المسارح التي تقدم أنواعا من العروض المسرحية الخارجة عن كل قواعد الفن المسرحى ، فلم يكن

نعيب الريحاني



الإنبهار غير الحقيقى فى المسرح

المسرح فى يوم من الايام ـ ولن يكون أبدا ـ منبرا للخطب الثائرة أو مجالا لعرض الاجسام العارية ، وانما هى عروض تبهر لعدة سنوات بعض الناس ثم تزول بزوال المؤثر ، وتنسى وكأنها لم تكن • أما المسرح البـاقى فله شروطه المعروفة ، ومواصفاته الثابتة، وأصوله التى لا تتغير مهما تغـيرت الفروع •

ابسن •• والريحانى !

ولا يعنى هذا الكلام أن كل رد فعل فى المسرح ردىء وباطل، فكثيرا ما جاء كتاب جادون مجددون ، لهم مكانتهم المعترف بها ، وقدموا أعمالا عظيمة يمكن اعتبارها ردود فعل لامور مضى وقتها بلا رجعة ، أعمالا تلبى المطالب العقيقة للعصر ، وتقدم للجماهـير ما يرضى مشاعرهم العقيقة غـير الوقتية ، وما المسرحيات الاجتماعية التى كتبها ابسن مثلا الا ردود فعل للصراعات الجديدة التى جاء بهـا عصره ، كذلك كانت معظم المسرحيات الوجودية التى كتبها سارتر ردود فعل لما فعلته النظم الجديدة فى البلاد •

كذلك لا يعنى هذا الكلام أن كل اقتباس من المسرح الغربى تقليـد تافه ، فهناك مسرحيات أوروبيـة وغير أوروبية تعالج أمورا نحسها بقوة ، وتصف صراعات تمـاثل الصراعات فى مجتمعنا ، وقـد كان الريحانى ـ مثلا ـ يغترف من المسرح الاوروبى بذكاء بالغ ، كذلك كـان يفعـل يوسـف وهبـى فى بعض مسرحياته ، ولكنهما كانا يقتبسان ـ فى الاغلب ـ ما يناسب أذواقنـا ويتلاءم مع طبيعتنا ، وكان الريحانى

موليـير



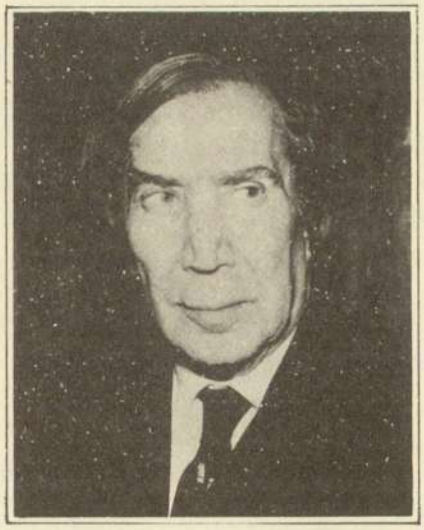
شكسبير



يكتفى أحيانا بنقل المـوقف وبعض الاحداث من الاصـل الفرنسى ، ثم يخلق البيئة الجـديدة والشخصيات المصرية لتناسب تقـاليد جمهورنا وعاداته ، وقد نجح ـ بمعاونة بديع خيرى ـ فى ذلك الى درجة كبيرة •

الحوار دون حذلقة

سيظل فن المسرح هو فن القصـة المثيرة ، والاحداث الخطيرة ، وليس فن الكلام الباهت الممل ، مهما أعجب



يوسف وهبى

الناس لبعض الوقت بما يسـمونه واقعية أو طبيعية •

وسيظل المسرح هو فن الحـوار المفهوم والكـلام السـهل وليس فن العبث والغموض ، مهما أعجب الناس لبعض الوقت بما يسمونه اللامعقول •

وسـيظل المسرح هو فن الصراع الحى الذى تشترك الجمـاهير فى الاحساس به ، مهما أعجب النـاس لبعض الوقت بالعروض الجنسية ، أو بالخطب الثورية •

فن المسرح هو فن الحوار الذكى دون تقعر أو حذلقة ، فـن الكـلام الصادق دون سوقية أو ابتذال ، فن الموضوعات الحية دون تقليد ما فى الحياة من بطء وتمهل •

أما هؤلاء الذين يخرجون عن هذه المواصـفات ويبـدلون فى هـذه الاشتراطات لارضاء فئة معينـة من الناس فى عصر معـين ذى طبيعـة خاصة ، وأما هؤلاء الذين ينقلـون « المودة » ويؤلفون على غرارها لمجرد أنها واردة من البلاد المتمدينة ، دون فهم للحاجات الحقيقية للجمـاهير ، ودون وعى بطبيعـة مجتمعـاتهم ، فسيذهبون جفاء ، ولن يبقى عـلى الارض الا ما ينفع الناس •

مسيرة الرجل والدولة

نبيل خالد الأغا

- دخل البترول يزيد اليوم على ١٥٠٠ مليون دولار سنويًا
- الرئيس الفرنسي يُعبّر عن إعجابه بقدرة قطر على اجتياز تحديات العصر
- عندما شعر المواطنون بالطمأنينة على حاضرهم ومستقبلهم في ظل نزاهة الحُكم

من أحدث الكتب التي صدرت عن دولة قطر كتاب « قطر ... قصة بناء دولة » . لمؤلفه ابراهيم أبو ناب . ومؤلف هذا الكتاب عمل في المجال الصحفي سنين طويلة ، وما برح قلمه يخط المقالات المتنوعة في العديد من الصحف العربية .

وكتاب « قطر ... قصة بناء دولة » يتناول ـ كما هو واضح من عنوانه ـ تاريخ بناء الدولة القطرية .. وتاريخ كفاح اسرتها الحاكمة منذ عهد زعيمها الشيخ ثاني بن محمد وحتى عهد الامير المفدى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني .

كما يتضمن الكتاب فصلين خاصين للمقارنة بين ماضي قطر وحاضرها ، ثم بين حاضرها ومستقبلها . والكتاب في حد ذاته ممتع ومفيد ، ووجوده في المكتبة العربية فرصة طيبة لطلاب المعرفة كي يطلعوا على الخطوات التي تسير عليها دولة قطر ، التي تتربع في أحضان خليجنا العربي .

يبدأ المؤلف حديثه عن وصف قصر الدوحة المطل على الخليج ، وعن الموظفين فيه ، والذين يبدأون أعمالهم قبيل الثامنة صباحا، ويعملون في المساء حتى الساعات المتأخرة من الليل بعد أن يغادر الامير مكتبه عائدا الى بيته .

نواصل أن المؤلف في هذه النقطة بالذات أراد أن يشعرنا بانهماك حكومة قطر ـ وعلى رأسها سمو الامير ـ في العمل المتواصل الدؤوب من أجل رفاهية الشعب في قطر والذي عانى الكثير من ويلات الاوبئة الاجتماعية ... وحتى عهد ليس بالبعيد ، في طفولة أميرها ... في الثلاثينات من هذا القرن . البيوت في قطر من اللبن والطين ، وبلا ماء جار أو كهرباء ، ولا أي نوع من المرافق الحيوية في هذا العصر ، والشوارع متراكمة في بنائها ، وأوحالها ، ولعل الاغلبية من سكان الدوحة كانوا يفضلون الاقامة في قواربهم على الشاطىء !

وللمرء حرية التصور لحال الدوحة في أشهر الصيف حينما تتعدى الحرارة المائة درجة فهرنهيت ، وترتفع الرطوبة النسبية حتى تصل الى ثمانين بالمائة في شهر اغسطس ، وخاصة انه في ذلك العهد لم تكن وسائل التكييف والتهوية الحالية قد عرفت بعد ...

الدراسات العلمية

كان اللؤلؤ يمثل الثروة الرئيسية لسكان الخليج العربي عموما ، ولقد تأثر الناس عندما انهارت أسعاره في الاسواق العالمية نتيجة لاكتشاف اليابان للؤلؤ الصناعي وغمرها العالم به . لا زال سمو الشيخ خليفة يذكر هذه المأساة التجارية فيقول « لقد شاهدت انهيار هذه الصناعة وارجو أن لا تتكرر هذه المأساة أبدا في حياة قطر ، وذلك بتنويع مصادر دخل البلاد وعدم تركها تعتمد على مصدر واحد للرزق مهما كان المصدر » .

ان دخل دولة قطر من البترول حاليا يزيد على ألف وخمسمائة مليون دولار سنويا ، وربما يزيد هذا المعدل ، ولو افترضنا ان عدد سكان قطر مائتي ألف نسمة حسب التقديرات فان هذا الدخل البترولي وحده يعطي كل رجل وطفل وامرأة في قطر نسبة من الدخل تصل الى سبعة آلاف وخمسمائة دولار في العام وهي نسبة من أعلى النسب في العالم ، غير أن نسبة الفرد من الدخل القومي أعلى بكثير من هذا الرقم لان الدخل البترولي لم يعد يمثل الا ٥٥ بالمائة من الدخل القومي ، بينما يأتي حوالي ٣٥ بالمائة من الدخل من عدة قطاعات أخرى كالتجارة والنقل والمواصلات والبنوك وغيرها . أما قطاع الصناعة فيسهم بحوالي ٣ بالمائة وقطاع الزراعة واحد ونصف بالمائة .

وباختصار فان بالامكان الاطمئنان كلية الى ايجابية الميزان الاقتصادي في قطر لفترة طويلة من الزمن اعتمادا على كل هذه المصادر ولكن آمال الانسان القطري لا تحد ، وتطلعات أمير البلاد أبعد طموحا ، فهو يقول : « نحن



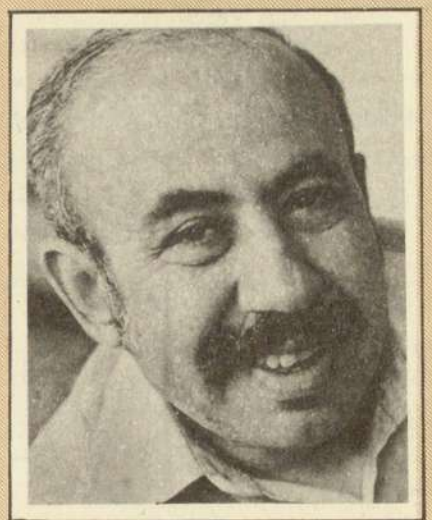
لا نزال فى البداية ، اننا لا نستطيع الاطمئنان بعد » ٠

اجل ٠٠٠ اننا لا نستطيع الاطمئنان بعد ٠٠ لابد اذن من البحوث الدقيقة ، والجهود المكثفة المتواصلة ، وايضا القرارات الحاسمة ٠٠ فمأساة اللؤلؤ ما زالت تحوم فى مخيلة الامير ٠٠ فطلب من المختصين ضرورة اجراء دراسة علمية معمقة عن احتياطى البترول فى شبه جزيرة قطر ، وجاءت تقارير الخبراء مطمئنة : خمسة وثلاثون عاما قبيل ان تنضب آبار الذهب الاسود فى قطر ٠

الدولة والرجل

اذن ما زال الوقت متسعا لمزيد من البناء ، فصدرت قوانين الثورة الاقتصادية من أجل حماية الثروة الاقتصادية ، وقررت الدولة تخفيض انتاجها من البترول بما يتناسب وحاجتها ، وان مداخيل البترول لن تمثل اكثر من ١٥ بالمائة من مداخيل الدولة المباشرة بحلول عام ١٩٨٠ م ، حينما يصبح جزء المداخيل الاكبر يرد من صناعة البتروكيماويات والصناعات الاخرى الثقيلة منها والخفيفة ٠ ولم يعد الشيخ خليفة يتحدث فى خططه ومشاريعه الا عن قطر عام ٢٠٠٠ م ٠ يقول المؤلف : « فى هذه المسيرة الطويلة تقف عدة علامات فارقة وحاسمة فى حياة الشيخ خليفة وحياة دولة قطر ، ومن يعرف قطر جيدا يجد صعوبة كبيرة فى الفصل فى هذه العلامات ما بين الدولة والرجل ، والواقع انها قليلة جدا تلك الدول فى هذا العصر التى يستطيع فيها رجل واحد أن يترك بصمات أصابعه على كل شأن من شؤون حياتها مثلما ترك الشيخ خليفة بصماته على دولة قطر ٠ »

ربما يتصور البعض بان العصر البترولى الذى تعيشه قطر فى هذه المرحلة سيؤثر على



ابراهيم أبو ناب

تقاليد الشعب القطرى ، لكن الشيخ خليفة يضع حدا لهذه التصورات الخاطئة حينما يقول « ان الضمان الاكبر هو مزايا شعبنا التى تتلخص فى حب البساطة والتمسك باهداب الشريعة الاسلامية ، وما دام الامر كذلك فاننا لا نخشى تحديات التصنيع لان طريقنا الاسلامى كفيل بايجاد الحلول لكل المشاكل ٠ »

ولقد برزت هذه الحقيقة امام الرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان ، فى اثناء الزيارة التى قام بها سمو الشيخ خليفة لفرنسا عام ١٩٧٥ عبر الزعيم الفرنسى عن اعجابه « لقدرة قطر وأميرها على اجتياز تحديات عصر النفط دون ان يؤثر ذلك على التقاليد العريقة الموروثة لشعب قطر ٠ »

الخطوة المباركة

نحن الآن فى صبيحة اليوم الثانى والعشرين من فبراير عام ١٩٧٢ ٠٠ اذاعة قطر تقطع برامجها وتذيع بيانا هاما الى الشعب من سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المعظم يعلن فيه « باننا ادركنا ان سكوتنا على ما يجرى يشكل خذلانا لماضينا وحاضرنا ، وتنكرا لكفاح اجدادنا ، وتخلينا عن مسؤولياتنا تجاه الوطن والشعب ، ولهذا لم يكن بد لان نتحرك لتصحيح الاوضاع ، مؤيدين فى ذلك من ابناء اسرتنا الحاكمة الذين ساءهم ما وصلت اليه البلاد من ترد ، ومدعومين بكافة العناصر من قواتنا المسلحة التى نذرت نفسها للدفاع عن مصالح الوطن والشعب فى كل الظروف ، يساعدنا فى هذه الخطوة ابناء شعبنا الذين رافقونا من أول لحظة على درب الكفاح الطويل » ٠

هذه هى بواكير الحركة التصحيحية المباركة ، وقد دغدغت مشاعر المواطنين ، ونفعت عقولهم وافئدتهم ، واشعرتهم بالطمانينة على حاضرهم ومستقبلهم ، فى ظل نزاهة الحكم ، وطهارة الحاكم ، وكان لابد لانوار هذه الحركة أن تسطع على بعض القرارات الجديدة ، وان تفرج عن بعض القرارات الحبيسة

مرحلة التبلور

مضت خمس سنوات تقريبا قبيل ان يعين الشيخ خليفة وليا للعهد .. لم يكن يستعجل الامور ، لقد ترك لولى العهد المنتظر ان يبرز من خلال التجارب ، ويثبت جدارته ليكون اهلا لحمل المسؤولية ..

وفى شهر مايو عام ١٩٧٧ اعلن الشيخ خليفة انه قد اختار نجله الاكبر اللواء الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى وليا للعهد لما يعهده فيه من « صلاح وجدارة وكفاءة لولاية العهد ، وبعد التشاور مع اهل الحل والعقد فى البلاد وموافقتهم » . كما امر الشيخ خليفة فى نفس الوقت بانشاء وزارة للدفاع واسنادها الى اللواء الشيخ حمد بالاضافة الى منصبه كقائد عام للقوات المسلحة القطرية .

ثم يختتم ابراهيم ابو ناب نهاية هذا الفصل بقوله : « وهكذا وصلت الدولة الجديدة والامير معا الى نقطة التبلور ... صورة واحدة لا يمكن فيها اخراج صورة الامير من صورة الدولة دون ان تفقد الصورة الكثير من خطوطها وملامحها والوانها ، ولا يمكن فيها حكاية قصة الامير بدون قصة الدولة فالقصتان متداخلتان بشكل فريد » .

ثم يتناول الفصل الثانى من الكتاب لمحة تاريخية موجزة عن قطر ، بدايتها قبيل حوالى اربعين الف عام حينما كانت منطقة قطر والبحرين تختلف تماما عما هى الآن ، حيث يؤكد العلماء ان البحر فى ذلك الوقت السحيق كان اكثر ارتفاعا بحوالى ثمانين قدما ، وقد استدل على ذلك بوجود آثار بحرية على هذا الارتفاع فى جزيرة البحرين وشبه جزيرة قطر .

لقد توحدت منطقة الخليج حضاريا واقتصاديا ، وجمعها اسم واحد بعد ديلمون هو « بلاد البحر » ، ثم جمعها من خليج العقبة الى مضيف هرمز اسم « البحرين » باعتبار وجودها على بحرين هما الخليج العربى من جهة وبحر العرب من جهة اخرى ، وقد بقيت هذه المنطقة تدعى بالبحرين ـ لدى مجيىء البرتغاليين ـ على الجزر التى تعرف اليوم باسم دولة البحرين .

نفوس الرجال

اما اسم قطر فلم يكن يطلق على كيان سياسى ـ كما هو اليوم ـ بل كان اسما لمكان يشتهر بجودة الابل ، وجودة المصنوعات .

وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس الثوب القطرى ، وكذلك زوجته عائشة رضى الله عنها التى لبست ثوبا قطريا ثمنه خمسة دراهم ، كما انه كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ازار قطرى مرقوع برقعة من الجلد

وفى نهاية هذا الفصل يمر بنا المؤلف على عام ١٩١٧ م حينما استولى البرتغاليون على البحرين وقطر والقطيف ، ثم ظهور الحركة الوهابية بقيادة المصلح الكبير محمد بن عبد الوهاب ، والغزوة الوهابية لقطر عام ١٧٩٣ م . ثم ياتى على ذكر التاريخ النضالى لاسرة « آل ثانى » الحاكمة منذ ظهور زعيمها الاول الشيخ ثانى بن محمد .

ويأتى الفصل الثالث ليكمل الحلقة ولنوجزه باخر العبارات التى اختتم بها المؤلف كتابه :

ولكن ملامح المستقبل اخذت تبدو الآن فى قطر لعين الدارس والمدقق . ان مستقبل قطر يعتمد الى حد كبير على قدرة المجتمع فى قطر على تخطى المشاكل الجديدة بروح الانفتاح من جهة وروح المحافظة من جهة اخرى بحيث لا يختل التوازن ، ويبدو ان اعظم المنجزات التى تنتظر دولة قطر ليست فى مجال العمران والتصنيع لان هذه يمكن تحقيقها بما يتوفر من امكانات مادية ضخمة ، ولكنها فى مجال تكريس روح البلاد وشعبها فى مؤسسات تعيش بعد موت الاشخاص ، ويبدو ان الشيخ خليفة ـ الذى يعتبر بحق مؤسس دولة قطر الحديثة ـ قد وعى هذه الناحية واخذ يعطيها الآن اهتمامه الاكبر . ان اجمل ما فى قطر المستقبل انها لن تكون منقطعة الماضى السحيق بامجاده التى لم تبق منها آثار على الرمال وانما آثارها فى نفوس الرجال » .

والى هنا ينتهى استعراضنا لكتاب ابراهيم ابو ناب عن قصة بناء دولة قطر ، والذى يزيد من قيمته وجود طبعة اخرى باللغة الانجليزية هى ايضا فرصة جيدة لطلاب المعرفة الاجانب الذين يرغبون فعلا فى معرفة ما تم من خطوات النهضة فى دولة قطر العربية .

نبيل خالد الاغا

المفكر الفرنسي في طرابلس

● على امتداد اربعة ايام استمرت اللقاءات والمناقشات الفكرية بين المفكر الفرنسي « جاك بيرك » وادباء وكتاب الجماهيرية العربية الليبية ، وذلك اثناء زيارته لطرابلس ..

وكان المفكر الفرنسي قد استهل زيارته الثقافية بمحاضرة القاها بكلية التربية بجامعة الفاتح ، وركز فيها على ضرورة قيام روابط اوثق بين التراث العربي والتجديد ..

وخلال ندوة اقامها اتحاد الادباء والكتاب في طرابلس ، اوضح المفكر الكبير ان هناك خطرا على الشعر العربي نتيجة استعمال التركيبات غير العربية والمعاني والصور غير الاسلامية ، وبخاصة الغموض الذى يكتنف الشعر الحديث !

ولوحظ ان حديثه لم يكن مقصورا فقط على الغموض في الشعر الحديث ،، ولكنه تكلم ايضا عن الغموض في الفنون الاخرى !

رسالة القاهرة

خطة موحدة للإعلام العربى فى المرحلة القادمة

فى الجلسة الختامية لوزراء الاعلام العرب التى انعقدت فى الجامعة العربية يوم ٣ اغسطس الماضى ، وافق المجلس الوزارى على أن تقوم الامانة العامة مستعينة بمن تراه من خبراء الاعلام فى الدول العربية باعداد ورقة عمل متكاملة حول ما تضمنته تقرير لجنة الخبراء التى كلفت بدراسة ورقة العمل التونسية بشأن استراتيجية العمل الاعلامى العربى .

● وأوصى المجلس بتشكيل لجنة وزارية تضم وزراء الاعلام فى كل من المملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية التونسية والمملكة العربية السعودية ودولة الكويت لدراسة ورقة العمل المشار اليها والمشروعات الواردة فى التقرير موضع التنفيذ ، مع تحديد الموارد المالية اللازمة للتمويل ، على أن يعرض تقرير بذلك على اجتماع استثنائى فى فبراير القادم يسبق الاجتماع المشترك بين وزراء الاعلام العرب والافارقة .

نظام دولى علام

● وأوصى بان تبذل الدول الاعضاء فى الجامعة مزيدا من الجهد بهدف اقناع الرأى العام العربى والدولى بضرورة اقرار نظام دولى جديد للاعلام ، كما طالب الدول العربية والمنظمات المعنية الى حضور كل المؤتمرات واجتماعات المنظمات الدولية التى تتعلق بهذا الموضوع ، وعليها أن تنسق مواقفها فى المؤتمرات الدولية المتصلة بمجال الاعلام ، فالاخلال الموجود حاليا فى ميدان الاعلام لا يؤدى الى خدمة التعاون والسلام الدوليين .

● ودعى الاتحادات العربية ذات الصفة الاعلامية والمهنية كالاذاعات والوكالات والمواصلات السلكية واللاسلكية وغيرها الى العمل على اثارة موضوع اقرار النظام الدولى الجديد للاعلام داخل المنظمات الدولية الاعلامية والمهنية وما تعقده من مؤتمرات وندوات .

● وطالب الامانة العامة بمتابعة موضوع النظام العالمى الجديد للاعلام ، وتوزيع الوثيقة المقدمة من وفد الجمهورية التونسية ومشروع القرار المعروض على المؤتمر العام لليونسكو حول الموضوع ، على الدول الاعضاء والشعب الوطنية لليونسكو ، للاستفادة منها فى تنسيق مواقفها فى هذا الصدد .

الاجتماع المشترك

● وأوصى المؤتمر الوزارى الامانة العامة باعادة عرض مشروع ميثاق الشرف الاعلامى على مجلس الجامعة فى دور انعقاده المقبل لاقراره تمهيدا لاصداره من قبل اول مؤتمر للقمة العربية .

● وبعد اطلاعه على المذكرة المقدمة من وفد جمهورية الصومال الديموقراطية حول العدوان الذى يتعرض له شعب الصومال الغربى واريتريا ، أيد المجلس نضال الشعب العربى فى الصومال وشعب اريتريا من أجل الدفاع عن اراضيه ضد المعتدين ، وأوصى أجهزة الاعلام العربية باعطاء اهتمام وتأييد للكفاح الذى يخوضه الشعب العربى فى البلدين وفق حق تقرير المصير وشجب التدخل الاجنبى فى هذه المنطقة .

● وحول الاجتماع المشترك المزمع اقامته بين وزراء الاعلام العرب والافارقة ، اعرب المجلس عن تقديره للدعوة الكريمة التى وجهها وزير الاعلام بالجمهورية التونسية لاستضافة هذا الاجتماع ، وأوصى بعقده فى أسرع وقت ممكن نظرا لاهميته ، على أن يترك مكان الاجتماع وزمانه للامانة العامة وفق ما تنتهى اليه اتصالاتها واتفاقاتها مع منظمة الوحدة الافريقية ، على أن يدبر مجلس الجامعة الاعتماد اللازم لهذا الاجتماع .

الندوات الاعلامية

● ووضع وزراء الاعلام العرب خطة للاستفادة من الندوات التى تشرف عليها الجامعة ، والتحضير لندوة علمية عن مستقبل القدس ، ورصد ١١٣ الف دولار بصندوق الدول العربية لعام ١٩٧٩ للمساهمة فى نفقات عقد الندوة .

● كما رحب باقامة ندوة وكالات الانباء العربية ووكالات الانباء الوطنية فى امريكا اللاتينية .. وندوة لدن عن الصورة العربية فى وسائل الاعلام الغربية والتى تشرف عليها وتنسقها دولة الامارات العربية المتحدة .

● وأحاط المجلس بالقرار الذى اتخذه رؤساء البعثات

ضرورة إقناع الرأى العام بقيام نظام دولى جديد للإعلام
تأييد نضال شعب الصومال الغربى وارتريا ضد المعتدين
التوصية بإقامة مؤتمر فى إسبانيا عن التراث العربى فى الأندلس

سعادة الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام مع الوفد القطرى



جانب من الوفود المشتركة فى اجتماع وزراء الاعلام العرب



الدبلوماسية فى ايطاليا والفاتيكان بشان الندوة الدولية عن احوال اوضاع المعتقلين والمسجونين العرب فى سجون الاحتلال ، وسيحدد موعدها فيما بعد .

- واطلع المجلس على الاجراءات الجارية لعقد الندوة العربية الاوربية لنقابات الصحافة ، والندوة العربية الافريقية الثانية ، وندوة الصحافة العمالية .

وقد طالب المجلس منظمة العمل العربية بالتعاون مع الامانة العامة للجامعة ، الى وضع دراسة شاملة لبرامج الندوات الاعلامية .

مهرجان السينما

كما ضمت توصيات المؤتمر :

- اقامة مؤتمر فى اسبانيا عنوانه « التراث العربى فى الاندلس » .
- انتاج وعرض افلام سينمائية توفر خدمة اعلامية لاجهزة الاعلام فى الخارج .
- انتاج برامج تليفزيونية واذاعية حول التضامن العربى .
- تشكيل لجنة تضم اتحاد الاذاعات العربية ومنظمة اذاعات الدول الاسلامية والامانة العامة للجامعة ، تكون مهمتها تحقيق التعاون المستمر والوثيق وتنسيق كافة النشاطات التى تشترك فى الاهتمام بها أجهزة الاعلام العربية .
- اعداد دراسة مفصلة مقرونة بالموازنات المحدودة من قبل اتحاد السينمائيين التسجيليين ، وذلك بالنسبة لمهرجان السينما التسجيلية الذى أوصى المجلس فى دورته السابقة باقامته على أن تعرض هذه الدراسة على اللجنة الدائمة للاعلام العربى فى دورة انعقادها القادمة .
- المبادرة الى تنفيذ المرحلة الاولى لمشروع المسح الاعلامى العربى واعداد الاطلس العربى بالتضامن مع الاجهزة العلمية والمعهد الدولى للاعلام .
- الموافقة على البرامج المقترحة من الامانة العامة للجامعة حول البرامج الوطنية للاحتفال العام الدولى للطفل ، والافادة من ذلك فى الدعوة للقضية الفلسطينية .

وحدة الصف العربى

- كما درس المجلس المذكرة المقدمة من الامانة العامة بشان ضرورة قيام نشاط اعلامى عربى فى استراليا .. واطلع على المذكرة المقدمة من المركز العربى للتدريب الاذاعى والتليفزيونى بشان آخر التطورات التى مرت حتى الآن من أجل دعم المركز العربى للتدريب الاذاعى والتليفزيونى .
- واطلع ايضا على المذكرة المقدمة من الامانة العامة بشان طلب اتحاد الموزعين العرب تخفيف قيمة رسوم الشحن الجوى على المطبوعات بالنسبة للخطوط الجوية فى البلاد العربية بنسبة ٥٠ فى المائة من الرسوم العالية المخفضة ، واكد المجلس اهمية هذا الطلب .

وجوب الهجرة على العباد

على الملك

(بيان وجوب الهجرة على العباد) مصنف للشيخ عثمان بن فودى • اضطلع بتحقيقه والتقديم له وترجمته للغة الانكليزية الدكتور فتحى حسن المصرى الاستاذ بكلية آداب جامعة الخرطوم • وهو اول مشروع نشر مشترك بين دار جامعة الخرطوم للنشر ودار نشر جامعة « اكسفورد » التى تكمل هذه السنة خمسمائة عام فى عالم النشر • واشرف على نشر المصنف اتحاد الاكاديميات الدولى ومشغله العناية بمصادر التاريخ الافريقى • وهذا الكتاب هو اول السلسلة العربية •

من هو المؤلف ؟

فى كلمات المحقق فالمؤلف « فلانى النسب ، هوسى الموطن ، مالكى المذهب ، اشعرى العقيدة » • أبوه محمد فودى وكان عالما مرموقا وفوق علمه كان سيد قومه • ولد المؤلف فى ١٥ ديسمبر ١٧٥٤ وتعلم من ضروب العلم ما كان متاحا فى زمانه كعلوم اللغة العربية ، والاسلامية • وذكر انه كان ينظم قصائد فى المديح النبوى باللغة الفلانية والعربية وهو دون العشرين • ثم صار يدرس الطلبة ويعقد ويرشد وامسى ذا شهرة واسعة وذاع صيته •

ويذكر محقق الكتاب ان ابن فودى اول امره كان يحذر سلاطين هوسا كل الحذر • ولم يكن يتعرض لهم فى مجالسه بسوء • ولم يكن ابن فودى يرى فى السلاطين الا سمات الحكام الجائرين الظالمين ، وفى تلك المرحلة الاولى من حياته فى العلم لم يكن ليجهر بتلك الافكار • حتى جاء زمان السلطان (نيفا) الذى حارب أحد اتباع ابن فودى المقدمين واسمه عبد السلام • واخرجه واهله وصحبه من ديارهم وأسر فيهم خلقا كثيرين فتدخل ابن فودى واصبح طرفا فى النزاع • وكانت تلك الاحداث سببا فى هجرة ابن فودى واتباعه عن قاعدته فى دقل وذاك كان فى فبراير ١٨٠٤ • واعلن الجهاد فى سبيل الله • ونودى بابن فودى اميرا للمؤمنين • وثارت حروب كان من احداثها قتل السلطان نيفا عام ١٨٠٨ • وصار ابن فودى فى عاصمته الجديدة « سكوتو » يعمل ويدير الدولة ويؤلف ويدرس حتى مات عام ١٨١٧ •

موضوعات الكتاب

يشمل الكتاب ثلاثة وستين فصلا يلخصها جميعا عنوانه العام وهو (بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الامام واقامة الجهاد) • واليك بعض موضوعاتها : فصل فى وجوب الهجرة ونصب الامام ، وآخر عن شروط الامام وفصل فى فيمن يقاتل فى الجهاد ، وثان عن من يستعان به فى الجهاد وهلم جرا •

ونظرة الى الفصل الاول الذى اسماه مؤلفه (فى وجوب الهجرة من بلاد الكفار) تمنح القارىء فكرة عن حياة المؤلف باحداثها والتغيير الفكرى الذى طرا عليه اضافة الى انه يعطى ملخصا لاهم موضوعات الكتاب • يبدا الفصل بقوله تعالى فى سورة النساء :

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم •) ثم يورد من السنة حجة يبسط بها قضيته فى قوله صلعم (ان الله برىء من مسلم ساكن بين المشركين) • وفوق هذا آراء الائمة • ويذكر المؤلف معقبا على هذا بقوله ان الهجرة عن بلاد الكفار عنده هى بلاد السودان ليس بمعناها اليوم ولكن بما كانت تشتمل عليه هذه المساحة من البلاد عصرئذ • ومن تلك بلاد « مهش » « وغرم » « ويرب » « ودغمت » « ويرنو » « وكشن » وغيرها • وعنده ان من يهاجر الى بلاد الاسلام يفوز بالجنة • وفى هذا اشارة الى شمولية دعوة الجهاد •

وفى فرائض الجهاد يسجل المؤلف انها ست فرائض : النية ، وطاعة الامام ، وترك الفلول ، والوفاء بالامان ، والثبات عند الزحف ، وتجنب الفساد • ويشترط الفصل السادس والعشرون ان دعوة الكفار الى الاسلام قبل القتال واجبة • وفى صحيح البخارى ان النبى (صلعم) لما اعطى عليا الراية يوم خيبر قال له على : يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام فاخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه • فوالله لان يهدى بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم •

وعنوان الكتاب (البيان) قد صادف محتوياته ومعناه حقا اذ هو مكتوب بلغة سهلة فيها اقتصاد شديد ، وابوابه قصيرة تسهل قراءتها ، اذ ان مؤلفه كان يعلم تمام العلم أن ذلك يساعد على رواج فكره بين الناس وفى هذا يكون الفوز المقصود • والتحقيق الذى قام به الدكتور فتحى حسن المصرى من مقدمة

- فكرة عن حياة المؤلف بأحداثها والتغيير الفكرى الذى طرأ عليه
- فى الفصل السادس والعشرين : دعوة الكفار إلى الإسلام قبل القتال واجبة
- النيّة وطاعة الإمام وترك الغلول والوفاء بالأمان والثبات عند
- الزحف وتجنب الفساد : تلك هى فرائض الجهاد الستّ

أو ترتيب وهوامش حسن جدا أدى الى ابراز قيمة هذا السفر النفيس الى قراء العربية والانجليزية جميعا وذلك بترجمته فصول الكتاب بدقة تبين ما ذهب اليه المؤلف دونما اخلال بالمعانى .

ديوان الحب

ديوان (بعض الرحيق انا والبرتقالة انت) للشاعر محمد المكى ابراهيم هو اعلان بالحب يتنفس طليقا فى قصائده الست .

تقرأ فى مراجعات الأعداد القادمة

- مشاهد من الحياة فى الأردن
  بريشة فنانة أمريكيّة
  بقلم : عيسى حسن الجراجرة
- الله أولاً : رسالة إلى الأستاذ عبد الحليم عبّاس
  بقلم : أحمد العنانى
- سيبتيموس سيفيروس .. إمبراطور أفريقى
  بقلم : د. مأمون حسن عبّد الغنى
- فى الماركسيّة والدّين « كتاب جديد »
  عرض وتعليق : طارق أحمد حجّى
- عن أديب اللامعقول صموئيل بيكيت
  ترجمة : فاروق هاشم
- الطبّ الإسلامى
  عرض وتعليق : د. نقولا زيادة

يناجى الخرطوم من الطائرة وهى بسبيل ان تهبط على ارضها .. هذه اللهفة :

ساعتان وتنزل ارض المطار .
ساعتان من الموت والبعث والانهيار .
ساعتان من البطء
يمكن وضعهما فى اطار .
قطرة .. قطرة تنزل الثانية .
بعد ان تتجمع من فتحات التمهل والانتظار .
والدقائق بعد التلكؤ .

وهذا اعلان اخر بالفرح الجياش فى (حديقة شوك قديم) :

حين اغفت عيوت البنادق والموت نام .
نهض العشب بين الخنادق .
والزهر قام .
زهرة للهوى .
زهرة للجنوب .
زهرة للشمال الحبيب .
زهرة للتقدم والتنمية
ام هذه المزرعة الصامدة فوق الجبل :
وفى الصيف كانوا يجيئون .
يحتطبونك .
والموت يسعى اليك .
بينما انت صامدة كالعقيدة .

اليس جميلا ان نحتفى بقصائد الحب والنوستالجيا والتفاؤل ؟



مهرجان عمر المختار في بنغازي

● كتب الشهيد وملابسه وسلاحه وكل مايتعلق به وبرفاقه في النضال.. في معرض

● ٢٦٣ معركة خاضها البطل عمر المختار خلال عشرين شهرًا

تم الاتفاق بين الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب والجماهيرية العربية الليبية على اقامة مهرجان في مدينة بنغازي لذكرى البطل العربي الاسلامي الشهيد عمر المختار ٠

يقام المهرجان في مدينة بنغازي في الاسبوع الاول من شهر شباط (فبراير) ١٩٧٩ ، ويشارك فيه عدد كبير من المفكرين والمؤرخين والباحثين المتخصصين من كافة الاقطار العربية والدول الاجنبية ٠٠ وسيقام معرض بالمناسبة يضم كتب البطل الشهيد وملابسه وسلاحه وكل ما يتعلق به وبرفاقه في النضال ٠

وقد ولد عمر بن مختار بن عمر في برقة عام ١٨٥٨ ، وسافر الى السودان ثم عاد الى موطن راسه وظل بها الى ان احتلت ايطاليا مدينة بنغازي فكان في طليعة الناهضين للجهاد ٠

واستمر الكفاح ضد الغازي ومنطقة المختار ثابتة منيعة حيث تولى البطل قيادة الجبل الاخضر والتعفت به القبائل ٠

وعندما هاجمت القوى الايطالية قوات عمر المختار ، رد عليهم الهجوم وغنم منهم آلات حربية ومؤنا كثيرة ٠

وقد كانت اشهر معاركه مع المستعمر هي ما نشب في مناطق الرحيبة وعقيرة المطمورة وكرسه في الجبل الاخضر ٠٠ واعترف القائد العام الايطالي في بيان له عن المعارك التي نشبت بين جنوده والبطل عمر المختار وقال انها تجاوزت الـ ٢٦٣ معركة في خلال عشرين شهرا ، عدا ما خاضه البطل من المعارك في خلال عشرين سنة قبلها ٠

وقد استشهد البطل بينما كان في سرية تضم خمسين فارسا من رجاله في الجبل الاخضر ، وفوجيء وهو يستكشف مواقع العدو بقوة ايطالية احاطت به وقاتلها واستشهد اكثر من معه واصيب بجراح وقتل جواده ، فانقض عليه بعض الجنود واسروه وهم لا يعرفون من هو ، وعند ما تعرف قادتهم عليه ارسل الى « سوسة » ومنها الى بنغازي وسجن اربعة ايام وسئل عن اعماله فتفاخر بها امامهم بشجاعة بالغة ، مما ادى الى قتله شنقا في مركز سلوق ببنغازي عام ١٩٣١ ميلادية !

ربوع الجمال في العراق

اقامت الجمهورية العراقية في هذا الشهر المهرجان الثالث للافلام العراقية ، واشتركت في اعداد ذلك المهرجان ، الى جوار المؤسسة العامة للسينما والمسرح ، جهات اخرى مثل اكاديمية الفنون ومعهد الفنون والتليفزيون ٠٠

واشترك في المهرجان عدد من النقاد العرب ٠٠ وكان اول فيلم وثائقي يتم عرضه هو «ربوع الجمال» لمخرجه « كاظم العطرى » ويحكي جمال وروعة الطبيعة في شمال العراق ٠٠ كما كان اول فيلم روائي يقدمه المهرجان هو « التجربة » للمخرج فؤاد التهامي ، وقصة الفيلم كتبهاالروائي ضياء خضير ٠

من تجارب الشخصية

الخـــــلاص

جاءها المخاض وقد أوشك الليل أن ينتصف • غادرت البيت أستدعى لها «القابلة» التى تسكن فى شارعنا •

طرقت الباب طرقات خفيفة وانتظرت • فتحت أم السعد الباب بعد أن عرفت هويتى وقالت وهى تفرك عينيها :

ـ خيرا ان شاء الله يا أبا عبد الرحمن •

ـ امراتى على وشك أن تلد هلا حضرت لمعاونتها يا أم السعد ؟

ـ هل تاكدت من هذا يا أبا عبد الرحمن •

ـ العلم عند علام الغيوب ولكن الدلائل تشير الى أنه قد أزف ••

بعد دقائق كانت أم السعد تعاون زوجتى فى عملية الوضع •

مضى الوقت مملا ثقيلا •• بطيئا ولم يات الفرج وبدات أرى آيات عدم الارتياح ترتسم على وجه أم السعد وقد اخذت قطرات العرق تفترش جبينها •

قلت لها فى لهفة ••

ـ ماذا يا أم السعد ؟

ـ الله يكرمنا •

زايلت الغرفة وأنا اتحاشى رؤية زوجتى فى لحظات الالم التى نعيشها خطوت نحو البهو وقد أصابنى شىء من القلق وبعد فترة وجيزة دخلت مرة ثانية وانا اكثر لهفة وانشغالا وتساءلت وقد اخذ الاسى يتسربل بى •

ـ طمئنينى يا أم السعد

ـ قد خرج الامر من يدى •

صرخت •

ـ ماذا تقولين ؟ ماذا تعنين

ـ استطعت بعد جهد أن انزع الوليد ولكن •• ولكن • قاطعتها وقد نفد صبرى •

ـ ولكن ماذا تكلمى •••

قالت أم السعد فى كمد :

ـ لكن « الخلاص » لم يزل فى الاحشاء ورغم كل ما بذلت فانى اعترف بانى فشلت والافضل ان تستدعى طبيبا •

دارت الدنيا واستبدت بى الوساوس ونظرت الى معصمى كانت الساعة تشير الى الثانية صباحا والحصول على طبيب فى هذا الوقت أمر شبه مستحيل



ولكن فكرة عاجلة أسعفتنى فقد تذكرت الدكتور مدحت طبيب أمراض النساء وكان لحسن حظى لا يبعد بيته عنا كثيرا مسافة ميل او اقل • تركت البيت وانا على هذه الحال المزقة المضطربة ووقفت أمام الدار مترددا ضغطت على الجرس فى خفة أولا ثم اعدت الضغط بشدة ولست أدرى كم ظللت على هذا حتى فتح لى الدكتور مدحت الباب وهو فى منامته وعاجلنى بقوله وهو يتثاءب •

ـ كفى ••• كفى ••

وفى هذه اللحظة تداركت الامر ورفعت أصابعى وقلت : حالة وضع متعثرة ارجوك اغثها، بيتنا ليس بعيدا الرحمة تستدعى السرعة، كل دقيقة تمر تعنى الكثير بالنسبة للمسكينة التى ترقد الآن بين الحياة والموت •

ـ هل يمكنك أن تحضرها ••• هنا •

صعقت وذهلت وقلت له :

ـ كيف أنقلها بعد الذى شرحته لك، نقلها مستحيل •• « الخلاص » متعثر فى النزول أتفهم هذا حالتها سيئة للغاية

قال فى ثبات •••

ـ أواه انتظر، آه الساعة الآن الثالثة، حسنا اعطنى عنوانك وانتظرنى مع أول خيوط الصباح ••

صرخت فى عصبية مفرطة •

ـ ننتظرك حتى الصباح •• حتى تموت ! هل هذا هو رأيك يا دكتور ••

قال وهو يتاهب لغلق الباب ••

ـ كما قلت لك ••

لم أجد مندوحة من أن ادير ظهرى وقد امتلات هما وغما وزفرت وملات الدموع عينى وحاولت أن أتذكر طبيبا آخر والوقت يجرى وانا الهث نحو البيت •

عندما دخلت لم أصدق ما أرى، ان أم السعد تبدو هادئة تماما ولا صوت صادر من زوجتى، دارت الظنون فى داخلى هتفت « يارب » •

ـ قلها كثيرا يا ابا عبد الرحمن ومن سواه ياتى على يديه « الخلاص » وبلا شعور عانقتها وقبلتها • ورفعت يدى شكرا لله ••• طبيبنا الاعظم، واغرورقت عيناى بالدموع •

فؤاد على احمد الحريرى
ج• م• ع•



دوحة القراء

أيام العمر معدودة

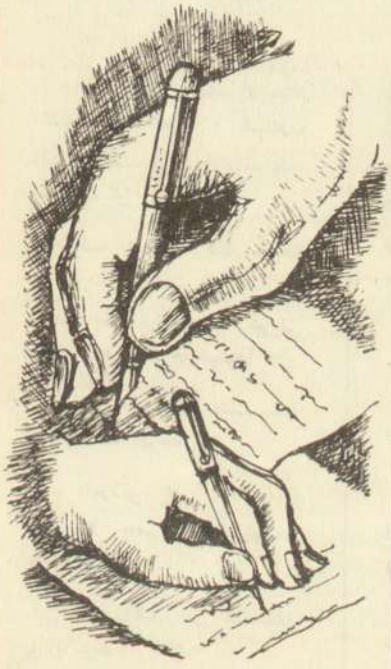


لرجل الاقتصاد المعروف « ستيوارت تشيس » رأى في الحياة .. فهو يرى اننا لا نعيش حياة مليئة بالفكر والعمل والانتاج ، فالانسان العادى يقضي ٤٠٪ من وقته في صحوة عاجزا عن مقاومة الشعور بالملل !

وقد جلس رجل الاقتصاد يوما يحصي عدد الساعات المليئة التي عاشها طوال الاسبوع ، فاكتشف انها لا تزيد عن اربعين ساعة فقط من اصل ١٦٨ ساعة هي مجموع ساعات الاسبوع الواحد في ليله ونهاره .. وهذا يعادل بالضبط ٢٥ ف المائة من عمر الانسان على الارض بينما نقضي ٧٥ في المائة من اعمارنا في النوم والقلق والملل !

محمد محمود أبو علي
الاردن ـ عمان

عبقرية اليد اليسرى



قد يستخدم الطفل يده اليسرى بدلا من اليمنى ، وهنا قد يجزع الابوان ويظنان بطفلهما قصورا ويحاولان تحويله الى استخدام يده اليمنى ، ويرى العلماء ان ترغيب الطفل في ذلك مطلوب ، ولكن لا يجب ان نلجأ الى القوة أو التهديد ، فاللجوء الى ذلك قد يؤدي الى اصابة الطفل بالتأتأة أو الفأفأة خلال النطق !

ويرى العلماء والمختصون ان ترك الطفل على سجيته افضل وأقوم ، حيث لا يعاني من استخدام يده اليسرى ويأخذ الامور بشكل طبيعي ، كما انه سيجد ان طريقته مغايرة للكثرة وبالتالي فقد يدفعه ذلك للنبوغ مثل الفنان الايطالي ليوناردو دافنشي والرسام الخالد مايكل انجلو اللذين انتجا روائعهما الفنية باليد اليسرى !

سميرة ابراهيم المنوفي
ج٠ م٠ ع٠ المنوفية

نادى الهواة



فتحى الميز ابراهيم ـ السودان

أشهر السنة معانيها ودلالاتها

أيلول (سبتمبر)



• أيلول واسمه باللغة الأجنبية «سبتمبر» مأخوذ من سبتم باللغة اللاتينية ، ومعناه «سبعة» وهو الشهر السابع من السنة الرومانية القديمة التي كانت تبدأ من شهر آذار ، والتاسع من شهور السنة الشمسية ، إلا أنه ظل حافظاً اسمه الأول ،ولعل سبب ذلك أن السنة القانونية في انكلترا كانت تبدأ في آذار مثل السنة الرومانية ، وذلك قبل أن يتغير حسابها سنة ١٧٥٢ ، وكان الانكلوسكسون يسمون هذا الشهر «جرستمونات» ومعناه شهر الشعير ، ولم يزل أهل سويسرا يسمونه «هربسمونات» ومعناه شهر الحصاد .

وعدد أيامه ثلاثون يوماً ، وفي اليوم الرابع منه يبدأ عيد عطارد «جوبيتر» و «وجونو» و «منيرفا» .

ترجمة واعداد عيسى فتوح سوريا •

ردود سريعة

● الصديق : عمر المحسن ـ معرة مصرين ـ سوريا ·
وافينا برسالة اخرى ·

● رياض العزة ـ عمان ـ الاردن

نرحب بانتاجك الشعرى الجديد ·

● وليد السلوم ـ دمشق ـ سوريا ·

وصلتنا رسالتك · ونتوقع منك كتابات جديدة لدوحة القراء ·

● على جمعة المحميد ـ المحرق ـ البحرين ·

وصلت تحيتك للسيد رئيس التحرير ـ لك الشكر ·

● حمدى قاسم ـ سوهاج · مصر ·

نشكرك على رسالتك ·

● سالم احمد المسلم ·

حلب ـ سوريا

نتوقع منك رسالة جديدة في موضوع جديد ـ فالذى اشرت اليه فات عليه زمن طويل ·

● حسن على سليمان ـ الدقهلية · مصر ·

نرجو ان توافينا بديوانك الشعرى « نجوى الاصيل » ·

● فايز فوزي علام · الرباط المغرب ·

نتوقع ان توافينا بنتاج شعرى جديد ·

● الطاهر علي احمد ـ القطينة ـ السودان ·

اكتب بحثك وستنشره المجلة· متى وجدت فيه شيئا جديدا ·

● عبد السلام عبد الرحمن ستينوى ـ العراق ·

شكرا على تحيتك · « والدوحة » تجدها في كل مكتبات العراق الشقيق ·

● هادي بن عوض باجبير · جاوة الشرقية · اندونيسيا ·

هنالك طبعات عديدة من المصاحف في المكتبات العربية

● صلاح الدين محمد جمعة ـ السودان ·

ارسل لنا القصائد التي ذكرتها

● الطالب : ياسر احمد بدر ـ طرطوس سوريا ·

نشكرك على رسالتك وتحيتك ·

حبّات اللؤلؤ



هناك نوع من المحار في قاع البحار اذا دخلت بين صدفتيه حبة من الرمال أو أى مادة أخرى فان المحار ينشط لهذه الاثارة ، ويعمل على تغطية الجسم الدخيل بطبقات متتالية من كربونات الكالسيوم · وبعد بضعة أعوام يكتمل شكل اللؤلؤة على هيئة كرة صغيرة · وقد لجأ الانسان الى استثارة بعض الاصداف الرخوة بزرع بذور اللؤلؤ فيها ·· عندئذ تنشط المحارة في تكوين لؤلؤة حقيقية حول البذرة الصناعية · وتستخرج اثمن اللآلىء من مياه الخليج العربي ، ومن « البحرين » وهي من اكبر الدول المصدرة له ·

ص ١٠

القاهرة ـ السيدة زينب

كلمات من الحياة

● يشعر الرجل بقوته فيغدق رحمته على المرأة وتشعر المرأة بضعفها فتقسو على الرجل ·

● هناك فرق بين الجمال والجاذبية · المرأة الجميلة هي تلك التي تلفت نظري ، اما المرأة الجذابة فهي تلك التي ألفت نظرها ·

(مارسكن)

● ان كل مؤهلات الحاكم تتلخص في كلمة واحدة ·

(جون رسكن)

رأفت حسن فهمي
ج· م· ع ـ العمرانية



دوحة القراء المسابقة

شروط المسابقة

المسابقة تتكون من قسمين :

القسم الاول من ثلاثة أسئلة : سؤال عن شخص · وسؤال عن مكان · وسؤال عن شيء ·

القسم الثاني عبارة عن ١٠ اسئلة متنوعة ·

وعلى من يريد الاشتراك في هذه المسابقة ان يصل الى الاجابة الصحيحة من هذه الاسئلة ، معتمدا على التعريف الموجود في كل فقرة ، مع المعلومات المعطاة عن حروف الاسم المطلوب ، بعد تغيير ترتيبها ويرفق الكوبون الخاص بالمسابقة مع ورقة الاجابة ·

أما نتائج مسابقة العدد الماضي ، فسوف تعلن في العدد القادم·

الجـــوائز :

الاولى : ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة شهور ·

الثانية : ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة شهور ·

الثالثة : ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة شهور ·

١٢ جائزة اخرى : قيمة كل منها اشتراك لمدة عام في المجلة·

نتيجة مسابقة عدد يوليو

فـازت بالجـائزة الاولى القارئة ناهد السيد ج· م· ع

فاز بالجائزة الثانية القارىء فضل يونس ـ بورسودان ـ السودان

فاز بالجائزة الثالثة القارىء نزار عرنوق ـ سوريا

حل مسابقة عدد يوليو

من تشرشل

اين الخليل

مـا افعى

١ ـ القرامطة ٢ ـ اربعة مئوية

٣ ـ عبد الرحمن بن صخر

٤ ـ سالوتيك

٥ ـ الغضروفية

٦ ـ المملكة الاردنية الهاشمية

٧ ـ حامض النيتريك

٨ ـ اي اصبح الامر فوضى وتقدم الاغبياء على الاذكياء والانذال على الشرفاء

٩ ـ لا ليست عبارة صحيحة لان العقرب ليست حشرة لان الحشرات لها ستة ارجل اما العقارب والعناكب فلكل منها ثمانية ارجل ·

١٠ ـ العقبة

الفائزون باشتراك مجّاني لمدة سَنة واحدة

١ ـ الغالـي عبد الحكم المكي السودان ٧ ـ محمد صلاح الجهماني ـ سوريا

٢ ـ محجوب محمد الحسن الدوحة ـ قطر ٨ ـ محمود محمد عبد الله ـ البحرين

٣ ـ علي صالح عبود ـ بغداد العراق ٩ ـ عبد الله الشحام ـ عمان ـ الاردن

٤ ـ عبد المنعم محمد علي ـ السعودية ١٠ ـ احمد حمدى السيد ـ طنطا ـ مصر

٥ ـ صلاح الدين السيد طه ـ السودان ١١ ـ احمد عبد الرازق احمد ـ مصر

٦ ـ احمد الحلو ـ سوريا ١٢ ـ زينب محمد احمد سعيد ـ الاردن

مَـن

من:ـ عالم مسلم عربي عبقرى يعترف مؤرخو العلوم بانه وضع الاساس الصحيح لعلم الضوء والبصريات أسمه من ثلاث كلمات ، وثلاثة عشر حرفا :

١ ، ٩ ، ٣ ، ٤ ، ٨

اقليم عربي مشهور بالبلح والتمر ·

٨ ، ١٢ ، ٥ ، ١ ، ٧

مثنى الواحد الصحيح ·

١٣ ، ٢ ، ٦ ، ١١

داع بدعاء الحج الى مكة المكرمة ·

أيـن

اين : ـ بلدة عربية مصرية صميمة قديمة في الصحراء يتردد اسمها كثيرا في هذه الايـام في خضـم الصـراع مع العدو الصهيوني المحتل· اسمها من ستة احرف:

٤ ، ٣

اله الشمس في الديانة الوثنية القديمة عند المصريين ·

٦ ، ٣ ، ٥ ، ٤ ،

من طعام الفقراء في البلدة نفسها ·

١ ، ٢ ، ٦ ، ٤

ضد الخير

مـا

مـا : ـ مادة منجمية عرفها الناس منذ ما قبل التاريخ ، وهي من اسباب تنازع القوى الكبرى على افريقيا ، وهي سر اصرار الصهاينة على الاحتفـاظ بشـرم الشيخ في سيناء العربية المصرية · اسمها من اربعة حروف :

٤ ، ١ ،

آلة حيوانية للقطع والطحن ·

٢ ، ٤ ، ٣ ، ١

شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ·

٢ ، ٤ ، ١ غير قبيح المنظر ·



١ ـ يصنع البارود الاسود من ثلاثة من المواد الآتية بعد طحنها كلا على حدة ثم خلطها جيدا مبتلة ثم تجفيفها ما هي المواد الثلاث ؟ :

ملح الطعام ـ الكبريت الاصفر ـ الرمل ـ ملح نترات البوتاسيوم ـ الفحم ـ القطران ـ نبات الخرشوف ـ نوى البلح ٠



٦ ـ « اللؤلؤ يستخرج من مناجم انجولا » هل هذه العبارة صحيحة ؟



٢ ـ سقطت الخلافة الاموية وقامت الخلافة العباسية سنة١٣٢ هـ بعد مقتل الخليفة مروان الذى كان يلقب بلقب :

القيس ـ الحمار ـ الديك



٧ ـ العالم اليهودى الذى حرض الولايات المتحدة الامريكية على صنع القنابل النووية في الحرب العالمية الثانية فكان بذلك مجرما في حق الانسانية كلها هو :

نيلز بوهر ـ البرت انيشتاين ـ كوهين ليشع



٣ ـ اربعة من الاشجار التالية جاء ذكرها في القرآن الكريم :

التفاح ـ العنب ـ النخيل ـ الزيتون ـ التين ـ الخروب ـ الباذنجان ـ الليمون البرتقال ٠



٨ ـ ما هي الاسماء الخمسة وما علامة رفعها ؟



٤ ـ نفرض انك بدأت صومك في مدينه الدوحة حيث صليت الفجر ثم سافرت الى موريتانيا وافطرت في نواكشوط ٠ فكم ساعة يزيد يومك كصائم ؟ ٠



٩ ـ ولد القائد المسلم العبقرى خالد بن الوليد رضى الله عنه في مكة المكرمة وتوفى على فراشه وما في بدنه موضع الا وفيه طعنة برمح أو ضربة بسيف وكانت وفاته في مدينة :

طنطا ـ حمص ـ الموصل



٥ ـ « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » قائل هذه العبارة هو : سيدنا ابراهيم ـ سيدنا موسى ـ سيدنا المسيح ـ سيدنا محمد ، صلى الله عليهم اجمعين ٠



١٠ ـ يبلغ مقدار قوس الدائرة بين علامة الدقيقة الزمنية على وجه ساعتك والعلامة التالية لها بالمقياس الستيني :

١٥ درجة ـ ٦ درجات ـ ٩ درجات



د. يوسف إدريس

خطاب حب منسى

يا ...

كل انسان منا طعم ويعطى للحياة طعما • كل انسان منا معنى ويعطى للحياة معنى • وما يثيرنى فيك انك الطعم واللاطعم معا • المعنى المحدد المكثف واللامعنى على الاطلاق • انت انت وانت لا انت بالمرة • أعطتك الحياة نفسها فاصبحت انت ، وضننت بنفسك على الحياة فتغيرت نواميسه فاصبحت لا انت • انا لا افهم ابدا ان يؤمن الشخص ايمانا تاما بالحب ولا يحب ، يؤمن بالحقيقة ويفضل ان يكذب ، يؤمن بالحياة كما يجب ان تكون الحياة ويفضل أن يموت ولا يحيا • أأنت ملاك قررت ان تنزعى من نفسك كل رغبات البشر ، مضحية بنفسك ، أم انت فى الحقيقة خائفة ان تكتشفى انك بشر وانا من حولك بشر ، وبالمناسبة انا من غلاة البشر •

فى الحقيقة لم أشا بادىء ذى بدء ان اكتب هذا الذى كتبت ، بل ان العادة جرت أن يلجأ الناس للكتابة كي يصرحوا بالحرف عما يتعثر فوق اللسان • لم اكتب لاقول احبك ، فانا لا احبك ، اريد احبك ولا أستطيع فمثلك لا يحب ، لانه لا يريد بل ولا يستطيع ان يحب • مثلك أثر الحياة فراشة زاهية اللون ، والانسان لا يحب فراشة ، يحب جمالها ويجمعها ، يحب رؤيتها يحب أن يمتلىء العالم بالفراشات ولكنه لا يمكن ان ينفعل بهذا النوع من الوجود ، فهو الوجود خارج دائرة القلب ، والقلب حب ، والقلب انسان احب ويحب وسيحب ، والانسان ارادة ورأى وانانية ومتعة وغضب وحنين ودم ولحم • الانسان حركة ، مع ، ضد ، مصطدم ،

وتخدعين نفسك دائما تقولين : آه •• ولكن سعيدة ، وبارادتى أخذت ، هكذا انا ، فماذا يضيرك وماذا يغضبك؟ سمعتها كثيرا حتى كدت اصدقها لولا بقية من حدس ويقين تدق لى دائما ان شيئا كهذا مستحيل • الطفولة شىء جميل ولكنها جميلة لانها هى التى تنتهى بنا دائما لان نصبح الناضجين • لو اصبحت حياتنا كلها طفولة لذهبت سعادتنا بالطفولة الى الابد ، اذ تصبح الطفولة مرضا ، وبراءتها مجرد توقف القدرة على مد البصر • طفلة تريدين أن تكونى ، تريدين ان تظلى طفلة تحلم • والاحلام عند الاطفال جميلة لانها ليست نتيجة عجز عن الحياة وانما نتيجة طاقة احلام اضخم من الحياة • طاقة لا يستهلكها الجسد مهما تحرك ، ولكن محاولات الكبار للتوقف عند احلام الاطفال ليست نتيجة طاقة ازيد ، ولا فائض حركة وانفعال ، وانما هى نتيجة عجز •

ولكن الكبار لهم احلامهم ايضا ، وهى من رأيى اروع وامتع وربما ايضا اكثر انسانية وبراءة • أحلام العارفين المدركين الواعين ، أحلام الابراج الشامخة التى ترى الى أبعد وتحلم بما هو ابعد وابعد • انه الخوف من تبعات النضج ، الخوف من الحياة حين لا تعود ممنوعة ولا مرعبة وانما واقع من الممكن أن نعيشه • انت خائفة ان تكتشفى انك لم تعودى عروسة صغيرة بضفائر ، وانك سعيدة •

لماذا يا سيدتى انت خائفة من نفسك كل هذا الخوف ؟

لماذا تفضلين انت التى مضت وتستنكرين انت الحاضر والقادم ؟

لا اعرف لماذا تعوم افكارى حولك بهذا الالحاح •

فانا لم افكر ابدا ان اكون لك او تكونين لى •

اانا الآخر احلم ؟ احلام مراهقين هذه المرة ؟

العب •

يا له من زمن بعيد بعيد •

متى كان الحب ، وأين ذهب ، وكيف عشناه طويلا والوانا شتى ، تعت اى سماء • امرة اخرى يدق القلب، ذلك النوع الخاص من الدق ، الدق الذى يشعرك انك انسان اقصد كائن اقصد حيوان حى ، لك قلب ولك اعضاء ولك انفعال الحب من انفسنا بالهرب من انفسنا مرة وبهرب انفسنا منا مرات ؟• لماذا يا ربى هذه الحياة التى منحتنا اياها ، أعظم وأروع واسمى منحة ، وضعنا نحن منها ذلك التيه الذى نحياه •

عاشتنا الحياة كائنات حية ولكنا نحن لم نحيها بشرا يحيون الحياة ، يحيونها متعة يحيونها بسمة وأملا ونورا ، يحيونها حبا ، ذلك البحر الرقراق البللورى الدافىء المياه ، المياه الشفافة التى نصبح فيها نحن انفسنا شفافية نذوب ماء وتذوبنا المياه ، تطمرنا ، تغسلنا ، تطهرنا ، تعيدنا بلا ذنب كما خلقنا ، كلما غصنا طفونا ، وكلما غرقنا نجونا ، وكلما كبرنا صغرنا ، حتى الموت فيها نموته فرحة وضحكة واغماضة عين كاستغماية الاطفال •

اشكرك •

قد تعجبين ، ولكن ، اذا عرفت انى ربما ، منذ اعوام كثيرة ، لم تخالجنى مشاعر كالتى أحسها الآن ، لم انفعل ذلك الانفعال الصادر من تلقاء القلب ، لم احس انى الى ذاتى الاولى اعود ، بل لا أبالغ اذا قلت انى ، منذ احقاب لم احس انى انسان ، مجرد انسان لا صفة له ولا لقب ولا مارب وخطط ورغبات •

انسان لا غير •

ولكنى احب •

ما أروع ان يكون الانسان انسانا ، وأن يكون فى حالة حب •

ولقد اطلت •

د• يوسف ادريس



ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة


بيبسي